الجامع في الهدايات القرآنية

الحزب الثاني من سورة البقرة

جمع واستنباط

نخبة من الأساتذة وطلاب العلم في التفسير والقراءات والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية والتربية والعلوم الطبية غيرها من مختلف دول العالم عبر مجموعة واتساب متخصصة في الهدايات القرآنية

إشراف

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

رعاية

كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

ومؤسسة النبأ العظيم الوقفية بمكة المكرمة

قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥].

٢٩٨٤- تفيد بيانا لصفة أخرى تدعو إلى اليأس من إيمانهم بما جاء به النبي عليه السلام بعد أن بين جملة من الصفات في الآيات السابقة التي آخرها قسوة قلوبهم التي هي أشد قسوة من الحجارة.

٢٩٨٥- تفيد بيان مدى ما فعله اليهود من عصيان ربهم ونبيهم، ومقابلتهم النعمة بالمعصية والرحمة بالجحود.

٢٩٨٦- تفيد تشابه اليهود عبر التاريخ في صفاتهم؛ لأن الآيات السابقة كانت فيمن مضى من أسلافهم، ومن هنا شرح قبائح أفعال اليهود الذين كانوا في زمن محمد ﷺ فصفاتهم مشتركة قديمًا وحديثا.

٢٩٨٧- تفيد أعظم تسلية وتسرية لقلب المصطفى ﷺ وأصحابه الكرام حيث تطالبهم ألَّا يحزن على عدم ايمان اليهود.

٢٩٨٨- تفيد تصويرا لحال المصطفى ﷺ، وحال أصحابه الكرام، في دعوتهم إلى الله، يطمعون بإيمان قومهم، ليت هذه الحال -التي هي أشد من الرجاء- ترافق الدعاة في دعوتهم من يرجى إيمانهم.

٢٩٨٩- تفيد أن من أعظم صفات الداعية الحرص والطمع في محبة هداية الناس ولو كان ذلك مع عتاة البشر وشرهم كاليهود؛ لأن الطمع هو: ترقب حصول شيء محبوب مع تعلق النفس به رغبة فيه.

٢٩٩٠- تفيد كشفا لخبث اليهود وسوء طويتهم، وعدم تصديقهم للحق الذي جاء به محمد ﷺ.

٢٩٩١- تفيد بأن الله يطمئن المسلمين أن اليهود متعبون ومشاكسون، وأنهم يقلبون الحقائق، وأنهم مجرمون، فلا يبتئس المسلم من مواقفهم.

٢٩٩٢- تفيد أنه بئس خلف اليهود الذين يقتدون بمن سلف بالتعنت والكبر والظلم والتكذيب... فبئس الخلف وبئس السلف.

٢٩٩٣- تفيد دليلا على قلة من يؤمن من اليهود قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:٨٨]، وقال النبيﷺ: [لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود]. متفق عليه.

٢٩٩٤- تفيد أن الطباع قد تورث.

٢٩٩٥- تفيد أنه قد يلمح فيها إلى أن اليهود كانوا مؤمنين به في داخلهم... لكن منعهم الكبر فلم يقروا بذلك... فضمن يؤمنوا معنى يقروا.. وعداه باللام.

٢٩٩٦- تفيد أن اليأس من إيمان أحد أو مقاربته غير مانع من مواصلة دعوته إقامة للحجة ومعذرة إلى الله، فليس كل ما لا يطمع فيه كان ميؤوسًا منه.

٢٩٩٧- تفيد قطعا لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم لا تقتضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هي من عند الله، فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء.

٢٩٩٨- تفيد أن الإنسان ينبغي أن لا يعمم الأحكام، كن دقيقًا...كن منصفًا.

٢٩٩٩- تفيد أن الواجب بعد سماع كلام الله عقله وفهمه ثم اتباعه عن علم، فهؤلاء لما سمعوا وعلموا فلم يؤمنون وينقادوا ذمهم الله تعالى.

٣٠٠٠- تفيد أنك قد ترى الرجل يرغب عن الإيمان وهو عالم بصدقه، غير طريقة العلاج أو دعه في غيه، فقد غلبه هواه..

٣٠٠١- تفيد إثبات الكلام لله تعالى، وأنه يتكلم، وأن كلامه بصوت مسموع؛ لقوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

٣٠٠٢- تفيد أن هؤلاء اليهود قد حرفوا كلام الله، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾.

٣٠٠٣- اثبات أن القرآن الكريم غير محرف، وأنه محفوظ.

٣٠٠٤- تفيد أن هذا حال فريق منهم وهم علماؤهم وخاصتهم ومظهر كمالاتهم... فكيف حال دهمائهم!! فكيف يؤمنون وعلماؤهم محرفون.. كيف يفلح طالب هذا شأن أستاذه؟.

٣٠٠٥- تفيد أنه إذا انحرف العالم انحرف التابع، ولذا قدم الله ذكرهم، وجاء نفي طمع الإيمان عنهم جميعًا، لأن غير المحرفين يأخذون دينهم ويتعلمونه من قوم هم يتعمدون التحريف عنادًا.

٣٠٠٦- تفيد أن العالم بالحق المعاند فيه بعيد من الرشد، لأنه علم الوعد والوعيد ولم ينهه ذلك عن عناده.

٣٠٠٧- تفيد قبح تحريف هؤلاء اليهود، لأنهم حرفوا ما عقلوه؛ والتحريف بعد عقل المعنى أعظم؛ لأن الإنسان الجاهل قد يعذر بجهله؛ لكن الإنسان العالم الذي عقل الشيء يكون عمله أقبح؛ لأنه تجرأ على المعصية مع علمه بها؛ فيكون أعظم.

٣٠٠٨- تفيد أن من حرَّف كلام الله بعد أن عقله وفهم المراد منه فقد تعرض لغضب الله.

٣٠٠٩- تفيد أن من أراد أن يعرف سبب غضب الله على اليهود، فليتأمل في هذه الآية.

٣٠١٠- تفيد أن تحريف كلام الله عن مواضعه بعد عقله موئس من الطمع في إيمان صاحبه.

٣٠١١- تفيد أن تحريف كلام الله تعالى من أعظم الذنوب؛ لأنه سبب في اضلال الناس والتحريف قد يكون في اللفظ وقد يكون في المعنى.

٣٠١٢- تفيد أنه لا يُكتفى بسماع كلام الله، بل لا بد من فهمه.

٣٠١٣- تفيد أن الذي يسمع كلام الله ثم يحرفه أبعد قبولا من الذي لا يسمعه، وأن الذي لا يؤمن بما هو ظاهر بين من باب أولى أن لن يؤمن بما هو خافٍ ومستتر.

٣٠١٤- تفيد أن هنالك عوائق تصد الناس عن الهدى من أعظمها التحريف وتلبيس الحق بالباطل.

٣٠١٥- تفيد أن عدم تعظيم الله تعالى صفة من صفات اليهود، فهم يعرفون أنه كلام الله تعالى ولا يعظمونه بل يحرفونه.

٣٠١٦- تفيد أن من حرف كلام الله تعالى في اللفظ أو المعنى من أهل البدع والتأويلات الباطلة ففيهم شبه باليهود، ويدخلون في هذا الذم والوعيد.

٣٠١٧- تفيد أن من حرف كلام الله ليس بغريب أن يحرف التأريخ، ومن بدل كلام الله وحدوده لا يستعجب من تبديله وتغييره لحدود الأرض وجغرافيتها.

٣٠١٨- تفيد أن قرائن الأحوال هي التي تبين قرب الناس من الدعوة وبعدهم، فعلى الداعية أن يكون فطنًا حصيفًا.

٣٠١٩- تفيد خطورة السكوت عن تحريف المحرفين للدين فإنه يؤدي لانحراف الأمة، فالذين حرَّفوا فريق منهم؛ والنتيجة انحرافهم جميعا.

٣٠٢٠- تفيد أن الهداية هبة ربانية فليس كل من عرف الحق وعقله يوفق للعمل به.

٣٠٢١- تفيد دليلا على أن معصية العالم أقبح من غيره، وقد قال بعض السلف: من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى.

٣٠٢٢- تفيد أن العالم المعاند أبعد من الرشد وأقرب إلى اليأس من الجاهل؛ لأن قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ يفيد زوال الطمع في رشدهم لمكابرتهم الحق بعد العلم به.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٧٦].

٣٠٢٣- تفيد مناسبة لما قبلها فإن علماء اليهود حرفوا كلام الله، وكذبوا على الله، ولهذا فالكذب على الخلق أيسر عليهم، بل سجية لهم.

٣٠٢٤- تفيد أن اليهود لا يستأنسون بالمؤمنين، وإنما إذا لقوهم [قالوا]، أما مع أهل ملتهم [خلو].

٣٠٢٥- تفيد أن هنالك شبها وتوافقا بين صفات اليهود والمنافقين.

٣٠٢٦- تفيد أن في اليهود منافقين؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٧٦]. والمروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن منافقي أهل الكتاب كانوا إذا لقوا أصحاب محمد ﷺ قالوا لهم: آمنا بالذي آمنتم به، ونشهد أن صاحبكم صادق، وأن قوله حق، ونجده بنعته وصفته في كتابنا، ثم إذا خلا بعضهم إلى بعض قال الرؤساء لهم: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم في كتابه من نعته وصفته ليحاجوكم به.

٣٠٢٧- تفيد أن من سجايا اليهود وطبائعهم الغدر والخيانة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ لأن هذا نوع من الغدر والخيانة بالمؤمنين.

٣٠٢٨- تفيد بإشارة خفية إلى أنه ينبغي للمسلمين أن يهتموا بما يجري من وراء الكواليس اليهودية والمؤتمرات الصهيونية من محادثات وحوارات بينهم ليكونوا على بصيرة ومعرفة بخططهم ومؤامراتهم وكيدهم على الإسلام والمسلمين.

٣٠٢٩- تفيد إرشادا للمسلم إلى أن يكون حصيفا لا يخدع بمنمق القول، فهناك من يقول بلسانه ما ليس في قلبه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

٣٠٣٠- تفيد أن الإيمان لا يصلح فيه قول لم يعقد عليه إيمان في القلب.

٣٠٣١- تفيد تعريضا بخسة اليهود، وأنهم يظهرون خلاف ما يبطنون.

٣٠٣٢- تفيد التحذير من فتن المنافقين والسقوط في شباكها، لأن المنافقين يستخدمون الإسلام في تمرير ما يريدون من أغراضهم الخبيثة.

٣٠٣٣- تفيد أن من أعظم الشقاء والخذلان أن ينطق لسانك بالحق وتعتقد بخلافه، وتجد المؤازرة على ذلك من أصحاب السوء.

٣٠٣٤- تفيد أن اليهود كانوا يقرون بنبوة محمد ﷺ ولا يؤمنون، فكفرهم بالرسول محمد ﷺ كان عن علم؛ فهم يعرفون أنه نبي كما يعرفون أبنائهم، ولهذا صاروا مغضوبًا عليهم.

٣٠٣٥- فيها أن يهود يخفون الحق ولا يظهرونه، وإذا ظهر منهم عاتب بعضهم بعضا.

٣٠٣٦- تفيد اهتمام اليهود بالمعلومات وإخفاء ما يلزم وإظهار ما يلزم بحسب الحال وبما يتناسب مع مكرهم وخداعهم.

٣٠٣٧- تفيد أن الباطل دائما في اجتماعات سرية دائمة في حرب الإسلام بشتى السبل والوسائل، وأنهم لا يظهرون حقيقة ما يضمرون.

٣٠٣٨- تفيد أن أهل الباطل يمكرون ويرتبون ويخلو بعضهم إلى بعض فأهل الحق أولى بالتلاقي على حقهم، والتناصح فيما بينهم.

٣٠٣٩- تفيد أن في الخلوات يتميز أهل الحق من أهل الباطل.

٣٠٤٠- تفيد حض أهل الباطل بعضهم بعضا على عدم إعطاء أهل الحق فسحة للمحاجة.

٣٠٤١- تفيد التحذير من صور الخداع والمكر وتلبيس الحق بالباطل من قبل اليهود وأشباههم.

٣٠٤٢- تفيد توجيها بعدم الاغترار بكل قول.

٣٠٤٣- تفيد أن اليهود يلوم بعضهم بعضًا على بيان الحقيقة حينما يرجعون إليهم؛ وأنهم يتواصون على كتم الحقائق؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

٣٠٤٤- تفيد أن العلم من الفتح؛ لقولهم: ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ ولا شك أن العلم فتح يفتح الله به على المرء من أنواع العلوم والمعارف ما ينير به قلبه.

٣٠٤٥- تفيد بمفهوم مخالفة اليهود أن من فتح الله عليه بالنعم والمكارم ينبغي أن يحدث به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

٣٠٤٦- تفيد أن المؤمن والكافر يتحاجَّان عند الله يوم القيامة؛ لقولهم: ﴿لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾؛ ويؤيده قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾[الزمر: ٣١ – ٣٢].

٣٠٤٧- تفيد أنه ينبغي أن تنتبه لحديثك، فإنه إما حجة لك أو حجة عليك.

٣٠٤٨- تفيد أن اللوم والتحسر لا ينفع بعد ظهور الحقيقة.

٣٠٤٩- تفيد أن من أقوى أساليب الإقناع والمحاورة أن يؤتى بالأمر الفظيع المراد نهيه وزجره بصيغة السؤال والاستفهام الذي يوضح بعد فاعله عن العقل والإدراك.

٣٠٥٠- يفيد اختيار اليهود للفظة الرب في قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾دون غيرها إشارة إلى أنهم لا يعرفون الله إلا من خلال ربوبيته ونعمه وآلائه، ولهذا جاء الرد عليهم بإثبات الوهيته، فقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

٣٠٥١- تفيد أن اليهود يحرصون على تعقيل بعضهم بعضا على مصالحهم الخاصة، ويا أسفى لأمة الإسلام في عصرنا الحاضر حيث يجهل بعضهم بعضا، ويكيد بعضهم لبعض.

٣٠٥٢- تفيد بيان سفه اليهود حيث أعطاهم الله العقل فلم يستفيدوا منه.

٣٠٥٣- تفيد أن من سفه اليهود أنهم يعيبون على العاقل تعقله، وأنهم يتخذون من صنيعهم سلاحًا عليهم؛ لقولهم: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ تفيد أن الهوى يعطل العقل ويظن صاحبه أنه عاقل.

٣٠٥٤- تفيد الثناء على العقل، والحكمة؛ لأن قولهم: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ لهم على هذا الفعل؛ وأنه ينبغي للإنسان أن يكون عاقلًا؛ ما يخطو خطوة إلا وقد عرف أين يضع قدمه؛ ولا يتكلم إلا وينظر ما النتيجة من الكلام؛ ولا يفعل إلا وينظر ما النتيجة من الفعل.

٣٠٥٥- تفيد أنه لا يكتمل عقل الإنسان إذا لم يكن عارفا وعالما بالعواقب والمآلات، ولهذا فإن رجاحة عقلية شخص ما تظهر في هذا الجانب أكثر من غيره.

٣٠٥٦- تفيد مع ما بعدها من قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أن العقل بدون العلم بشرع الله وأحكامه جهل وضلال، ولهذا تجد أن أكثر من يتشدق بالعقل والتنوير هم الجهلاء والضلال.

٣٠٥٧- تفيد الثناء على أصحاب العقول النيرة الذين يعقلون عن الله.

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[البقرة:٧٧].

٣٠٥٨- تفيد أنه ينبغي استخدام لغة الخصم في الحوار والمجادلة، فهؤلاء عندما استخدموا لغة السؤال والاستفهام مع بعضهم للإقناع، رد الله عليهم بلغتهم التي يتقنونها.

٣٠٥٩- تفيد التنديد بأولئك القوم لموقفهم الشائن، وفكرهم السقيم، ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

٣٠٦٠- تفيد بيان فساد فهم القوم، حيث ظنوا أن ما يخفونه يمكن إخفاؤه على الله ﷻ.

٣٠٦١- تفيد إقامة الحجة على اليهود، وكشف ما يخفونه ويكتمونه.

٣٠٦٢- تفيد أن خير العلوم وأفضلها ما دلَّ على مراقبة الله تعالى وخشيته في السر والعلن.

٣٠٦٣- تفيد أن من راقب الله تعالى في سره وعلانية فاز بلب العلوم وخلاصة الفهوم.

٣٠٦٤- يفيد ورود لفظ الجلالة "الله" نذارة العليم لخفايا أهل السوء والشر.

٣٠٦٥- تفيد إثبات عموم علم الله سبحانه، ورد على القدرية الذين ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، فالأمر- عندهم - أنف: أي مستأنف لم يسبق في علم الله وتقديره، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

٣٠٦٦- تفيد قمة البلاغة القرآنية حيث جمعت آية واحدة لا تتعدى السطر الواحد بين الطباق والجناس الناقص والمقابلة، [﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾-﴿ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾، ﴿يَعْلَمُونَ﴾-﴿يُعْلِنُونَ﴾،﴿يُسِرُّونَ﴾ - ﴿يُعْلِنُونَ﴾]، فما أعظم كلام ربنا، وما أروع بلاغته وحسن بيانه.

٣٠٦٧- تفيد أن السر والعلانية عند الله سواء، كقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[طه: ٧].

٣٠٦٨- تفيد أن بعض الناس يوصف بالحبر والعالم - كما عند اليهود - وهو أبعد ما يكون عن العلم الحقيقي الذي يورث خشية الله تعالى ومراقبته في السر والعلانية، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨]، فيا من يصفون أنفسهم بعلماء المسلمين، ويجرون خلف عرض من الدنيا الفانية أولا تعلمون أن الله يعلم ما تسرون وما تعلنون؟ - والله إنها آية تقشعر لها الأبدان.

٣٠٦٩- يفيد تقديم السر على العلن في الآية إشارة إلى أن السر عند الله كالعلانية، بل وأكثر من ذلك فيه إشارة لمن نور الله بصيرته بهدايات القرآن الكريم أنه سبحانه وتعالى يعاقب يوم القيامة على ذنوب السرائر والخلوات قبل ذنوب الظواهر والجلوات، قال تعالى:﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]فاللهم اعف عنا واستر علينا يوم نلقاك يا رب العالمين.

٣٠٧٠- تفيد إرشادا للمسلم إلى تعظيم الرب تبارك وتعالى والاستحياء منه ومراقبته في السر والعلن.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[البقرة:٧٨].

٣٠٧١- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآيات الكريمة السابقة، فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى في الآيات السابقة أهل العلم من اليهود، وأوضح بأنهم يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، ذكر أهل الجهل منهم وأوضح بأنهم يتكلون على الأماني ويعتمدون على الظنون التي لا تغني من الحق شيئا.

٣٠٧٢- تفيد أن الأُمّية يوصف بها من لا يقرأ، ومن يقرأ ولا يفهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[البقرة: ٧٨].

٣٠٧٣- تفيد أن الأمية الحقيقية المذمومة ليس من لا يقرأ ولا يكتب، بل من يقرأ ويكتب ولكن لا يعلم حقيقة ما هو مكتوب ومقروء.

٣٠٧٤- تفيد بيانا لصفة من لا يفقه كلام الله ولا يعمل به، وإنما يقتصر على مجرد تلاوته، كما قال الحسن البصري: «نزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا»، فالأمي هنا قد يقرأ حروف القرآن أو غيرها ولا يفقه، بل يتكلم في العلم بظاهر من القول ظنًا، فهذا أيضا أمي مذموم، كما ذمه الله؛ لنقص علمه الواجب سواء كان فرض عين أم كفاية.

٣٠٧٥- تفيد أن من ذم أحدا على شيء ذم بما ذم به، لأن الجزاء من جنس العمل، ولأن وقوع الذم بما ذم به أقسى وأقوى وقعا عليه، فاليهود كانوا يذمون العرب بأنهم أميون وأنهم ليس لديهم كتاب، فذمهم الله بما ذموا به العرب، بل وأشار إلى أن الأمية المذمومة هي أن يكون لديك كتاب تتلوه وتقرأه ولا تعلم حقيقة ما فيه.

٣٠٧٦- تفيد أن معرفة الكتاب المراد يكون بحسب السياق، والمراد بالكتاب ههنا التوراة.

٣٠٧٧- تفيد أن العلم بالتعلم لا بالتمني والظنون.

٣٠٧٨- تفيد أن هداية المقلد والجاهل من أصعب المهام على الدعاة.

٣٠٧٩- تفيد ذم من لا يعتني بمعرفة معاني كتاب الله ﷻ، لأن من لا يفهم لن يعمل فالفهم قائد العمل.

٣٠٨٠- تفيد ذما للذين يدعون العلم من اليهود، وأنهم لا يفقهون كتابهم ولا يعلمون ما فيه.

٣٠٨١- تفيد أن هذا الذم يشمل أمة القرآن أيضا ممن يقرأون القرآن الكريم بلا تدبر ولا فهم ولا عمل، من أهل الأهواء والتأويلات الباطلة.

٣٠٨٢- تفيد حثًا على تدبر كتاب الله وفهم معانيه.

٣٠٨٣- تفيد تحذيرا من الله ﷻ لهذه الأمة من أن يكونوا مثل أولئك الأميين.

٣٠٨٤- تفيد أنه ليس كل من يقرأ الكتاب يفهم معانيه فضلًا عن معرفة حكمه وأسراره، وواقع أكثر المسلمين اليوم شاهد على هذا، فإن حفظة القرآن منهم من لا يعرفون معانيه فضلًا عن غير الحافظين له

٣٠٨٥- تفيد اهتمام الإسلام بالعلم، وطلب الحجة والدليل.

٣٠٨٦- تفيد ذم التبعية المطلقة للآخرين دون النظر في الدليل.

٣٠٨٧- تفيد توبيخا لليهود بوصفهم بخصلة ذميمة وهي الكذب ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

٣٠٨٨- تفيد أن علم بني إسرائيل مبني على الظن لا على اليقين.

٣٠٨٩- تفيد التحذير من التخرص، وإطلاق الأحكام بناء على الظن.

٣٠٩٠- تفيد أن المعارف كسبية لا ضرورية فلذلك ذم من لا يعلم ويكتفي بمجرد الظن.

٣٠٩١- تفيد أن الاكتفاء بمجرد الظن في أصول الدين غير جائز.

٣٠٩٢- تفيد إيماء إلى أن المقطوع به مقدم على المظنون في باب الأحكام الشرعية وغيرها.

٣٠٩٣- تفيد أنه لا اجتهاد مع النص، وان استعمال الظنون مع وضوح وجوه الدلالات جهل وضلال.

٣٠٩٤- تفيد أن من لا يفهم المعنى فإنه لا يتكلم إلا بالظن؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ومن يفهم معناه فإنه يتكلم بالحق البيّن.

٣٠٩٥- تفيد أن من علم ما في الكتاب المنزل من عند الله حق العلم فتح الله عليه أبواب اليقين، ومن جهل ما فيه فتح على نفسه أبواب الظنون والشكوك.

٣٠٩٦- تفيد بيان مشابهة اليهود للبهائم التي لا تدري ما تحمل، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

٣٠٩٧- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة، فالمذكورون في الآية السابقة الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، أشارت هذه الآية إلى أنهم انتحلوا لأنفسهم صفة العلم والتفرد بكتابة كلام الله، ومعرفة ما هو منسوب إليه، وما ليس بمنسوب إليه، مع أنهم جاهلون لا يعلمون حقيقة ما في الكتاب، فكتبوا الكتاب بأيديهم النتنة الملطخة بدماء الأنبياء والصالحين من عباد الله، وملأوه بالقصص التافهة، والمعلومات المغلوطة، ليتفيهقوا بها في المجامع والمحافل، ويتصدروا المجالس والنوادي؛ ويأخذوا على ذلك عرضا قليلا من الدنيا، وهذه شنشنة

الجهلة المتطلعين إلى الرئاسة عن غير أهلية؛ ليظهروا في صور العلماء لدى أنظار العامة ومن لا يميز بين الشحم والورم.

٣٠٩٨- تفيد مناسبة لما قبلها فبعد أن كشفت الآيات السابقة طباع اليهود من الكذب والتدليس والخداع والمكر والجدل والمماطلة والجرأة على الله وأنبيائه... تظهر هذه الآية اختلاقهم كتابا من عند أنفسهم، يسطرون فيه أباطيلهم وأساطيرهم، ويدَّعون أنه من عند الله تعالى، فلهؤلاء ويل ثم ويل ثم ويل.

٣٠٩٩- تفيد مناسبة للآية السابقة، حيث إنهم لما كانوا لا يعلمون من الكتاب إلا تخرصات، وعلمهم مبني على الظن الذي هو أكذب الحديث، فإن الكتاب لا بد أن يكون مليئا بما هو مكتوب بأيديهم ومن عند أنفسهم، ولكي يعطوه صفة القداسة يقولون: هو من عند الله.

٣١٠٠- تفيد عظم الذنب المذكور، والتغليظ على فاعله، حيث كرر الويل ثلاث مرات، فابتدأت الآية بويل وتوسطها ويل وختمت بويل، فيا لعظم هده العقوبة. نعوذ بالله من الويل والثبور.

٣١٠١- يفيد تقديم "ويل" براعة استهلال، وفيها نذارة شديدة لشناعة الفعل الذي سيذكر بعدها، وتهديدا ووعيدا يشمئز منه الجسد، وترتعد منه الفرائص.

٣١٠٢- تفيد كلمة بأيديهم تفاوت عظم المعصية فمن اقترح وأشار ليس كمن باشر.

٣١٠٣- تفيد قبح الجارحة التي تباشر المعصية، فقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ فإنه قد علم أن الكتب لا يكون إلا باليد، فهو مثل قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾[آل عمران: ١٦٧]، ولكن ذكرها يفيد قبح هذه الأيدي والأفواه التي تباشر السوء -والله أعلم-.

٣١٠٤- تفيد إشارة إلى أن كتابة كلام الله باليد أسلوب مهم في تعلم وتعليم الكتب السماوية.

٣١٠٥- تفيد عدم وجود دلالة من الآية على ما ذهب إليهم بعضهم من الاستدلال بها على المنع من أخذ الأجرة على كتابة المصحف.

٣١٠٦- تفيد أن التوراة لم تكن محفوظة في الصدور، وإنما كانت مكتوبة ومحفوظة في السطور، ولهذا كانت سهلة التحريف، ويسيرا أن ينسب أي كائن من كان ما خطته يداه إلى أنه من عند الله، وفي هذا مزية لأمة القرآن ولحملته أن أناجيلهم في صدورهم، كما ورد في الأحاديث.

٣١٠٧- يفيد ورود ﴿يَقُولُونَ﴾ تنبيها على طبيعتهم التقولية، وعدم الثقة بقولهم، فهم قوم يستحلون الكذب، ويخادعون، ويلبسون الحق بالباطل.

٣١٠٨- تفيد أن اليهود لم تكتف بالتحريف، وبالكتابة لما حرفوا من الكلم، بل نادوا في المحافل بأن ذلك المكتوب من عند الله لينالوا به شيئا من متاع الدنيا الحقيرة الفانية، وذلك بغرض التزوير في كلام الله ﷻ.

٣١٠٩- تفيد أن اليهود ما قدورا الله حق قدره، وما عظموا الله حق عظمته، إذ كيف ينسبون إليه ما ليس من عنده؟.

٣١١٠- تفيد قصور بني إسرائيل وعجزهم في المحافظة على كلام ربهم، منبع عزهم وكرامتهم، فلم يستفسروا عن تاريخ هؤلاء الكتبة، ولم يدر في خلدهم أنهم قد يكذبون على الله في نسبة ما كتبوه إليه سبحانه وتعالى، إذ كيف لكاذب حقير أن يتلقى الكتاب من عند الباري سبحانه وتعالى، وقد أكرم الله أمة القرآن بالإسناد، فحفظ الله به كتابه وسنة رسوله ﷺ، وإلا لقال من شاء ما شاء، ولكتب من شاء ما شاء ونسبه إلى الله ورسوله.

٣١١١- تفيد التحذير الشديد من القول على الله بغير علم في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله ليتوصل بهذا القول إلى شيء من متاع الدنيا وحطامها الفاني.

٣١١٢- تفيد الوعيد الشديد لمن طلب علما يبتغي به وجه الله لينال عرضا من الدنيا.

٣١١٣- تفيد التحذير الشديد من الفتاوى الباطلة التي تحرم ما أحل الله أو تحلل ما حرم ليتوصل بها صاحبها إلى غرض دنيوي كمال، أو حظوة لدى ذي سلطان.

٣١١٤- تفيد أن أعظم الذنوب ما كان كذبا على الله؛ لأنه في البدء تجارة وتلبيس، ثم يصبح تشريعا يتبع.

٣١١٥- تفيد أهمية التنبه للعلماء المحرفين الذين يكتمون الحق ويغيرونه.

٣١١٦- تفيد أن هذه الأمة سيكون منها بعض منتحلي العلم اتباعا لسنن المضلين من بني إسرائيل.

٣١١٧- تفيد عظم خطر الأئمة المضلين؛ حتى أنهم بلغ بهم أن يكتبوا الكتاب بأيديهم وينسبونه لله ﷻ عمدا ليشتروا به دنيا فانية.

٣١١٨- تفيد أن الفرق واضح لذوي البصيرة بين أئمة الهدى وأئمة الضلال، فالفرق بين الكتاب الذي أنزله الله والكتاب الذي كتبه البشر بأيديهم واضح لمن تجرد للحق واجتهد للوصول إليه.

٣١١٩- يفيد قوله تعالى:﴿لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾تنبيها على أمرين: الأول: أنه تنبيه على نهاية شقاوتهم لأن العاقل يجب أن لا يرضى بالوزر القليل في الآخرة لأجل الأجر العظيم في الدنيا، فكيف يليق به أن يرضى بالعقاب العظيم في الآخرة لأجل النفع الحقير في الدنيا. الثاني: أنه يدل على أنهم ما فعلوا ذلك التحريف ديانة بل إنما فعلوه طلبا للمال والجاه، وهذا يدل على أن أخذ المال على الباطل وإن كان بالتراضي فهو محرم، لأن الذين كانوا يعطونه من المال كان على محبة ورضا، ومع ذلك فقد نبه تعالى على تحريمه. قاله الفخر الرازي.

٣١٢٠- تفيد أنه مهما بلغ الثمن الذي يرجوه من يحرف كلام الله ويفتري على الله، فإنه بخس قليل.

٣١٢١- يفيد وصف الله تعالى ما يأخذونه بالقلة: إما لفنائه وعدم ثباته، وإما لكونه حراما، لأن الحرام لا بركة فيه ولا يربو عند الله.

٣١٢٢- تفيد أن الجزاء بحسب العمل؛ والأخطر منهما مقدم في الويل والعقاب، لقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

٣١٢٣- تفيد إثبات العلل والأسباب؛ لقوله تعالى:﴿مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ فإن هذا بيان لعلة الوعيد؛ وهذه غير الفائدة السابقة؛ لأن الفائدة السابقة جزاؤهم بقدر ما كتبوا؛ وهذه بيان السبب.

٣١٢٤- تفيد أن ما نتج عن المحرم من الكسب فإنه يأثم به الإنسان؛﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾فمثلًا إذا عمل الإنسان عملًا محرمًا كالغش، فإنه آثم بالغش؛ وهذا الكسب الذي حصل به هو أيضًا آثم به.

٣١٢٥- تفيد أن حب الدنيا والركون إليها والتعلق بها يوصل بصاحبه إلى مالا يخطر بباله في فساد الأعمال.

٣١٢٦- تفيد أن البائع اليهودي الحقير دائما ما يحاول ترويج بضاعته وتنميق سلعته، وإن اقتضى ذلك الكذب على الله، وتحريف الحقائق، ولهذا فمن كذب على الله لا يتورع عن الكذب على غيره، بل يكون أشد كذبا وزورا، ولهذا كان أكثر كسب اليهود سحتا وأكلا بالباطل، وينبغي للأمة المسلمة في العصر الحاضر الذي أصبح العالم فيه قرية صغيرة التنبه للبضائع التي يصدرها اليهود، والتي فيها الاستهانة بدين الله تعالى، والطعن في عقيدة المسلمين.

٣١٢٧- تفيد أن أغلب بيع اليهود مما يُغبن ويُخدع فيه الشاري، ويُمكر به سواء أكان معنويا أو ماديا... ومن أخطر تجاراتهم الإعلام الهابط.

٣١٢٨- تفيد أن الإنسان محاسب على ما كتبت يده إذا كان يقصد بكتابته أمور غير شرعية، ويخدع من يقرأ له وينسب ما كتب لله تعالى.

٣١٢٩- يفيد ذكر الويل للكتبة إشارة إلى خطورة الكتابة، وأن المكتوب يبقى بعد موت كاتبه، فكان هذا أشد خطورة من القول؛ ولهذا فليحذر من يعشق الكتابة فإن خطورتها أعظم، وعقوبتها أشد إذا لم يحسن الكاتب ما كتبه، وصدق الشاعر حين قال:

وما من كاتب إلا سيفنى ** ويبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ** يسرك في القيامة أن تراه

٣١٣٠- تفيد خطورة أثر المكتوب في الناس، ولهذا قيل: قل لي ماذا تقرأ؟ أقل لك من أنت.

٣١٣١- تفيد أن العقوبة على قدر الجرم فهؤلاء لما جمعوا جريمتين جريمة الكذب في المكتوب، وجريمة شراء دينهم بثمن من الدنيا قليل جمع لهم ويلين، ويل لجرم ما كتبوه، وويل لجرم ما كسبوه.

٣١٣٢- تفيد أن الغاية لا تبرر الوسيلة. فالكسب يجب أن يكون من طريق مباح وإلا عاد على صاحبه بالويل والثبور.

٣١٣٣- تفيد عظم تأثير الأطماع الدنيوية على مسير طلاب العلم.

٣١٣٤- تفيد التحذير الشديد من الكسب الحرام خاصة الذي يكون بسببه فساد للدين ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

٣١٣٥- تفيد أن من أنفق سلعته بنسبتها إلى الدين فهو بين خطرين؛ خطر محق بركة ما يأخذ، وخطر وزر من عمل بما كتب.

٣١٣٦- تفيد أن العقوبة مترتبة على الفعل نفسه ﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ﴾ وعلى ما ترتب عليه ونتج عنه من كسب محرم ﴿وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾.

٣١٣٧- تفيد التحذير من التبديل والتغيير والزيادة في الشرع، فكل من بدل وغير أو ابتدع في دين الله ما ليس منه فهو داخل تحت هذا الوعيد الشديد، والعذاب الأليم، وقد حذر رسول الله ﷺ أمته لما قد علم ما يكون في آخر الزمان فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» الحديث، وسيأتي، فحذرهم أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم في الدين خلاف كتاب الله أو سنته أو سنة أصحابه فيضلوا به الناس، وقد وقع ما حذره وشاع، وكثر وذاع، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣١٣٨- تفيد أن لدى عوام الناس ثقة عمياء للعلماء، ومحبة أكيدة لما جاء عن الله، ولهذا يتجرأ العلماء أصحاب الهمم الوضيعة والأهداف الخسيسة والذين يحبون الصدارة والرئاسة على حساب دين الله تعالى، وعلى هؤلاء أن يتقوا الله، وألا يبيعوا آجلهم بعاجلهم، فيبن لهم الغبن في بيع وفي سلم.

٣١٣٩- تفيد أنه ليس كل كاتب يؤتمن، وليس كل قائل يصدق، وليس كل بائع يربح، وليس كل قائل: الله، يعرف عظمة الله وقدره.

٣١٤٠- تفيد أن تخاذل أصحاب الحق يجرئ أصحاب الباطل في ترويج باطلهم، والاستحواذ على عقول العوام، ولا نستغرب استحواذ علماء الرافضة الشيعة على عقول عوام المسلمين بعد أن تخاذل علماء أهل السنة في إيصال الحق إليهم، والله المستعان.

[فائدة] قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في هذه الآيات السابقة: قسم الله من ذمه من أهل الكتاب إلى محرفين وامميين... إلى أن قال: «وفي هذا عبرة لمن ركب سنتهم من أمتنا، فإن المنحرفين في نصوص الكتاب والسنة كالصفات ونحوها من الأخبار والأوامر: قوم يحرفونه إما لفظا وإما معنى، وهم النافون لما أثبته الرسول ﷺ جحودا وتعطيلا ويدعون أن هذا موجب العقل الصريح القاضي على السمع. وقوم لا يزيدون على تلاوة النصوص لا يفقهون معناها ويدعون أن هذا موجب السمع الذي كان عليه السلف، وأن الله لم يرد من عباده فهم هذه النصوص، فهم ﴿يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[البقرة: ٧٨] أي تلاوة ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[البقرة: ٧٨]ثم يصنف أقوام علوما يقولون: إنها دينية، وإن النصوص دلت عليها والعقل، وهي دين الله، مع مخالفتها لكتاب

الله، فهؤلاء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله بوجه من الوجوه، فتدبر كيف اشتملت هذه الآيات على الأصناف الثلاثة، وقوله في صفة أولئك: ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[البقرة: ٧٦] حال من يكتم النصوص التي يحتج بها منازعه حتى وإن منهم من يمنع رواية الأحاديث المأثورة عن الرسولﷺ، ولو أمكنهم كتمان القرآن لكتموه، لكنهم يكتمون من وجوه دلالته من العلوم المستنبطة منه، ويعوضون الناس عن ذلك بما يكتبونه بأيديهم ويضيفونه إلى أنه من عند الله». مجموع الفتاوى: [١٤/٧٠-٧١].

وقال أيضا: إن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصله من البدع الباطلة. وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه، ومتناول لمن كتب كتابا بيده مخالفا لكتاب الله، لينال به دنيا وقال: إنه من عند الله، مثل أن يقول: هذا هو الشرع والدين، وهذا معنى الكتاب والسنة، وهذا معقول السلف والأئمة، وهذا هو أصول الدين، الذي يجب اعتقاده على الأعيان والكفاية، ومتناول لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة، لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله. وهذه الأمور كثيرة جدا في أهل الأهواء جملة، كالرافضة، وتفصيلا مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء.

قال تعالى﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة:٨٠].

٣١٤١- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآيات الكريمة السابقة فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح أفعالهم وشنيع أعمالهم أوضح في هذه الآية أنهم يمنون أنفسهم بأماني كاذبة بقلة العقوبة التي سوف تمسهم في النار، في إشارة خفية إلى أنهم أمنوا العقوبة فأساءوا الأدب مع الله ومع انبيائه وشرعه، وفي هذا تظهر العلاقة المباشرة بينها وبين الآية الكريمة السابقة، فعندما توعد الذين يكتبون الكتاب بالأوصاف المذكورة بالويل استخفوا بذلك واستقلوه في هذه الآية الكريمة.

٣١٤٢- تفيد مناسبة لما قبلها حيث تظهر التقول الذي امتاز به هؤلاء القوم، والكذب الصراح الذي برعوا فيه، وادعاء ما لا يعلمون خبره، ولا يملكون فيه قرارا.

٣١٤٣- تفيد مع ما قبلها أن مما طالته أيدي الكتبة المحرفين لكتابهم هو ما ذكرته هذه الآية الكريمة.

٣١٤٤- تفيد بيانا لواحدة من ادعاءات اليهود الدالة على غرورهم، وانحراف افكارهم وانتكاس عقولهم.

٣١٤٥- تفيد اعتراف اليهود بجرمهم، واستحقاقهم للنار.

٣١٤٦- تفيد إثبات سفه اليهود الذين ادعوا أن النار تمسهم أياما معدودة، وما عرفوا ما يعدل اليوم الواحد منها وما هو طوله عند الله.

٣١٤٧- تفيد تفنيدا وإبطالا وردا لدعوى اليهود بأرقى أسلوب وأفحمه.

٣١٤٨- تفيد أن العبد لا يجوز له أن يشهد لأحد بجنة أو نار، دخولا أو خروجا، الا من شهد الشارع وجاءت به النصوص.

٣١٤٩- تفيد أن اليهود يقرون بالآخرة، وأن هناك نار وجنة؛ لكن هذا الإقرار لا ينفعهم؛ لأنهم كذبوا محمدًا ﷺ، ولأن الايمان اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان؛ وعلى هذا ليسوا بمؤمنين، ولم يستعدوا لهذه النار.

٣١٥٠- تفيد شدة جهل اليهود وغرورهم فهم مع أفعالهم القبيحة يزكون أنفسهم، ويشهدون لها بالنجاة من عذاب الله، والفوز بثوابه، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، أي: قليلة تعد بالأصابع، فجمعوا بين الإساءة والأمن.

٣١٥١- تفيد أن صدق دعواهم متوقف على أحد هذين الأمرين اللذين لا ثالث لهما: إما أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهدا، فتكون دعواهم صحيحة. وإما أن يكونوا متقولين عليه فتكون كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم وعذابهم، وقد علم من حالهم أنهم لم يتخذوا عند الله عهدا، لتكذيبهم كثيرا من الأنبياء، حتى وصلت بهم الحال إلى أن قتلوا طائفة منهم، ولنكولهم عن طاعة الله ونقضهم المواثيق، فتعين بذلك أنهم متقولون مختلقون، قائلون عليه ما لا يعلمون، والقول عليه بلا علم، من أعظم المحرمات، وأشنع القبيحات.

٣١٥٢- تفيد أن من أمن مكر الله فهو في خطر كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

٣١٥٣- تفيد تحذيرا لأمة محمد ﷺ من التشبه باليهود في طول الامل والاعتماد على الأماني، وعدم الاتكال على المقولة الشائعة «نحن أمة مرحومة»، فإنه كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء: ١٢٣].

٣١٥٤- تفيد ردا على أبي حنيفة وأصحابه، حيث استدلوا بقوله ﷺ: «دعي الصلاة أيام أقرائك» في أن مدة الحيض ما يسمى أيام الحيض، وأقلها ثلاثة وأكثرها عشرة، قالوا: لأن ما دون الثلاثة يسمى يوما ويومين، وما زاد على العشرة يقال فيه أحد عشر يوما ولا يقال فيه: أيام، وإنما يقال: أيام من الثلاثة إلى العشرة، قال الله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى﴾[البقرة: ١٩٦] ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾[هود:٦٥]، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[الحاقة:٧]، فيقال لهم: فقد قال الله تعالى في الصوم: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[البقرة: ١٨٤]يعني جميع الشهر، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[آل عمران:٢٤] يعني أربعين يوما. وأيضا فإذا أضيفت الأيام إلى عارض لم يرد به تحديد العدد، بل يقال: أيام مشيك وسفرك وإقامتك، وإن كان ثلاثين وعشرين وما شئت من العدد، ولعله أراد ما كان معتادا لها، والعادة ست أو سبع، فخرج الكلام عليه، والله أعلم، قاله القرطبي.

٣١٥٥- تفيد أن كون اليهود مفضلين على العالمين في زمانهم لا يعني صكا لتخفيف العقوبة، بل هي الحسنات التي ترفع صاحبها.

٣١٥٦- تفيد حسن مجادلة القرآن؛ لأنه حصر هذه الدعوى في واحد من أمرين، العهد عند الله، أو القول على الله تعالى بغير علم.

٣١٥٧- تفيد إرشادا للنبي ﷺ ومن بعده إلى كيفية محاجَّة اليهود.

٣١٥٨- تفيد مطالبة كل مدعي بالبينة على ما زعم.

٣١٥٩- تفيد أنه ينبغي في المجادلة والمحاورة أن لا يبادر الخصم بتكذيب خصمه، بل يعطيه فرصة التراجع من عند نفسه وإعطائه الخيارات التي سوف تلجئه لا محالة إلى الاذعان للحق، فاليهود في هذه الآية أعطوا فرصة إثبات انهم اتخذوا عهدا عند الله فإن لم يوجد ذلك عندهم فلا شك انهم سوف يذعنون للحكم الآخر وهو أنهم يقولون على الله ما لا يعلمون.

٣١٦٠- تفيد أن الله سبحانه وتعالى لن يخلف وعده، بل ينجز وعده سبحانه؛ وكونه لا يخلف الوعد يتضمن صفتين عظيمتين هما: الصدق، والقدرة، لأن إخلاف الوعد إما لكَذِب، وإما لعجز؛ فكون الله -جلَّ وعلا- لا يخلف الميعاد، يقتضي كمال صدقه، وكمال قدرته، فهو منزه عن الكذب والعجز.

٣١٦١- تفيد أن العهد في هذا الموضع يجري مجرى الوعد والخبر، وإنما سمي خبره سبحانه عهدًا لأن خبره سبحانه أوكد من العهود المؤكدة منا بالقسم والنذر، فالعهد من الله لا يكون إلا بهذا الوجه.

٣١٦٢- تفيد أن من اتخذ عهدا عند الله بالإيمان به واتباع نبيه محمد ﷺ وما جاء به عن الله، استحق عهد الله الذي لا يتخلف وهو عدم الخلود في النار، ودخول الجنة.

٣١٦٣- تفيد أنه ينبغي للعبد أن لا يخلف عهوده مع الآخرين، مهما كانت الظروف والأحوال.

٣١٦٤- تفيد أن القول على الله بغير علم من أكبر الكبائر، وهو قرين الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٣٣].

٣١٦٥- تفيد أن القول بغير دليل باطل؛ وذلك لأن سبحانه تعالى عابهم عليه.

٣١٦٦- تفيد خطورة وحرمة القول على الله تعالى بغير علم، وهو يشمل القول عليه في أحكامه، وفي ذاته، وصفاته؛ من قال عليه ما لا يعلم بأنه حلَّل، أو حرَّم، أو أوجب، فقد قال على الله بلا علم؛ ومن أثبت له شيئًا من أسماء، أو صفات لم يثبته الله لنفسه فقد قال على الله بلا علم؛ ومن نفى شيئًا من أسمائه وصفاته فقد قال على الله بلا علم؛ ومن صرف شيئًا عن ظاهره من نصوص الكتاب والسنة بلا دليل فقد قال على الله بلا علم.

٣١٦٧- تفيد أن اليهود يقولون على الله ما لا يعلمون، إما كذبًا، وإما جهلًا؛ والأول أقرب، وكل من يقول على الله تعالى بغير علم ففيه صفة من صفات اليهود.

٣١٦٨- تفيد التحذير من الفتيا بغير علم وأن ينسب الى الله ورسوله ودينه ما ليس منه وهو من التقول على الله بغير علم.

٣١٦٩- تفيد أن من ابتعد عن المنهج الصحيح يقترف أخطاء كثيرة تقوده إلى ارتكاب ما حرم الله تعالى.

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٨١].

٣١٧٠- تفيد مناسبة لما قبلها حيث جاءت للرد على دعواهم أنهم لن يدخلوا النار إلا أياما معدودة.

٣١٧١- تفيد مع ما قبلها بقاء النار وعدم فنائها وعدم ذهاب خاصية المس والإحراق فيها، لأن اليهود في الآية السابقة نفوا استمرار مس وحرق النار في حقهم، وهذه الآية مسوقة في الرد عليهم.

٣١٧٢- تفيد تكذيبا لما ادعته اليهود القائلين: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، وإثبات ما نفوه.

٣١٧٣- تفيد أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه نسبا ولا قرابة، فلما قالت يهود: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾[البقرة:٨٠] وقالوا مع النصارى: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[المائدة: ١٨] وتوهموا لما أنعم الله به عليهم من النعم بأنهم شعب الله المختار، فلن يعذبهم، وإن عذبهم ففي أيام معدودة، قطع الله عليهم هذا التوهم بقوله ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[البقرة: ٨١] وهي عامة من أي جنس كان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وليس أياما معدودة كما توهموا.

٣١٧٤- يفيد خروج الآية من الكلام عن اليهود إلى عموم العبيد إشارة إلى أن النار لمن عصى، والخلود لمن مات على الكفر ولم يتب.

٣١٧٥- تفيد إخبارا من الله جل شأنه أنه معذب من كفر به وبرسله وأحاطت به ذنوبه.

٣١٧٦- تفيد أن اليهود جمعوا بين السيئة والخطيئة لشناعة فعلهم وقبيح قولهم.

٣١٧٧- تفيد أن كل من عمل عملهم استحق مصيرهم.

٣١٧٨- تفيد أن مجرد كسب السيئة لا يوجب الخلود في النار بل لا بد أن تكون سيئة وخطيئة محيطة بالعبد، وهي الشرك بالله.

٣١٧٩- تفيد أن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته.

٣١٨٠- تفيد أن من كسب سيئة لكن لم تحط به الخطيئة فإنه ليس من أصحاب النار؛ لكن إن كان عليه سيئات فإنه يعذب بقدرها. ما لم يعف الله سبحانه وتعالى عنه.

٣١٨١- تفيد أن من أحاطت به خطيئته فلم يكن له حسنة، فإنه من أصحاب النار الذين لا يخرجون منها.

٣١٨٢- تفيد أن الإسراف في المعاصي يغلق على العبد أبواب الهداية فليجتنب.

٣١٨٣- تفيد التنفير عن العمل السيء، والحث على العمل الصالح.

٣١٨٤- تفيد أن سيئة الشرك والكفر تغطي العبد وتحجبه عن النفحات الإلهية، والهدايات الربانية، وتدخله في ظلمات عميقة في الدنيا والآخرة.

٣١٨٥- تفيد أن التساهل في المعاصي والجرأة عليها والإدمان على الذنوب يؤدي الى إحاطتها بالعبد فتوبقه.

٣١٨٦- تفيد أن الله لا يظلم الناس شيئا، وإنما هي أعمالهم يوفي لهم إياها، فمن عمل سيئة فلا يلومن الا نفسه، ومن عمل صالحا فليحمد الله.

٣١٨٧- تفيد الرد على الجبرية الذين يقولون: إن العبد لا يكسب وإنما ما يفعله هو مجبور على فعله.

٣١٨٨- تفيد ردا على الخوارج الذين يكفرون بالكبائر؛ لأن السيئة في الآية هي سيئة الشرك والمؤمن ولو كان عاصيا لا تحيط به خطيئته، -والله اعلم-.

٣١٨٩- تفيد بلاغة اللفظة القرآنية، فكلمة الأصحاب اكتنزت في طياتها الكثير من المعاني والدلالات لكلا الفريقين، أصحاب النار وأصحاب الجنة.

٣١٩٠- يفيد ورود لفظة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ملازمتهم للنار.

٣١٩١- يفيد إضافة صحبتهم للنار دليلا على أنهم ما عرفوا في الدنيا غير عمل أهل النار.

٣١٩٢- يفيد ورود﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾دلالة خفية إلى أن العبد ينبغي أن يبتعد عن أصحاب النار كبعده عن النار؛ لأنهم يسحبونه إلى النار، وأن الركون إلى أصحاب النار هو ركون إلى النار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

٣١٩٣- يفيد ورود ﴿خَٰلِدُونَ﴾إشارة إلى أن سيئتهم وخطيئتهم ليست من جنس المعاصي التي دون الكفر، إنما هي من جنس الكفر الذي يخلد صاحبه في النار.

٣١٩٤- تفيد إثبات النار، وأنها دار الكافرين الذين أحاطت بهم ذنوبهم.

٣١٩٥- تفيد إثبات أن النار خالدة لا تبيد، وأهلها فيها خالدون، وأنها دار الكافرين.

٣١٩٦- تفيد أن أهل الخلود في النار لهم مواصفات محددة.

٣١٩٧- تفيد أن الكلام في أمر الآخرة لا ينبغي أن يكون بالرأي.

٣١٩٨- تفيد أن العبرة بالخواتيم، وأنه ليس الإشكال في أن تبدأ صحيفتك بالمعصية فقط، ولكن الإشكال أن تبدأ صحيفتك بالمعصية وبها تختتم.

٣١٩٩- تفيد التنبيه على خطر الذنوب صغيرها وكبيرها، وإلى العمل على تكفيرها بالتوبة والعمل الصالح قبل فوات الأوان، وقبل أن تحيط بالنفس فتحجبها عن التوبة. والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٨٢].

٣٢٠٠- تفيد مناسبة لما قبلها، فبعد أن ذكر أصحاب النار ذكر أصحاب الجنة، وفي ذلك إظهار لأسلوب من أساليب القرآن وأنه مثاني، حيث يقابل الوعيد بالوعد، والوعد بالوعيد، فالوعيد يدل على كمال حكمته، والوعد يدل على كمال رحمته سبحانه.

٣٢٠١- تفيد الآية الكريمة مع ما قبلها منة إضافية بعد ذكر بيان المصير السيء لمن أحاطت به خطيئته.. حيث ذكر في هذه الآية مآل المؤمنين في النعيم المقيم فيكون ذلك امتنانا فوق امتنان.

٣٢٠٢- تفيد مناسبة لما قبلها فبعد أن ذكر في الآية السابقة أن دخول أصحاب النار كان بسبب الأعمال الخبيثة، صرح ههنا أن سبب دخول الجنة هي الأعمال الصالحة، وكذلك تكون سببا في نيل المنازل العليا.

٣٢٠٣- تفيد مع ما قبلها أن العبرة بالخواتيم، فإن من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ثم آمن وعمل الصالحات فإن عمله هذا يجب ما قبله، وأنه من أصحاب الجنة، وفي هذا تظهر دقة وروعة الترتيب في الآيات القرآنية، وأن هذا الترتيب من لدن عليم خبير.

٣٢٠٤- تفيد أن تحقيق الإيمان هو الأساس في نيل ما وعد به الرحمن من أجر وثواب، وأن إهمال قضايا الإيمان سبب خسران في الدنيا والآخرة.

٣٢٠٥- تفيد أن العمل الصالح هو ثمرة الإيمان والبصيرة في الدين، إذ لا معنى ولا فائدة للإيمان بدون ثماره من الأعمال الصالحة، ولا بد للإيمان أن يصدقه العمل.

٣٢٠٦- تفيد أنه ليس كل عمل يدخل الجنة إنما الصالح منه، وهو ما قام على الدليل والمتابعة مع إخلاص النية فيه لله تعالى.

٣٢٠٧- يفيد ورود الإيمان والعمل بصيغة الماضي، أي أن ذلك ثبت منهم في حياتهم الدنيا، وفي ذلك إشارة إلى أن الجنة دار نعيم مقيم لا عمل فيها ولا تكليف.

٣٢٠٨- تفيد أن الطاعات وترك السيئات بها يكون صلاح الإنسان والحياة الدنيا والآخرة؛ ولذا سميت بالصالحات.

٣٢٠٩- تفيد أن أبواب العمل الصالح كثيرة، وينبغي للإنسان أن يجتهد في كل أبواب الخير والصلاح ويضرب فيها بسهم.

٣٢١٠- يفيد قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾أن هم الصالحين ينبغي أن تكون قائمة دون فتور في الأخذ بشعب الإيمان.

٣٢١١- تفيد أن الأعمال الصالحة هي غذاء الإيمان الذي به يثبت ويزيد.

٣٢١٢- تفيد أن الأعمال الصالحة إذا فقد فيها شرط الإيمان لا توصل إلى ما وعد به من أجر وثواب.

٣٢١٣- تفيد أن بعض العلماء استدلوا بهذه الآية ومثيلاتها على أن العمل الصالح خارج عن مسمى الإيمان، بدلالة العطف، وأن العطف يقتضي المغايرة الكلية، وفي هذا الاستنباط نظر؛ لأن العطف على مراتب، ولا يقتضي المغايرة الكلية فقط، وأن العمل الصالح داخل في مسمى الإيمان، ولا خلاف بين أهل السنة أن الله أراد من العباد القول والعمل، وهذا الذي يعنونه من قولهم عند الإطلاق، إن الإيمان قول وعمل.

٣٢١٤- يفيد مجيء حرف الفاء ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾في الآية السابقة وحذفها في هذه الآية إشارة خفية إلى أن دخولهم النار وخلودهم فيها كان بسبب أعمالهم، ودخول هؤلاء الجنة وخلودهم فيها كان بسبب فضل الله ورحمته وليس معاوضة عن أعمالهم، ويشهد لهذا الاستنباط النصوص الكثيرة الواردة في ذلك، وبهذا تظهر للمتأمل أن الله ﷻ قد حفظ كتابه فهو كما أنزل، لم ينقص منه حرف، ولم يزد فيه حرف،

وأن تحت كل حرف منه هدايات يظهرها الله لمن يشاء من عباده، فاللهم فقهنا في دينك، وعلمنا تأويل كلامك، وارزقنا الاهتداء بهدي كتابك وسنة نبيك محمد ﷺ.

٣٢١٥- تفيد أن الجنة هي الجزاء العظيم، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وأهلها هم الذين قاموا بالإيمان والعمل الصالح، ولا يكون العمل صالحا الا بأمرين: الاخلاص لله تعالى، والمتابعة للرسول ﷺ.

٣٢١٦- يفيد ورود كلمة ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾دوام ملازمتهم للجنة.

٣٢١٧- تفيد إثبات الجنة، وأنها دار المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وبقائها وبقاء أهلها فيها ودوام ما أعد الله لهم فيها.

٣٢١٨- تفيد خلود الجنة وخلود ما فيها من نعيم ببهجته وحسنه وسروره، وهذا من لوازم خلود أصحابها.

٣٢١٩- تفيد كمال رحمة الله ﷻ بعباده المؤمنين حيث أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار والخلود الدائم فيها.

٣٢٢٠- يفيد تقديم الجار والمجرور ﴿فِيهَا﴾على متعلقه ﴿خَٰلِدُونَ﴾الحصر.

٣٢٢١- يفيد قوله ﴿خَٰلِدُونَ﴾إشارة إلى أهمية تغليب الباقي الدائم على الفاني الزائل.

٣٢٢٢- تفيد أنه لا خلود إلا في دار الخلود، بما يذكر بفناء الدنيا ويحث للعمل للدار الباقية.

٣٢٢٣- يفيد ذكر الخلود بيانًا لنعمة أخرى لأصحاب الجنة؛ لأن مما ينغص على المتنعم بالجنان الخوف من مفارقة اللذات وانتهائها.

٣٢٢٤- تفيد الحث والترغيب وشحذ الهمم، وتقوية العزائم في التنافس على النعيم المقيم في دار المتقين بجوار رب العالمين، جعلنا الله جميعا من ساكنيها.

٣٢٢٥- تفيد أن ذكر الثواب والأجر واحدة من المحفزات لأداء الأعمال.

٣٢٢٦- تفيد سعة فضل الله تعالى وكريم بره بأوليائه حيث وفقهم لطاعته وأكرمهم بجنته.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾[البقرة:٨٣].

** قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف من القراء الثلاثة المكملين للعشرة، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ بفتح الحاء والسين.

٣٢٢٧- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآيتين السابقتين فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى هناك فريق أصحاب النار، وهم الذين كسبوا السيئات وأحاطت بهم الخطيئات، ثم فريق أصحاب الجنة وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات أشار في هذه الآية إلى أن أكثر بني إسرائيل من الفريق الأول لأنهم أعرضوا عن عبادة المعبود، وقصروا في الإحسان إلى العباد، وأن القليل منهم من أصحاب الجنة ممن امتثل لبنود الميثاق.

٣٢٢٨-تفيد مناسبة لما قبلها، حيث ذكرت في الآية مجموعة من الأسباب الموصلة إلى الخلود في الجنة لمن امتثلها، أو الخلود في النار لمن أعرض عنها.

٣٢٢٩- يفيد ذكر حسن الخلق في هذه الآية بعد الآية السابقة التي تحدثت عن أصحاب الجنة، إشارة خفية إلى أن أكثر ما يدخل الجنة بعد توحيد الله تعالى حسن الخلق، وقد ثبتت في ذلك الأحاديث النبوية الشريفة، ومن ذلك أيضا: أن المفلس في الآخرة من أفلس من الأخلاق، وإن كانت له جبال من الحسنات، قال عليه الصلاة والسلام: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وزكاته، وصيامه، وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار»، وبهذا تظهر مناسبة الفصل في هذه الآية بين ما يتعلق بحقوق الله تعالى من العبادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، بما يتعلق بحقوق العباد، في إشارة لطيفة إلى أن الدين المعاملة، وأن الأنبياء بعثوا ليتمموا مكارم الأخلاق، وأن جميع الشرائع السماوية السابقة حثت على ذلك.

أولا: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ...﴾.

٣٢٣٠- تفيد عظمة الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا﴾؛ لأن الضمير هنا للتعظيم؛ وهو سبحانه وتعالى العظيم الذي لا أعظم منه.

٣٢٣١- تفيد بيان ما كان عليه بنو إسرائيل من قمة التعنت والتزمُّت والبعد عن التعاليم الدينية السمحة وقسوة القلوب، حتى جعلت عليهم هذه الأوامر الإلهية مواثيق، وألجئوا إليها إلجاءً، وأخذها الله عليهم بعد أن أظهر عظمته عليهم [نون العظمة] ليلتزموا بها، ويعملوا بموجب بنودها.

٣٢٣٢- تفيد أن ميثاق الاسلاف يجب الأخذ به واحترامه والاذعان له من الأخلاف.

٣٢٣٣- تفيد تذكير اليهود بما أخذ الله عليهم من العهود والمواثيق.

٣٢٣٤- يفيد تسمية اليهود ببني إسرائيل تذكيرهم بالاقتداء بأبيهم، وأن نقض العهود ليست من شيم الأنبياء.

٣٢٣٥- يفيد الالتفات من الغيبة إلى الحضور أن الكلام موجَّه لليهود الحاضرين ومن تشبه بهم من المسلمين

٣٢٣٦- تفيد وجوب عبادة الله وحده لا شريك الله.

٣٢٣٧- تفيد أن التوحيد أول ما يبدأ به في المواثيق والوصايا والدعوة.

٣٢٣٨- تفيد أن التوحيد جاءت به الرسل جميعًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، فهذا أصل الدين، فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها، فهذا حق الله تعالى على عباده.

٣٢٣٩- تفيد أن العبادة خاصة بالله تبارك وتعالى؛ فلا يعبد معه غيره؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾؛ لأن الاستثناء هنا يفيد الحصر.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ...﴾.

٣٢٤٠- تفيد أن الشرائع جاءت بتنظيم العلاقات الإنسانية فنظمت أعلاها وهم الوالدين، ثم الأقرب فالأقرب من الأرحام، والجيران والأصحاب، ثم اليتامى والمساكين وغيرهم.

٣٢٤١- تفيد مكانة مكارم الأخلاق وأهميتها حيث ذكرت بعد التوحيد.

٣٢٤٢- تفيد ترتيب الحقوق، وإعطاء كل ذي حق حقه.

٣٢٤٣- تفيد فضل الوالدين، حيث جاءت الوصية بهما بعد توحيد الله وعبادته، لكونهما سببا بعد الله تعالى في وجود العبد.

٣٢٤٤- تفيد وجوب الإحسان إلى الوالدين لقوله تعالى:﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾، والإحسان إلى الوالدين شامل للإحسان بالقول، والفعل، والمال، والجاه، وغير ذلك من أنواع الإحسان، وهي كلمة جامعة مانعة في البر ﴿إِحۡسَٰنًا﴾.

٣٢٤٥- تفيد أن الإساءة للوالدين بالقول أو الفعل أو أي شيء كبيرة من الكبائر.

٣٢٤٦- تفيد أنه يجب الإحسان إلى الوالدين وإن كانا كافرين؛ لأنه جاء غير مقيد بكونهما مؤمنين أم لا، وقد ثبت في أصول الفقه أن الحكم المترتب على الوصف مشعر بعلية الوصف، فدلت هذه الآية على أن الأمر بتعظيم الوالدين لمحض كونهما والدين وذلك يقتضي العموم.

٣٢٤٧- تفيد بيان فضل أولي القربى ووجوب الإحسان إليهم، وهم قرابة الإنسان؛ ولكن يجب أن نعلم أن الإحسان يتفاوت؛ فكل من كان أقرب فهو أولى بالإحسان؛ لأن الحكم إذا عُلِّق بوصف قوي بحسب قوة ذلك الوصف.

٣٢٤٨- تفيد أن الإحسان للأقربين لا يتوقف على الحاجة، بل هو مطلوب دون حاجة؛ لأن ذلك من حقوق صلة الأرحام.

٣٢٤٩- تفيد أن الاقربين أولى بالمعروف، وأن من لم يصل إحسانه إلى أقربائه فلا خير فيه.

٣٢٥٠- يفيد إفراد ذي القربى وإضافته إلى المصدر دون غيره، إشارة إلى أن ذوي القربى وإن كثروا فهم كالشيء الواحد لا ينبغي أن يضجر من الإحسان إليهم.

٣٢٥١- تفيد وجوب الإحسان إلى اليتامى؛ وهو يشمل الإحسان إليهم أنفسهم؛ والإحسان في أموالهم وكل ما يتعلق بهما، ويدخل في الإحسان إليهم تجنب كل ما يؤذيهم، والشفقة عليهم، ورعاية شؤونهم.

٣٢٥٢- تفيد وجوب الإحسان إلى المساكين، وهم من أسكنتهم الحاجة وأذلتهم؛ وذلك بإعطائهم ما يستحقون من الزكاة، ودفع الضرورة، وما أشبه ذلك.

٣٢٥٣- تفيد أن حق اليتيم مقدم على حق المسكين.

٣٢٥٤- تفيد وجوب القول الحسن؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾وضد القول الحسن قولان؛ قول سوء؛ وقول ليس بسوء ولا حسن؛ أما قول السوء فإنه منهي عنه؛ وأما القول الذي ليس بسوء ولا حسن فليس مأمورًا به، ولا منهيًا عنه؛ لكن تركه أفضل.

٣٢٥٥- تفيد أن الإحسان للناس كما يكون بالفعل الطيب يكون كذلك بالكلمة الطيبة، والسعيد من جمع الله له بين فعل الطيب وقوله.

٣٢٥٦- تفيد استحباب التخلق بخلق المداراة مع المسلم وغير المسلم، وهي بخلاف المداهنة والتقية والنفاق، وهذا الخلق الحسن اتصف به خير الأنبياء والصالحين من عباد الله، وهو مبدأ: إنا لنبش في وجوه بعض القوم وإن قلوبنا لتلعنهم.

٣٢٥٧- تفيد بيان أثر القول الحسن على جميع الناس؛ ولذا أمر الله به مع الناس جميعًا، وأنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه، بل قال العلماء أن جميع آداب الدين والدنيا داخله تحت قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾

٣٢٥٨- يفيد الأمر بالقول الحسن للناس أمرا بالفعل الحسن للناس؛ لأن الأمر بالأدنى أمر بالأعلى، ولكن لما كان الناس قد يكسلون عن الفعل، وقد لا يجدون الأدوات والآلات التي تساعدهم على الفعل الحسن أمروا بالقول الحسن؛ لسهولة تعاطيه عن قرب وعن بعد، وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧].

٣٢٥٩- تفيد بيان فضل الإحسان في الأفعال والاقوال، وأنه ينبغي أن يكون العبد معطاء في حياته، وأن يعم إحسانه من عرفه ومن لم يعرفه.

٣٢٦٠- تفيد أن كلامك دليل عليك فليكن قولك خيرا معرفًا بك.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾.

٣٢٦١- تفيد أن الصلوات كانت مفروضة على من كان قبلنا وهذا دليل على أهميتها.

٣٢٦٢- تفيد مكانة الصلاة في كل الشرائع، ولذا تذكر في جميع مقدمات العبادات.

٣٢٦٣- تفيد أن الذي جاء في جميع الشرائع ليس الأداء بل الإقامة.

٣٢٦٤- تفيد الأمر بإقامة الصلاة على وجه الوجوب فيما لا تصح الصلاة إلا به؛ وعلى وجه الاستحباب فيما تصح الصلاة بدونه وهو من كمالها، مع الدوام والمحافظة عليها.

٣٢٦٥- تفيد وجوب إيتاء الزكاة والحث والترغيب على بذلها ودفعها لمستحقيها.

٣٢٦٦- تفيد وجوب الزكاة على من كان قبلنا؛ ولكن لا يلزم أن يكونوا مساوين لنا في الأموال التي تجب فيها الزكاة، ولا في مقدار الزكاة، ولا في أهلها الذين تدفع إليهم.

٣٢٦٧- تفيد أهمية الصدقة والمواساة والحث على تفقد أحوال الضعفاء والمساكين، وفي مسلم عن النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله».

٣٢٦٨- تفيد منهجا ودستورا للعلاقة بين العبد وربه، مما يجب عليه من عبادة الله وحده، وما يجب عليه من علاقته بالخلق من حيث الرحمة والإحسان للأولى فالأولى.

٣٢٦٩- تفيد أن أصول الأخلاق والعبادات اشتركت فيها جميع الديانات.

٣٢٧٠- تفيد أن جميع الديانات جاءت لمصلحة الإنسانية وسعادتها.

٣٢٧١- تفيد بيانًا لرحمة الله تعالى بخلقه، وإظهارًا لعنايته ورعايته بهم من خلال التشريعات التي ينزلها عليهم، وأن تشريعاته سهلة ممكنة التطبيق، وتفيد لكل البشر.

رابعًا: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾.

٣٢٧٢- تفيد التنديد بصنيع أكثر اليهود في نقض العهود والمواثيق.

٣٢٧٣- تفيد إقامة الحجة على اليهود لكونهم أعرضوا عن كل ما أخذ عليهم الميثاق لأدائه، وتركوا الإحسان، وطوقتهم سيئاتهم وخطيئاتهم.

٣٢٧٤- تفيد حرمة نقض المواثيق أو الإعراض عنها.

٣٢٧٥- تفيد أن التولي عن شرع الله سوءة، وإن كان معه إعراض فظلمات بعضها فوق بعض.

٣٢٧٦- تفيد أن الأكثرية اليهودية لا تذعن للمواثيق المؤكدة والصادرة عن الله تعالى، فكيف تذعن لما يسمى بالمواثيق الدولية والصادرة عن بشر مثلهم، ما هذا إلا هراء، وذر الرماد على العيون، ويا ليت قومي يعلمون.

٣٢٧٧- تفيد أن بني إسرائيل مع هذا الميثاق الذي أخذه الله عليهم لم يقوم به إلا القليل منهم.

٣٢٧٨- تفيد أنه لا تخلو أمة من الأمم من المخلصين الذين يحافظون على الحق بحسب معرفتهم وقدر طاقتهم.

٣٢٧٩- تفيد بيان قلة السالكين لدرب الهدى على مر العصور، وكثرة الهالكين.

٣٢٨٠- تفيد العبرة بصحبة الطائعين وإن قلوا، وعدم الاغترار بكثرة الهالكين.

٣٢٨١- تفيد تعليم المسلم الإنصاف، وعدم تعميم الأحكام، فقد استثنى الله تعالى فقال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ وهذا منهج قرآني ورد في كثير من الآيات.

٣٢٨٢- تفيد أن من أشد الأمراض التي ابتلوا بها وكانت سببًا فيما حصل منهم داء الإعراض.

٣٢٨٣- تفيد أن تولي بني إسرائيل كان توليًا كبيرًا، حيث كان توليًا مع إعراض.

٣٢٨٤- تفيد أن التولي قد يكون بإعراض، وقد يكون بغير إعراض؛ لأنه لو كان بإعراض مطلقًا لم يستقم قوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾.

٣٢٨٥- تفيد أن المتولي المعرض أشد من المتولي غير المعرض.

٣٢٨٦- يفيد ذكر الإعراض بصيغة اسم الفاعل دون غيره إشارة إلى أنهم مستمرون في الإعراض، وهي صفة دائمة لهم، فبعد أن ذكر أنهم تولوا أشار بقوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ إلى أن الذي يتولى عن الحق قد يعود إليه إذا علم وجهه، بخلاف المعرض عنه.

٣٢٨٧- تفيد بإشارة خفية إلى أن المواثيق الإلهية إذا لم توجد قوة تنشرها وتحميها وتلزم الناس بها، فإنها مع مرور الوقت سوف يعرض الناس عنها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[البقرة:٨٤].

٣٢٨٨- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فبعد أن أمرهم بالإحسان إلى فئات المجتمع قولا وفعلا في الآية السابقة نهاهم في هذه الآية عن الإساءة للمجتمع، وأعظم الإساءة إزهاق الروح المسالمة، وسفك الدماء البريئة، وإخراج النفس من الديار والأوطان، وإبعادها عن الأحبة والخلان.

٣٢٨٩- تفيد إقامة الحجة على المغضوب عليهم.

٣٢٩٠- تفيد عظمة الله في قوله ﴿أَخَذْنَا﴾فهو صاحب العظمة سبحانه.

٣٢٩١- تفيد بيان مزيد التعظيم للميثاق، بما تفيده نون العظمة في قوله ﴿أَخَذْنَا﴾.

٣٢٩٢- تفيد التشديد على أخذ الميثاق من اليهود بإضافة كاف المخاطبة.

٣٢٩٣- تفيد أن مراعاة المواثيق من دلائل الفضائل والمروءات.

٣٢٩٤- تفيد بيانا لقمة السفاهة والحماقة والتزمُّت والبعد عن التعاليم الدينية التي كان عليها بنو إسرائيل، حيث لم تكفهم الأوامر الإلهية في هذا الشأن، حتى أخذ الله عليهم المواثيق المؤكدة بعدم

التعرض لنفوسهم بالقتل والإخراج من الديار، ولا شك أنهم كانوا يقومون بما يتنافى مع الفطرة السليمة التي تحافظ على الأنفس والممتلكات، ولا يقوم بذلك إلا من نكست فطرتهم واختلت عقولهم.

٣٢٩٥- تفيد أن بني إسرائيل أُخذ عليهم تحريم قتال بعضهم بعضًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾.

٣٢٩٦- تفيد خطورة سفك الدماء بغير حقها.

٣٢٩٧- تفيد أن حرمة الدماء ثابتة في كل الشرائع.

٣٢٩٨- تفيد أن قتل البعض هو قتل للكل.

٣٢٩٩- تفيد أن الأمة كالنفس الواحدة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، فإن من سفك دم أخيه المسلم فقد سفك دمه، وأن من اعتدى على نفس واحدة كأنما اعتدى على الأمة، وأن الاعتداء على الغير هو اعتداء على النفس أولا وظلم لها.

٣٣٠٠- تفيد أن المتسبب في سفك دم الآخرين كان سببا لحل دمه. فكأنه إنما سفك دمه.

٣٣٠١- تفيد أنه يجب أن يكون المجتمع لحمة واحدة كالنفس الواحدة وأن من يضر الآخرين فقد أضر بنفسه.

٣٣٠٢- تفيد بإشارة خفية إلى تعطش بني إسرائيل لسفك الدماء واغتصاب الأرض والممتلكات، وإخراج أهلها وترويع ساكنيها، ولا زال هذا دأبهم، وأكبر شاهد على ذلك في عصرنا الحاضر ما يقومون به في فلسطين من مجازر وإزهاق للأرواح، واغتصاب للأرض وانتهاك للحرمات، فلعنة الله على القوم الظالمين.

٣٣٠٣- تفيد أن الله قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل ألا يخرج بعضهم بعضا من بيوتهم.

٣٣٠٤- تفيد أن الديار موطن الأنفس، فلا ينبغي انتهاك حرماتها.

٣٣٠٥- تفيد أن إخراج النفس من الديار كإخراج الروح من الجسد، لما يسببانه للفرد والجماعة من شعور بالألم والمرارة، ومفارقة المعهود، والبعد عن الاحباب، بل إن البعض يفضل إزهاق روحه على الإخراج من دياره، وفي هذا تظهر مناسبة الجمع بين هذين الأمرين العظيمين في آية واحدة، فما أروع التناسب والتناسق بين ألفاظ القرآن الكريم وجمله وآياته.

٣٣٠٦- تفيد النهي عن التعدي والظلم عمومًا في الحياة الاجتماعية.

٣٣٠٧- تفيد بإشارة خفية إلى حسن الجوار، وعدم الإساءة للجار بما يسبب خروجه من بيته.

٣٣٠٨- تفيد بإشارة خفية إلى عدم مقارفة ما من شأنه أن يحكم على صاحبه بخروجه من بيته، من قتل أحد، أو جريمة لا يطيق المجتمع صاحبها.

٣٣٠٩- تفيد أن بني إسرائيل قد أقروا على أنفسهم بهذا الميثاق، وشهد بعضهم على بعض؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

٣٣١٠- تفيد أن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن بني اسرائيل ظلموا أنفسهم بقتل بعضهم بعضا، وإخراج بعضهم بعضا ظلما وعدوانا، بعد أن أقروا على حرمة ذلك عليهم.

٣٣١١- تفيد التأكيد على إقرار العهود والعقود وشهادة الشهود.

٣٣١٢- تفيد أنك متى ما أقررت بأي صورة كانت فأرع عهدك.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٨٥].

٣٣١٣- تفيد مناسبة لما قبلها فهي في سياق كشف عوار المغضوب عليهم وبيان سوء أعمالهم وقبيح أقوالهم وأنهم قد نقضوا العهد والميثاق الذي أخذ الله عليهم بعدم سفك دماء أنفسهم وإخراجها من ديارهم.

٣٣١٤- تفيد شدة توبيخ لليهود على سوء فعالهم، وتمردهم على شرع الله ونقضهم المواثيق المغلظة.

٣٣١٥- تفيد أن مرض اليهود بسفك الدماء والسيطرة على الاراضي بعد إخراج أهلها مرض قديم.

٣٣١٦- تفيد أن اليهود سفكوا دماء بعضهم، بدخول كل منهم تحت حلف ضد إخوانه من اليهود.

٣٣١٧- تفيد أن قتل النفس من شر الأعمال وأبغضها إلى الله تعالى.

٣٣١٨- تفيد بالنظر إلى واقعنا الحالي، أن ما يفعله بعض حكام البلدان المسلمة من قتل للنفوس والأرواح البريئة، وتهجيرهم وإخراجهم من ديارهم، ما هو إلا صورة طبق الأصل لحال اليهود الذين تحكي عنهم هذه الآية الكريمة، ففيها إشارة لهذه الأمة أنها ستتبع في هذا الشأن سنن اليهود، حذو القذة بالقذة.

٣٣١٩- تفيد أن أهل الملة الواحدة كنفس واحدة، فالضرر على الواحد ضرر على الجميع ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، والأمة التي لا تحس بآلام بعضها أمة غير مؤهلة للبقاء.

٣٣٢٠- تفيد إخراج اليهود لبعضهم من ديارهم ظلما وعدوانا.

٣٣٢١- تفيد أن اليهود يتناصرون ويتعاونون فيما بينهم على الإثم والعدوان.

٣٣٢٢- تفيد أن اليهود بعضهم يتعالى على بعض بالإثم والعدوان، وإذا كانت شفقتهم لأهل ملتهم ضعيفة فكيف بغيرهم.

٣٣٢٣- تفيد تحريم التظاهر على الغير بغير حق؛ لقوله تعالى: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾؛ وأما إذا علا عليه بحق فإن هذا لا بأس به.

٣٣٢٤- تفيد التحذير الشديد من العدوان، والتسبب بأذية الآخرين.

٣٣٢٥- تفيد أن الظلم كما هو محرم فكذا إعانة الظالم على ظلمه محرمة.

٣٣٢٦- تفيد إشارة للتعاون على البر، ونصرة أخوة العقيدة، بافتداء أسراهم.

٣٣٢٧- تفيد وجود خصلة التعالي في اليهود وهذه مثلبة تليق بهم، وأن هذا التعالي لا يأتي إلا من نقص.

٣٣٢٨- تفيد بيان التناقض الظاهر عند بني اسرائيل في قبولهم الشريعة وقتلهم لبعض، وإخراجهم لبعضهم إلا في حكم الأسارى فإنهم يفادونهم.

٣٣٢٩- تفيد بيان تشنيع وتبليد اليهود، إذ توهموا القُربة فيما هو من آثار المعصية، أي كيف ترتكبون الجناية وتزعمون أنكم تتقربون بالفداء، وإنما الفداء المشروع هو فداء الأسرى من أيدي الأعداء لا من أيديكم فهلا تركتم موجب الفداء؟ وأن القُربة لا تكون قربة إلا إذا كانت غير ناشئة عن معصية.

٣٣٣٠- يفيد اتصاف اليهود بصفة من صفات المنافقين، وهو إظهار الإيمان بالكتاب، وإبطان الكفر به أو ببعضه.

٣٣٣١- تفيد أن الدين كل لا يتجزأ، والكتاب حجة الله وشرعه، يعمل بموجب كل ما جاء فيه.

٣٣٣٢- تفيد أن من جعل القرآن عضين فآمن ببعضه وكفر ببعضه يعاقبه الله بالخزي والذلة والمهانة في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة.

٣٣٣٣- تفيد أن الكفر ببعض الشريعة كفر بجميعها؛ وجه ذلك أن الله توعد هؤلاء الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض؛ ومثل ذلك إذا آمن ببعض الرسل دون بعض فإنه كفر بالجميع.

٣٣٣٤- تفيد أن العذاب الشديد بالآخرة ينتظر من يكفر بالكتاب أو ببعضه.

٣٣٣٥- تفيد دليلا على أن الأعمال وفعل الأوامر واجتناب المنهيات من الإيمان.

٣٣٣٦- تفيد التحذير من الآثام وبيان خطورة عاقبتها.

٣٣٣٧- تفيد وجود عقوبات مضاعفة على بني إسرائيل؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِ﴾[البقرة: ٨٥].

٣٣٣٨- تفيد أن قاتل النفوس البريئة ومخرج النفوس المسالمة من ديارها يجمع الله له بين الخزي في الدنيا وأشد العذاب يوم القيامة.

٣٣٣٩- تفيد إثبات يوم القيامة؛ وهو اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين مبعوثين من قبورهم.

٣٣٤٠- تفيد أن الله لا يغيب عنه شيء، فيصيب بالعذاب من هم أهل له لعلمه بهم وعدله فيهم، وفيه تعريض بيهود الذين يكتمون ويخططون ويتسارّون بالإثم والعدوان.

٣٣٤١- تفيد كمال علم الله سبحانه وتعالى، ومراقبته لخلقه.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[البقرة:٨٦].

٣٣٤٢- تفيد مناسبة لما قبلها، حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، تحذيرا من الوقوع فيما وقعوا به، فيلحقنا ما لحق بهم، ويستوعبنا وصفهم.

٣٣٤٣- تفيد بيانا لإعراض الله عن الذين سفكوا الدماء وهوانهم عليه، حيث وصفهم بلفظ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾.

٣٣٤٤- تفيد أن الشراء يطلق على عموم المبادلة بين شيئين أو أشياء، سواء كانت حسية أو معنوية.

٣٣٤٥- يفيد التعبير بـ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾إشارة إلى أن هؤلاء اليهود كانوا قادرين على أخذ الحياة الآخرة، ومتمكنين من الحصول عليها، إلا أنهم استبدلوها بالدنيا.

٣٣٤٦- يفيد التعبير بالاشتراء إشارة إلى أن هؤلاء اليهود حريصون على الدنيا، وراغبون فيها، أكثر من غيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾[البقرة: ٩٦].

٣٣٤٧- فيها بيان مشابهة اليهود لصفة من صفات المنافقين، وأنهم باعوا الغالي النفيس بالثمن الرخيص، كما قال تعالى في حق المنافقين:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾[البقرة: ١٦].

٣٣٤٨- تفيد أن الذي يشتري الدنيا بالآخرة في الحقيقة غير رابح في شرائه، ولو وجد المتعة العاجلة في الذي اشتراه في الدنيا، إلا أنه هو مغبون في الآخرة.

٣٣٤٩- تفيد قمة الغباوة والسفاهة التي عليها اليهود ومن حذا حذوهم، حين اشتروا الدنيا بالآخرة، بالرغم من علمهم بذهابهم عنها، وترك ما شروه خلفهم.

٣٣٥٠- تفيد أن العبد ينبغي أن يحسب كل عمل يقوم به، ويرى هل هو في ربح أم في خسارة؟ لأن من كان هذا حاله كان من أذكى الناس وأسعد الناس.

٣٣٥١- تفيد أهمية استخدام المصطلح واللغة التي يفهمها المخاطب وتؤثر فيه، فاليهود أهل تجارة فأخبر الله تعالى أن صفقتهم خاسرة.

٣٣٥٢- تفيد أن أكبر خسارة لصفقة بيع في الوجود هي لمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة.

٣٣٥٣- تفيد أن من أكبر عوامل تأخر النصر إيثار الدنيا وتقديمها على الآخرة، وهو ما فسر به النبي ﷺ الوهن أنه «حب الدنيا وكراهية الموت».

٣٣٥٤- تفيد أن المغبون في البيع والشراء في الدنيا الفانية مذموم فكيف بمن يشتري متاع الدنيا بالآخرة الباقية.

٣٣٥٥- تفيد التنفير وعدم الركون إلى الحياة الدنيا؛ لأن الذين أرادوها واشتروها لم يجنوا من ورائها إلا الخيبة والخسران، والعذاب الشديد والمضاعف في الآخرة، ولهذا نجد أن زبائن الدنيا وعملائها هم حثالة البشر وفسدة الخلق، بخلاف الدار الآخرة التي جعلها الله للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا.

٣٣٥٦- تفيد أن اليهود غاية همهم هي الدنيا، ويمكنهم بيع وشراء أي شيء لأجلها، ومن أجلها؛ ولهذا ينبغي للمسلمين عموما وحكام المسلمين خصوصا بعدم الوثوق بهم أو الجلوس والتحاور معهم على طاولة واحدة؛ لأنهم ماهرون في بيعهم وشرائهم في الدنيا، فهم يبيعون ويشترون الطاولة ومن حولها في آن واحد.

٣٣٥٧- تفيد توبيخ من اختار الدنيا على الآخرة؛ وهو مع كونه ضلالًا في الدين سفه في العقل؛ إذ إن الدنيا متاع قليل، ثم يزول؛ والآخرة خير وأبقى.

٣٣٥٨- فيها أن الذين باعوا الآخرة ولم يأبهوا بها، وآثروا نعيم الدنيا وشهواتها وملذاتها واعتبروا أن الدنيا هي دار النعيم، استحقوا حرمان النعيم بالآخرة ولزوم العذاب الذي لا يخفف عنهم.

٣٣٥٩- تفيد أن الذي يقدم الآخرة على الدنيا لا يقع فيما وقع به اليهود.

٣٣٦٠- تفيد أن هؤلاء القوم خالدون في العذاب أبد الآبدين؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾، بل ثبت أن العذاب يزيد.

٣٣٦١- تفيد أن العذاب في الآخرة قد يخفف بالانقطاع وقد يخفف بالقلة في كل وقت أو في بعض الأوقات، وفي وصفه تعالى عذابهم بأنه لا يخفف يقتضي نفي جميع ما ذكر.

٣٣٦٢- تفيد أن المجرم لا يجد ناصرًا له يمنعه من عذاب الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

٣٣٦٣- تفيد أن ترتب الجزاء على المشق دليل على عليته في العقاب، فعدم التخفيف عنهم، وفقدان نصرتهم مرتب على بعدهم عن الحق ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾، مع وضاعة المأخوذ ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾وشرف المتروك ﴿بِٱلْءَاخِرَةِ﴾.

٣٣٦٤- تفيد أن هذا الذي قصه الله تعالى علينا من أخبار بني إسرائيل مضمونه التحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه؛ ولكن مع الأسف أن بعض هذه الأمة وقعوا في جنس ما وقع فيه بنو إسرائيل؛ وهذا مصداق قول النبي ﷺ: «لتركبن سنن من كان قبلكم».

٣٣٦٥- تفيد تعريضًا بهذه الأمة أن خزي الدنيا وعذاب الآخرة يكون بتطبيق بعض أحكام الشريعة وإهمالها البعض الآخر، وكفر من يتخير أحكام الشرع فيعمل ما يوافق مصالحه وهواه.

٣٣٦٦- تفيد أن نقض عهود الله ومواثيقه يجلب العذاب الأليم الذي لا يرد عن القوم الظالمين، ولا يجدون من يرده عنهم أو يخفف منه شيئا.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

٣٣٦٧- تفيد مناسبة لما قبلها من الآيات، إذ جاءت في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، فبعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة نقض اليهود للمواثيق المؤكدة، ذكر في هذه الآية أن ذلك كان عن علم منهم بما في الكتاب المنزل على موسى عليه السلام، وأن ذلك كان بحضرة أنبياء الله ورسله الذين كانوا يتواترون عليهم لتطبيق ما أنزل الله عليهم في التوراة، وأن منهم من ذاق بعضا من عظيم جرائمهم وقبيح فعالهم، وشنيع أعمالهم.

٣٣٦٨- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية السابقة فبعد أن توعدت الآية بأشد العذاب على ناقضي الميثاق سفكة الدماء، أشارت هذه الآية إلى أنهم لم يكتفوا بسفك دماء أنفسهم، بل تجاوزوا إلى سفك دماء أنبياء الله ورسله، في إشارة إلى أن أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا أو قتله نبي، كما جاء في الحديث النبوي الشريف.

٣٣٦٩- تفيد مع ما قبلها أن من يشتري الحياة الدنيا لا بد وأن يتصف بأحد هذين الأمرين: الهوى، والكبر، فالهوى يجره إلى الانغماس في الشهوات والملذات، والكبر يمنعه من رؤية الحق وسماعه والإذعان له.

٣٣٧٠- تفيد مع ما قبلها أن الأنبياء والرسل لم يأتوا بما تحبه وتهواه اليهود مما هو متعلق بمحبوبتهم [الحياة الدنيا] وزهرتها، بل أتوا بما يشق عليهم من تطبيق شريعة الله، والالتزام بأوامره ونواهيه، والتذكير بالآخرة.

٣٣٧١- تفيد تذكيرا لبني إسرائيل بما جاءهم من الرسل والرسالات لإقامة الحجة عليهم، وبيان أسباب غضب الله عليهم.

٣٣٧٢- تفيد جواز تأكيد الخبر ولو لم ينكر المخاطب؛ للدلالة على شأنه وعلو مكانه ومكانته.

٣٣٧٣- تفيد إثبات رسالة موسى عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾وهو مما امتن الله به على بني اسرائيل، حيث أرسل لهم كليمه موسى عليه السلام، وآتاه التوراة، ثم تابع من بعده بالرسل الذين يحكمون بالتوراة.

٣٣٧٤- تفيد أن التوراة نزلت جملة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾.

٣٣٧٥- تفيد أن التوراة من أعظم الكتب التي أنزلها الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة: ٤٤].

٣٣٧٦- تفيد أن إنزال الكتب من أعظم نعم الله على العباد، وأن هذه الكتب تضمنت سعادة من أنزلت عليهم.

٣٣٧٧- تفيد عناية الله بخلقه بإنزال الكتب وإسال الرسل، وتتابعهم خصوصا في بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

٣٣٧٨- تفيد أن بني إسرائيل قد جاءتهم الرسل واحدا تلو الآخر لدعوتهم، وكانت تتواتر عليهم، ويظهر بعضهم في أثر بعض.

٣٣٧٩- تفيد أنه لا عذر لبني إسرائيل حيث جاءتهم الرسل تباعًا، ولا يعرف التاريخ شعبًا جاءت فيه الرسل تترا كشعب بني إسرائيل، لذلك كانوا بمعزل عن صحة العذر بطول الأمد على الإنذار.

٣٣٨٠- تفيد أن من بعد موسى عليه السلام من الرسل من بني إسرائيل تبع له؛ وأن شريعتهم كانت واحدة إلى زمن عيسى عليه السلام، فإنه عليه الصلاة والسلام قد جاء بشريعة مجددة.

٣٣٨١- تفيد بالإيماء إلى أن مجيء الرسل بعد موسى عليه السلام ليس ببدع فما الذي يمنعهم من الإيمان.

٣٣٨٢- تفيد أن الرسل يقفوا بعضهم بعضًا، ولذلك قال خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ:[وأنا المقفي، فلا نبي بعده]. رواه البخاري.

٣٣٨٣- تفيد إثبات رسالة عيسى كأخيه موسى -عليهما السلام- وأن الله ﷻ آتاه الإنجيل.

٣٣٨٤- يفيد ذكر الرسل مجملا بعد موسى عليه السلام، وذكر عيسى عليه السلام مفصلا دلالة على تميز عيسى عليه السلام، وأنه من أولي العزم من الرسل، وأن شريعته قد نسخت كثيرا من شرع موسى عليه السلام، بخلاف الأنبياء والرسل السابقين.

٣٣٨٥- يفيد ذكر عيسى مضافا إلى أمه ردًا على اليهود والنصارى الذين أضافوه إلى الله عز وجل، وقالوا: إنه ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

٣٣٨٦- تفيد أن من ليس له أب فإنه ينسب إلى أمه؛ لأن عيسى عليه السلام نسب إلى أمه، وهذا يؤكد القول الراجح للعلماء أن أم من ليس له أب شرعا هي عصبته.

٣٣٨٧- تفيد أن عيسى بن مريم عليه السلام أعطاه الله سبحانه وتعالى آيات كونية وشرعية؛ مثال الشرعية: الإنجيل؛ ومثال الكونية: إحياء الموتى، وإخراجهم من القبور، وإبراء الأكمه، والأبرص، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه، فيكون طيرًا يطير بإذن الله؛ وكذلك أيضًا يخبرهم بما يأكلون، وما يدخرون في بيوتهم؛ قال العلماء: إنما أعطي هذه الآية الكونية؛ لأن الطب في عهده ارتقى إلى درجة عالية، فأتاهم بآيات لا يقدر الأطباء على مثلها؛ كما أن محمدًا ﷺ ترقى في عهده الكلام إلى منزلة عالية في البلاغة، والفصاحة؛ فآتاه الله سبحانه وتعالى القرآن العظيم الذي عجزوا أن يأتوا بمثله.

٣٣٨٨- تفيد أن الله سبحانه وتعالى أيد عيسى بجبرائيل عليهما السلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾.

٣٣٨٩- تفيد أن الله يؤيد رسله وأولياءه بالملائكة الكرام، وأن من جملة تسخيرهم للخلق أنهم يؤيدون من أمَرَهم الله بتأييده.

٣٣٩٠- تفيد دليلا على مكانة جبريل عليه السلام عند الله تعالى فهو سيد الملائكة، وقد قال الله عز وجل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[التكوير: ١٩ – ٢١]، وستأتي الآيات التي تدل على عداوة اليهود لهذا الملك الكريم العظيم.

٣٣٩١- تفيد أن روح العالم، وحياة القلوب بالوحي، ولذلك سمي أمين الوحي بالروح، وسمي الوحي روحا؛ لأن به حياة القلوب كما في قوله تعالى ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

٣٣٩٢- يفيد العموم الذي في ﴿أَفَكُلَّمَا﴾على شمول التكذيب أو القتل لجميع الرسل المرسلين إليهم؛ لأن عموم الأزمان يستلزم عموم الأفراد المظروفة فيها.

٣٣٩٣- تفيد أن الرسل ينبغي أن تقابل بالتصديق بدل التكذيب، وبالنصرة بدل المحاربة والقتل.

٣٣٩٤- تفيد بيانا لعتوّ واستكبار بني إسرائيل، وأنهم أهل أهواء، لا يريدون الحق ولا يتبعون هدى عبر التاريخ، ولا يقدرون النعم حق قدرها.

٣٣٩٥- تفيد توبيخا وتشنيعا ولوما لبني إسرائيل، وبيان مناهجهم تجاه شرائع الله، ولمن جاء بها؛ ففي الشرائع: لا يقبلون إلا ما وافق أهواءهم، فقد قدموا الهوى على الهدى، وبالنسبة لمن جاء بالشرائع بما لا تهوى أنفسهم: انقسموا إلى قسمين: فريقًا يكذبون؛ وفريقًا يقتلون مع التكذيب.

٣٣٩٦- تفيد أن اليهود من أشقى خلق الله تعالى من خلال تصوير حالهم مع خيرة من بعثهم الله تعالى إليهم وأكرمهم بهم، فماذا نرجو نحن منهم بعد ذلك.

٣٣٩٧- تفيد أن الشرائع لا تأتي متوافقة لهوى النفوس؛ بل ينبغي أن يكون هوى النفوس تابع لها.

٣٣٩٨- يفيد وصف بني إسرائيل بالاستكبار واتباع الهوى، تحذيرا لهذه الأمة من التشبه بهم.

٣٣٩٩- تفيد أن الاستكبار أعظم مانع من قبول الحق والهدى.

٣٤٠٠- تفيد أن الاستكبار يجعل الإنسان يرد الحق ويكذب الرسل، قال رسول اللهﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس».

٣٤٠١- تفيد أن من استكبر عن الحق إذا كان لا يوافق هواه من هذه الأمة فهو شبيه باليهود.

٣٤٠٢- تفيد أن من أقبح صور رد الحق رده عن استكبار وعناد؛ لأنه مخالف لهواه.

٣٤٠٣- تفيد أن النجاة تكون باتباع الرسل لا باتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

٣٤٠٤- تفيد أن مخالفة هوى النفس خير للإنسان، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١].

٣٤٠٥- تفيد بيانا لشدة ما لقي الرسل والأنبياء من الناس وخاصة من بني إسرائيل، فمنهم من كذب ومنهم من قتل، وذلك في ذات الله سبحانه وفيه رفعة لدرجاتهم عليهم الصلاة والسلام.

٣٤٠٦- تفيد تسلية للنبي ﷺ وأتباعه فإذا كذبك هؤلاء فقد كذب الذين من قبلهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]

٣٤٠٧- تفيد أن تكذيب الرسل سجية في اليهود، وإذا كان هذا شأنهم مع الأنبياء فكيف مع العلماء والدعاة.

٣٤٠٨- يفيد التعبير بالمضارع ﴿تَقْتُلُونَ﴾ لافادة التجديد وأن ذلك من شأنهم، كما تفيد إشارة إلى محاولتهم لقتل النبي ﷺ بالسم أو بالسحر.

٣٤٠٩- تفيد أن قتل وتصفية القيادات السياسية والعلمية والدعوية وغيرها الذي ينتهجه الرافضة اليوم هو صنع اليهود منذ قديم الزمان تعلموه منهم.

٣٤١٠- تفيد بإشارة خفية عزاء لنا ولأهلنا الذين يقتلون في حلب هذه الأيام، فقد قتل هؤلاء اليهود الظلمة وسفكة الدماء، أنبياء الله ورسله، مع علمنا أن الله ﷻ قادر بقدرته العظيمة الشاملة على تأييد أنبياءه ورسله والصالحين من عباده بملائكته وإخراجهم من أيدي أعدائهم، كما فعل ذلك مع عدد من رسله وأنبيائه، كعيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ في مواطن كثيرة، وذلك ليرفع درجة هؤلاء الرسل المقتولين في الجنة، ويتخذهم شهداء عنده، ويذيق قتلتهم وسفكة دمائهم أشد العذاب، وما الله بغافل عما يعلمون، ولهذا فإننا نعزي أنفسنا وجميع المسلمين ممن يتألم لعموم قتلى المؤمنين، ولخصوص قتلى أهل حلب هذه الأيام، بمن قتل من أنبياء الله تعالى ورسله والصالحين من عباده ظلما وعدوانا، وإننا على يقين بأن ما عند الله خير لهم من هذه الحياة الفانية، فرحمهم الله تعالى، وبلغهم منازل الشهداء الأبرار.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٨٨].

٣٤١١- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى عادة اليهود في تكذيب الرسل والأنبياء وقتل بعضهم ظلمًا وعدوانًا، ذكرت هذه الآية الكريمة العواقب الوخيمة التي لحقتهم من جراء ذلك مصرحة بذكرها أفواههم وناطقة بها ألسنتهم، إذ ليس ينتج من تكذيب الرسل وقتلهم إلا الطمس للقلوب، وجعل الأكنة والأغلفة عليها، ولعنة مستمرة على الآباء والأحفاد.

٣٤١٢- تفيد أن اليهود بارعون في اختيار الألفاظ الموهمة التي تحتمل عدة معان لتشتيت الأفكار وإبعاد التهمة عن أنفسهم، كقولهم: قلوبنا غلف، فهي تحتمل على ما ذكره بعض المفسرين أنها مملوءة علمًا وليست بحاجة لما جاء به محمد ﷺ، وكقولهم أيضا: ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا﴾[النساء: ٤٦]، وهنا يظهر وجه الخطورة في كلامهم وحديثهم مع المؤمنين، وقد كانوا أيضا يقولون للنبي ﷺ وصحبه الكرام: «السام عليكم»، وهذا بخلاف الكفار الذين كانوا صريحين مع النبي ﷺ في عبارتهم حيث كانوا يقولون كما أخبر الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾[فصلت: ٥].

٣٤١٣- تفيد أن اليهود راضون بما عندهم من الأساطير والأباطيل.

٣٤١٤- تفيد هذه الآية وسابقاتها الواردة في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، والتي ركزت على ذكر أقوالهم، عدة أمور: الأول: خطورة الكلام وأهميته في بناء الأحكام. الثاني: الصفة المذمومة الغالبة عند اليهود؛ هي مجانبتهم في أقوالهم للحق، واتصافهم بالكذب والافتراء والتزوير. الثالث: تنبيه لهذه الأمة على إمكانات اليهود المميزة على قلب الحقائق وقدرتهم على المراوغة بالكلام. الرابع: أن اليهود لا يلتزمون بقول يقولونه ولو كان من صنف العهود والمواثيق. الخامس: أن الأقوال الحسنة التي طُلب من اليهود أن يقولوها أغفلوها وأعرضوا عنها مع أن الأمر بها جاء على سبيل الميثاق، ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾[البقرة:٨٣]. السادس: تحذيرا لهذه الأمة من الأقوال المذمومة التي قالها الذين استحقوا غضب الله.

السابع: يفيد أهمية القول الحسن الذي ينبغي أن يمتاز به أهل الاستجابة والطاعة، وما يترتب على ذلك من الخير.

٣٤١٥- تفيد قمة البلاغة القرآنية، كما تفيد عظيم ذم اليهود لأنفسهم وشهادتهم على أن قلوبهم لا تقبل الحق، وأنها تشابهت في الغلف، فلا يدخلها خير ولا يخرج منها خير.

٣٤١٦- تفيد إرشادا وهداية إلى حفظ اللسان، فإن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في النار سبعين خريفًا. وهؤلاء قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾فرد الله عليهم، ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾، والله أعلم.

٣٤١٧- تفيد أن الكذوب قد يصدق، من حيث يدري أو لا يدري، فهؤلاء اليهود المفترون أصابوا عين الصدق، وكبد الحقيقة عندما نطقت ألسنتهم بأن قلوبهم غلف ومغلفة لا تقبل الحق، ولا تفهمه، ولا تستكين للصواب.

٣٤١٨- تفيد جرأة اليهود على الكذب وعدم الحياء في خطابهم مع أنبياء الله ورسله والمؤمنين.

٣٤١٩- تفيد أن صفة طمس اليهود للحقائق متأصلة فيهم حيث ادعوا أن قلوبهم غلف وكلمة [بل] تكذب ذلك.

٣٤٢٠- تفيد أن القلب هو ملك الأعضاء، وهو وعاء العلم، ومحل نظر الرب جل وعلا.

٣٤٢١- تفيد أن الإعراض عن الهدى وعدم قبوله عنادًا نوع من أنواع الكفر.

٣٤٢٢- تفيد أن الإسلام لا يوافق هوى اليهود لذلك ادعوا أن قلوبهم غلفت عن الإيمان به.

٣٤٢٣- تفيد أن الكفر والجحود من أسباب اللعن والإبعاد عن رحمة الله تعالى.

٣٤٢٤- تفيد أن التمادي في الباطل، والاستكبار عن قبول الحق سبب للطبع على القلب فلا ينفعه تذكير ولا يزجره وعظ.

٣٤٢٥- تفيد أن أكبر أسباب الفتن والصدود عن الحق [الكبر]، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦].

٣٤٢٦- تفيد التحذير من الإعراض عن الحق وصدود القلب عنه.

٣٤٢٧- تفيد أن من علامات صحة القلوب وعافيتها انشراحها للخير، وقبولها للهداية.

٣٤٢٨- تفيد أن انغلاق القلوب عن الهداية يجلب لها اللعنة والطرد من رحمة الله.

٣٤٢٩- تفيد أن الكفر هو أحد الأسباب المؤدية للطرد من رحمة الله.

٣٤٣٠- تفيد جواز اللعنة على الكافرين.

٣٤٣١- تفيد إنصافًا بذكر القلة المؤمنة.

٣٤٣٢- تفيد دليلا على قلة من يؤمن من اليهود، وقد قال رسول اللهﷺ: «لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن اليهود». متفق عليه.

٣٤٣٣- تفيد أن أهل الإيمان والحق هم أقلية، وأن أهل الكفر والضلال والباطل هم الأكثرية.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٨٩].

٣٤٣٤- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن صرحت الآية الكريمة السابقة بلعنهم، جاءت هذه الآية لتضيف وتزيد اللعنات الالهية على اليهود وكذا كل من شابههم ووافقهم في كفرهم، كما يلاحظ في الآية التي بعدها زيادة الغضب عليهم، في دلالة واضحة على روعة التناسق ودقة التناسب في الآيات القرآنية الكريمة، من ألفاظ وجمل وموضوعات.

٣٤٣٥- تفيد مناسبة لما قبلها من الآيات فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى صنيع اليهود بأنبياء الله ورسله من التكذيب والقتل ذكر في هذه الآية صنيعهم بالكتب المنزلة من عند الله.

٣٤٣٦- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، وبيان أسباب غضب الله عليهم.

٣٤٣٧- تفيد كشفًا لعوارهم وتشنيعا عليهم وذلك أن هذا الكتاب المصدر من عند الله، وهو ليس غريبا على ما بين أيديهم ﴿مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾، وأنهم كانوا في انتظار له وتشوف إليه على ما يدل عليه قوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾، وأن من شؤم العصيان أن يجر اللعن عليه وعلى مثيله ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

٣٤٣٨- تفيد التنويه بفضل القرآن؛ حيث جاءهم كتاب من عند الله على يد أفضل الخلق وخاتم الأنبياء.

٣٤٣٩- تفيد أن القرآن كلامه سبحانه وتعالى تكلم به حقيقة؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

٣٤٤٠- تفيد الآية أن القرآن كلام الله ﷻ منه بدأ بلا كيفية، وهو رد على المعتزلة لأنهم يزعمون أن القرآن لم يبد منه سبحانه.

٣٤٤١- يفيد تنكير الكتاب ووصفه بأنه من عند الله تعظيمًا وتشريفًا، وفي ذلك إشارة إلى أنه جدير بأن يقبل ما فيه وأن يؤمن به ويتبع لأنه نازل من عند الإله الخالق الذي ينبغي أن يُؤلَّه ويعبد.

٣٤٤٢- تفيد أنه لا اختلاف ولا تباين بين ما جاءت به رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

٣٤٤٣- تفيد أن التوراة لم تحرف بالكامل، وإنما بقي منها ما يصدق به القرآن.

٣٤٤٤- تفيد أن القرآن جاء مصدقًا وناسخًا لما في التوراة، وقد علموا بذلك اليهود وتيقنوه، حتى إنهم كانوا إذا وقع بينهم وبين المشركين في الجاهلية حروب، استنصروا بهذا النبي، وتوعدوهم بخروجه، وأنهم يقاتلون المشركين معه.

٣٤٤٥- تفيد أن كل الكتب السابقة قد بشرت بمحمد ﷺ ورسالته.

٣٤٤٦- تفيد أن اليهود كانوا يعرفون أن النبي ﷺ سيبعث في آخر الزمان، وتكون له الغلبة؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني يستنصرون به عليهم.

٣٤٤٧- تفيد أن اليهود كانوا يخوفون الكفار كالأوس والخزرج بمقدم خاتم الأنبياء ليقاتلوهم معه، فانقلب السحر على الساحر، فآمن الأوس والخزرج، وكفر اليهود.

٣٤٤٨- تفيد أن اليهود كانوا يذكرون العلم الذي عندهم في كتابهم عن الرسول الخاتم ورسالته، تباهيًا واستعلاء على الكفار ظنًا منهم أن خاتم الرسل سيكون منهم.

٣٤٤٩- تفيد أن رسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ منصورة ومؤيدة من الله تعالى، فاستفتاح اليهود بها دليل على أن المستفتح به منصور على أعدائه.

٣٤٥٠- تفيد استحباب الاستفتاح والتوسل بالقران الكريم، وكل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وقال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟

﴿إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[المائدة: ٣٥]، ولهذا فإنه ليس في الآية دليل على التوسل البدعي الذي ابتدعته المبتدعة وغلاة الصوفية.

٣٤٥١- تفيد أن رؤية الحقائق على الأرض قد تزيد البعض إيمانًا ويقينًا، وقد تزيد البعض ضلالًا وحيرةً وتيهًا، والموفق من وفقه الله وثبته وهداه.

٣٤٥٢- تفيد أن الجحود والانكار مع العلم والاستيقان أبلغ ذمًا، وأعظم جرمًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾[النمل: ١٤].

٣٤٥٣- تفيد أن أولى الناس باتباع الحق الذين عرفوه، وكان ظاهرهم الدعوة إليه، وأن أجهل الناس وأبغضهم إلى الله الذي عرف الحق وأعرض عنه ولم يعمل به ظلمًا وعلوًا.

٣٤٥٤- تفيد أنك مهما ادعيت شيئا فلا بد من يوم يخضع فيه ادعاؤك للاختبار.

٣٤٥٥- تفيد عنصرية اليهود البغيضة حيث لم يحتملوا أن يبعث رسول من غير بني جنسهم.

٣٤٥٦- تفيد أن الكفر بكتاب واحد من كتب الله تعالى هو كفر بجميع الكتب، لأن جميعها يصدق بعضها بعضا.

٣٤٥٧- تفيد مع الآية التي بعدها أن كفر اليهود كان بغيًا وحسدًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده.

٣٤٥٨- تفيد جواز لعن الكافر لكونه مستحقا للعنة الله، وواجبة عليه؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ ولكن هذا اللعن الوارد في الآية على سبيل العموم، وليس هو على وجه التعيين؛ لأن الكافر المعين قد يهديه الله للإسلام إن كان حيًا.

٣٤٥٩- يفيد ورود لفظ الجلالة في قوله ﴿فَلَعۡنَةُ﴾نذارة ووعيد للذين يكفرون بالرسول وبالرسالة.

٣٤٦٠- يفيد ذكر الفاء في قوله: ﴿فَلَعۡنَةُ﴾وكذا ذكر المظهر موضع المضمر في قوله: ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾دون فلعنة الله عليهم، إشعارا بأن حلول اللعنة عليهم كان بسبب كفرهم، ومترتب عليه، ولهذا فان كل من شابههم في الكفر فهو ملعون مثلهم أيضا.

٣٤٦١- تفيد مسارعة اليهود للتكذيب والإعراض عن الحق بدلالة حرف الفاء، وفي ذلك إشارة إلى الكبر المستقر في نفوسهم.

٣٤٦٢- تفيد تحقق الغضب والطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى على من عرف الحق فحاد عنه، ولذا قال سفيان وغيره: «من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود. ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى الضالين لأنهم عبدوا الله عن جهل».

قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

٣٤٦٣- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم.

٣٤٦٤- تفيد مناسبة لما قبلها فبعد أن ذكرت الآية السابقة صنيعهم مع كتاب الله تعالى المنزل على محمد ﷺ من الكفر به بعد علم ومعرفة بمطابقة ما فيه لما هو موجود عندهم في كتابهم، ذكرت هذه الآية الكريمة سبب ذلك، وأنه راجع إلى البغي والحسد.

٣٤٦٥- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن لعن اليهود لعنتين في الآيتين المتتاليتين السابقتين باءوا بغضبين في آية واحدة، في إشارة إلى أن كل لعنة إلهية على اليهود يقارنها غضب إلهي عليهم، فهم ملعونون مغضوب عليهم، وفي هذا تظهر بعض وجوه المناسبة في ذكر جميع الكفار في ضمن الملعون عليهم في الآية السابقة، في قوله: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، واختصاص اليهود بالبوء بغضبٍ على غضب في هذه الآية الكريمة.

٣٤٦٦- يفيد التعبير بالماضي ﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾ مقابل المضارع ﴿يَكْفُرُوا۟﴾و ﴿يُنَزِّلَ﴾دلالة على أنه قد استقر في نفوس اليهود البغض والحسد الدائم لكل فضل يتجدد لغيرهم.

٣٤٦٧- يفيد التعبير بالماضي وبالاشتراء في قوله: ﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾إشارة إلى الغضب الشديد والحنق العظيم الذي أداهم إلى القيام بعملية الشراء.

٣٤٦٨- يفيد التعبير بالمضارع في قوله ﴿يَكْفُرُوا۟﴾ دلالة على تجدد الكفر لديهم، بسبب صفات استقرت في نفوسهم كالكبر والحسد والبغي.

٣٤٦٩- تفيد ذما لليهود وإخبارا عن سفههم، وبيان الخسارة التي وقعوا بها في شرائهم الكفر وإعراضهم عن آيات الله.

٣٤٧٠- تفيد بدلالة المفهوم مدحا للمؤمنين، فهم نعما اشتروا به أنفسهم أن يؤمنوا بما أنزل الله.

٣٤٧١- يفيد التعبير بالبغي﴿بَغۡيًا﴾دون الحسد [حسدا] إشارة لطيفة إلى أن حسد هؤلاء اليهود قد بلغ أشد مراحله، وأقصى غاياته، بحيث أصبح الحاسد اليهودي يبغي ويعتدي على من يحسدهم وهم النبي ﷺ والمؤمنين، وفي هذا إظهار لقمة الحسد الكامن في نفوسهم، وأنه قد ظهرت منهم أماراته وعلاماته بوصول ما يسيء إلى المحسودين بالبغي والاعتداء.

٣٤٧٢- تفيد أن الحاسد لا ينال في حسده إلا الذم والذل والإهانة، ولا يستطيع بحال من الأحوال أن يمنع نزول فضل الله تعالى على عباده، فعلى العبد أن يبتعد عن خصلة الحسد والاتصاف بها؛ لأنها من خصال المغضوب عليهم.

٣٤٧٣- تفيد أن الحاسد متعقب لله تعالى في حكمه وحكمته وهذا عين البغي.

٣٤٧٤- تفيد أنه يجب التجرد من الهوى والنفس في طلب الحق.

٣٤٧٥- تفيد أنه يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.

٣٤٧٦- تفيد أن عدم قبول الحق يدل على خسة النفس وعدم البحث عن الحق والحقيقة.

٣٤٧٧- تفيد عدم رد الحق حتى وإن أتى من الأقل للأعلى حتى لا يقع في مشابهة اليهود.

٣٤٧٨- تفيد أن التعالي والبغي في طلب العلم من أسباب حرمان العلم.

٣٤٧٩- يفيد التعبير بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱللَّهُ﴾إشارة بتمادي ما يغيظ اليهود فيما يستقبل من الزمن، وبشرى للنبي ﷺ والمؤمنين بأن الله عز وجل لن يقطع عنهم فضائله بل تستمر نزولها عليهم، فما أكرمك يا الله يا واسع الجود والكرم، وفي هذه الفائدة إظهار لدقة اللفظة القرآنية، وامتلائها واستيعابها للهدايات الظاهرة والخفية.

٣٤٨٠- تفيد دليلا على علو الله تعالى على خلقه.

٣٤٨١- تفيد بيانا لعظمة الرسالة المحمدية وشرفها وعلو مكانتها وأنها تنزيل من العلي الأعلى.

٣٤٨٢- يفيد تنكير الفضل وإضافته إليه سبحانه وتعالى إشارة إلى عظم هذا الفضل ومكانته وشرفه، ولهذا فإن أعظم فضل أوتيته هذه الأمة هو كلام الله تعالى ورسالة خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾[يونس: ٥٨].

٣٤٨٣- تفيد إثبات المشيئة المطلقة لله ﷻ.

٣٤٨٤- يفيد تنكير ﴿فَضۡلِهِۦ﴾وإبهام ﴿عِبَادِهِۦ﴾دلالة على ذم الحسد في ذاته مهما كان المحسود والمحسود فيه.

٣٤٨٥- تفيد أن إنزال الكتب وإرسال الرسل لهداية الخلق هو من فضل الله ومنته على خلقه، ودلالة على سعة فضله وعظيم كرمه، وفي هذا رد على الفلاسفة ومن سار على نهجهم في دعوى أن النبوة مكتسبة.

٣٤٨٦- تفيد أن الكرامة والفضل يختص الله به على عباده الصالحين، فيجتبي من خلقه الرسل والدعاة والمصلحين ويصطفيهم من دون الخلق.

٣٤٨٧- تفيد أن الله يمتن بفضله على من يشاء لحكمة يعلمها هو، فلا يجوز لأحد أن يحسد أحدا على فضل آتاه الله إياه.

٣٤٨٨- تفيد إثبات صفة الغضب لله تعالى.

٣٤٨٩- تفيد أن غضب الكريم الحليم، لا يقع إلا على الكافرين، ومن دونهم فإنهم لا يزالون في كنف الرحمن.

٣٤٩٠- تفيد أن المراد بغضب على غضب، أي: غضب الله عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم، وغضبه بكفرهم بهذا النبي الذي أرسله الله إليهم، وقيل: الغضب الأول: تكذيبهم للمسيح. والثاني: تكذيبهم لمحمد ﷺ. وقيل: أَنَّ الْمُرَادَ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ الْغَضَبُ الشَّدِيدُ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[النور: ٣٥] أَيْ نُورٌ عَظِيمٌ.

٣٤٩١- تفيد تأكيد وعيد الله تعالى لليهود، وأنهم المختصون بصفة غضب الجبار عليهم؛ لأن انحرافهم بسبب سوء قصدهم، وفساد نياتهم مع معرفتهم الحق والعلم به، ويشاركهم في هذا الوعيد من سلك مسلكهم وقد جاء الغضب هنا مضاعفا لعظم الجريمة وشناعتها.

٣٤٩٢- تفيد أن اليهود قد اجتمعت فيهم مجموعة من خبائث الأخلاق وأقبح الصفات استحقوا بسببها الغضب الشديد، ولهذا فإن العقوبات قد تتراكم بحسب ذنوب العبد واجتماعها عليه.

٣٤٩٣- تفيد أن من ضل على علم باء بغضبين؛ غضب لكفره وضلاله، وغضب لتعطيله ما تعلمه.

٣٤٩٤- تفيد تحذيرا للعلماء غير العاملين بعلمهم لكونهم مشابهين للمغضوب عليهم، وقد صدق القائل حين قال مشيرا إلى علماء اليهود، ومن حذا حذوهم:

وعالم بعلمه لم يعملن * معذب من قبل عباد الوثن.

٣٤٩٥- تفيد تحذيرا للعبد ألَّا تحمله عداوة الآخرين وحسدهم على معصيته لرب العالمين.

٣٤٩٦- يفيد إقامة الْمُظْهَرَ مُقَامَ الْمُضْمَرِ في قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ إِشْعَارًا بِعِلَّةِ كَوْنِ الْعَذَابِ الْمُهِينِ لَهُمْ، إِذْ لَوْ أَتَى، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ، لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَنْبِيهٌ عَلَى الْعِلَّةِ، أَوْ تَكُونُ الْأَلِفُ وَاللَّامُ لِلْعُمُومِ، فَيَنْدَرِجُونَ فِي الْكَافِرِينَ.

٣٤٩٧- يفيد تنكير ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ إشارة إلى عظم هذا العذاب وأنه مختلف عن غيره من العذاب في الآخرة، حيث يظهر في هذا العذاب أشد صور وأنواع الإهانة، نعوذ بالله من غضبه وسوء عقابه.

٣٤٩٨- يفيد ورود وصف العذاب بـ[المهين] للكفار، دلالة على أن عصاة الموحدين وإن استحقوا العذاب وتوعدوا به إلا أن ما عندهم من التوحيد يحميهم من الإهانة التي لا يستحقها الا الكافر الخالص.

٣٤٩٩- تفيد أن الجزاء من جنس العمل؛ وذلك لأن العالم اليهودي لما أهان علمه بعدم العمل به استحق عذابا مهينا؛ ولهذا ينبغي على العالم أن يحترم العلم الذي علمه الله، وأن لا يخلد إلى الأرض ويتبع هواه، فيكون مهانا في الدنيا ويكون مثله كمثل الكلب والحمار، وفي الآخرة عذاب مهين بكل ما تحمله الإهانة من معنى.

٣٥٠٠- تفيد أن جزاء كبر اليهود وغطرستهم هو الذل والإهانة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وفي الآخرة عذاب مهين.

٣٥٠١- تفيد أنه لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، أي: صاغرين حقيرين ذليلين راغمين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١].

٣٥٠٢- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، والتحذير من مشابهتهم.

٣٥٠٣- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآيات الكريمة السابقة فبعد أن ذكرت تلك الآيات كفر اليهود بالقرآن الكريم أقيمت عليهم الحجة في هذه الآية، في إشارة إلى أن مهمة هذه الأمة إقامة الحجج والبراهين على المخالفين ليظهر دجلهم وتهافت أدلتهم فينكشف عوارهم.

٣٥٠٤- يفيد بناء الفعل لما لم يسم فاعله ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أنه يجب قبول الحق من كل من قاله ونقله وأمر به كائنًا من كان.

٣٥٠٥- تفيد بيانًا لكبر اليهود واستعلائهم وعدم انقيادهم للحق، وسوء أدبهم مع الأنبياء والناصحين والمصلحين بأنهم لا يأبهون لقول أي قائل يدعوهم للإيمان.

٣٥٠٦- تفيد أن الواجب فيمن دعي إلى الحق أن يقول سمعنا وأطعنا لا أن يولي ويدبر كما تفعل اليهود.

٣٥٠٧- تفيد أن من دُعي إلى الحق من هذه الأمة، وقال: "المذهب كذا، وكذا". يعني أنه لا يرجع عنه، ففيه شبه من اليهود.

٣٥٠٨- تفيد علوّ الله سبحانه وتعالى؛ لأنه إذا كان القرآن كلامه، وهو نازل من عنده دلَّ على علوّ المتكلم به.

٣٥٠٩- تفيد أن القرآن كلام الله؛ لقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؛ لأن ما أنزل الله هو القرآن. وهو كلام؛ والكلام ليس عينًا قائمة بذاتها؛ بل هو صفة في غيره؛ فإذا كان صفة في غيره، وهو نازل من عند الله لزم أن يكون كلام الله ﷻ.

٣٥١٠- تفيد دليلا على علم الله المطلق، وذلك بعلمه لما سيكون رد اليهود.

٣٥١١- تفيد كذب اليهود في قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾؛ لأنهم لو آمنوا به لآمنوا بمحمد ﷺ.

٣٥١٢- تفيد عتوّ اليهود وعنادهم؛ لأنهم يقولون: لا نؤمن إلا بما أنزل علينا.. مع أن الواجب أن يؤمنوا بما أنزل الله مطلقا، سواء أنزل عليهم أو على غيرهم، وهذا هو الإيمان النافع، الإيمان بما أنزل الله على جميع رسله.

٣٥١٣- تفيد أن دين الله واحد وإنما الاختلاف في الشرائع، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩].

٣٥١٤- تفيد أن التفريق بين الرسل والكتب، وزعم الإيمان ببعضها دون بعض، فهذا ليس بإيمان، بل هو الكفر بعينه، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[النساء: ١٥٠ - ١٥١].

٣٥١٥- تفيد أن الإيمان الحق يقتضي التسليم التام لأمر الله والانقياد للحق ممن قاله وتحريم سياسة الانتقاء من الدين وأخذ ما وافق الهوى وترك ما خالفه؛ ولذا عابهم الله تعالى بقوله: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾[البقرة:٨٥] ولذا كان من سمات هذه الأمة الوسط ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [ال عمران:١١٩]، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران:٧] كما أمرهم الله ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾[البقرة: ٢٠٨].

٣٥١٦- يفيد بناء الفعل للمعلوم من قبل المؤمنين الناصحين في قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾وعدم ذكر من هم المنزل عليهم، إشارة إلى تعظيم هؤلاء لله ﷻ وتعظيمهم ما أنزله من دون نظر وتعظيم لأنفسهم ولمن أنزل عليهم، فما دام أن المنزل هو الله ﷻ فهذا يكفي للإيمان به، في حين نلاحظ في رد اليهود انتقاصًا منهم لله تعالى وازدراء بحقه وحتى أنه لم يكلفوا أنفسهم في ردهم بالمجيء بضمير يعود إلى الله فضلا عن التلفظ بأعظم اسم وأشرف كلمة، بل امعانا منهم في الانتقاص من الله ﷻ بنوا الفعل للمجهول ﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾في إشارة منهم إلي أنه لا يهم عندهم من المنزل هل هو الله أو غيره؟ المهم أنه منزل عليهم ﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾وليس على غيرهم من بقية الأجناس كالعرب، وفي هذا تظهر دقة التناسب وروعة التناسق في مجيء هذه الآية بعد قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾.

٣٥١٧- تفيد أن الإيمان الحق يقتضي تقدير الأنبياء عليهم السلام جميعا وتبجيلهم والتأدب معهم.

٣٥١٨- تفيد وجوب الإيمان بالقرآن الكريم، لأن الله هو الذي أنزله لا لأن المنزل عليه فلان، ولذلك لم يقل: آمنوا بما أنزل على محمد، فإن ما أنزل عليه لو أنزل على غيره لوجب الإيمان به، فالمقصود الوحي والنبي ﷺ مبلغ لما أنزل الله تعالى عليه.

٣٥١٩- تفيد خطر التعصب للشخص أو للقبيلة، وأنه من أسباب صد الإنسان عن اتباع الحق.

٣٥٢٠- تفيد أنه بعد ظهور الحق لا مجال للتعصب والهوى، ومن فعل ذلك ففيه شبه باليهود.

٣٥٢١- تفيد الآية أن الوقوع في التناقض يكون بسبب ترك تعظيم الحق، وعلى ذلك فإن تعظيم الحق هو أساس المنهجية العلمية الصحيحة المانعة من التناقض، فهؤلاء اليهود تمحوروا حول أنفسهم كبرا ولم يعظموا الله فكفروا بما أنزل الله.

٣٥٢٢- تفيد وجوب الإيمان بظواهر نصوص القرآن الكريم وما وراءها من معان مستنبطة على الأصول والقواعد العلمية الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

٣٥٢٣- تفيد الرد الشافي من الله على اليهود، فرد عليهم بكفرهم بالقرآن بأمور، بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾فإذا كان هو الحق، وهو من عند ربهم، فكيف يكفر به، وبقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾أي: موافقا له في كل ما دل عليه من الحق ومهيمنا عليه فلماذا تكفرون به، ثم نقض عليهم تعالى دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم بقوله: ﴿قُلْ﴾لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾أي بما أنزل إليكم.

٣٥٢٤- تفيد أهمية إفحام الخصم بإقامة الحجة عليه من فعله؛ ووجه ذلك أن الله أقام على اليهود الحجة على فعلهم؛ لأنهم قالوا: نؤمن بما أنزل علينا وهم قد قتلوا أنبياء الله الذين جاءوا بالكتاب إليهم؛ فإن قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ليس بحق؛ لأنه لو كانوا مؤمنين حقيقة ما قتلوا الأنبياء، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٣٥٢٥- تفيد مشروعية توبيخ أهل الجرائم على جرائمهم إذا أظهروها.

٣٥٢٦- تفيد جواز المجادلة في الدين لإظهار الحق ورد الباطل وأن ذلك من هدي القرآن والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٣٥٢٧- تفيد أن إيراد المناقضة على الخصم جائز.

٣٥٢٨- يفيد التعبير بصيغة المضارع ﴿تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ تصويرا لشناعة هذا القتل بتلك الحال الفظيعة، وإشارة إلى أنهم لو قدروا الآن لفعلوا مثل فعلتهم السابقة، لأن التقدير: وتُصرّون على قتلهم من بعد؛ وفيه إيماء إلى حرصهم على قتل النبي ﷺ، ولقد صدق هذا الإيماء الواقع، فقد عزم بنو النضير على أن يلقوا عليه صخرة، وسمّه أهل خيبر، وسحره لبيد بن الأعصم، منقول بتصرف من نظم الدرر للبقاعي.

٣٥٢٩- تفيد أن قتل بني إسرائيل لنبي واحد أو بعضهم هو بمثابة قتلهم لجميعهم لأن دعوتهم واحدة، ومرسلهم واحد وهو الله تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ مع ان المراد بعض انبياء الله، وقد كتب الله عليهم هذا فيمن دون الأنبياء فكيف بالأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

٣٥٣٠- تفيد أن معاداة الأنبياء والصالحين هو دأب اليهود ومن سار على دربهم، وأنها متجددة فيهم، وأهل الإيمان عكس ذلك.

٣٥٣١- تفيد جرأة اليهود وعظم فسادهم وعظيم شرهم من خلال حديث القرآن عنهم في قتلهم الأنبياء والمصلحين من الناس، فلهذا كل جريمة بعد ذلك منهم متوقعة.

٣٥٣٢- يفيد إضافة ﴿أَنبِيَآءَ﴾ إلى الاسم الكريم ﴿ٱللَّهِ﴾ تشريف عظيم، وإيذانا بأنه كان ينبغي لمن جاء من عند الله تعالى أن يعظم وينصر، لا أن يقتل ويسفك دمه.

٣٥٣٣- يفيد توجه الخطاب إلى الحاضرين من اليهود وإن كان المراد به أسلافهم، لكونهم لما كانوا راضين بأفعال سلفهم كانوا مثلهم، وفي هذا إشارة إلى أن الراضي بالكفر والمستحسن للمعصية من غيره كافر وعاص، -والله أعلم-.

٣٥٣٤- تفيد بإشارة خفية إلى أن الأمة المؤمنة أفرادا وجماعات ينبغي أن تلتزم بتعاليم دينها الصحيح، وأن لا تعطي المجال لخصومها الكفرة في أن يخاصموها ويحتجوا عليها فيما يقع فيها أفرادها وجماعاتها من الانحرافات المخالفة لشريعة الله السمحاء، وتنسب تلك المخالفات والانحرافات إلى دينهم البريء منها، وهذه أكبر معضلة وتحد تواجهها الأمة المؤمنة في هذا العصر فإلى الله المشتكى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ

﴿[البقرة:٩٢].

٣٥٣٥- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، والتحذير من مشابهتهم.

٣٥٣٦- تفيد مناسبة لما قبلها فإنه سبحانه وتعالى لما حكى طريقة اليهود في زمان محمدﷺ ووصفهم بالعناد والتكذيب ومثلهم بسلفهم في قتلهم الأنبياء الذي يناسب التكذيب لهم بل يزيد عليه، أعاد ذكر موسى عليه السلام وما جاء به من البينات وأنهم مع وضوح ذلك أجازوا أن يتخذوا العجل إلهًا وهو مع ذلك صابر ثابت على الدعاء إلى ربه والتمسك بدينه وشرعه فكذلك القول في حالي معكم وإن بالغتم في التكذيب والإنكار. منقول بتصرف.

٣٥٣٧- تفيد مع ما قبلها تسلية للنبي ﷺ وأتباعه، حيث حسدهم اليهود على ما أتاهم الله من فضله، وأنه لا خير يرتجى من قوم عبدةِ العجل، ولا مطلب يبتغى من قوم ظلمة لأنفسهم ولغيرهم.

٣٥٣٨- تفيد مع ما قبلها عظم وشناعة الذنب الذي صدر من بني إسرائيل وأنهم بهذا لا يستحقون أن يكونوا من ضمن أمة الإجابة لنبي آخر الزمان، خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين، فرسالته أغني وأعلى من أن يتبعها الظلمة عبدة العجل...

٣٥٣٩- تفيد مع ما قبلها تأكيدا على نفي ادّعائهم أنهم يؤمنون بما أنزل إليهم ويكفرون بما وراءه، بل هم كفروا بما جاءهم ابتداء، أعرضوا عن الإله الحق وجانبوا التوحيد، واختاروا آلهة باطلة وأقبلوا على الشرك.

٣٥٤٠- تفيد أن من عادة المدعوين أن يستجيبوا للرسول والنبي الذي هو من بني جلدتهم ويتكلم بألسنتهم، فإنهم إذا لم يستجيبوا له ولم يقدروه فإنهم بالأحرى لا يستجيبون ولا يقدرون من ليس من بني جلدتهم، وليس متكلما بألسنتهم، ولهذا لا عجب ولا غرابة فيما أقدموا عليه من تكذيب خاتم المرسلين، فهم كما في المثل: شنشنة أعرفها من أخزم.

٣٥٤١- تفيد أن التعلق في الدين بالأشخاص فمصيره للزوال بزوال من ارتبطوا به.

٣٥٤٢- تفيد توبيخ الله عزوجل لليهود، فبعد أن جاءهم موسى عليه السلام بالمعجزات الواضحات الدالة على صدقه اتخذوا العجل معبودا لهم فتجاوزوا حدود الله.

٣٥٤٣- تفيد أنه يجب على الدعاة ربط الناس بالله تعالى حتى إن ضلوا بعد ذلك كان الداعية في حل من صنيعهم.

٣٥٤٤- تفيد إخبارا بغباء اليهود وسفاهتهم؛ لاتخاذهم العجل إلهًا يعبد مع أنهم هم الذين صنعوه.

٣٥٤٥- تفيد إظهارا لمدى التعنت والكبر والإعراض الذي امتاز به المغضوب عليهم.

٣٥٤٦- تفيد إقامة الحجة على بني إسرائيل بالآيات المؤيدات لنبيهم المرسل عليه السلام.

٣٥٤٧- تفيد أن الرسل جاءوا بأوضح الأدلة وأعظم البينات التي تقطع العذر، وأنهم مؤيدون من ربهم بالبينات والآيات الدالة على صدقهم.

٣٥٤٨- تفيد أن وضوح البينات وقوتها من أنبياء الله لا تنفع مع هذه الفئة من البشر.

٣٥٤٩- تفيد عدم العذر لمن اتبع الباطل بعد قيام الحجة وبيان الحق.

٣٥٥٠- تفيد أن الإنسان مهما كان عالما فلا يأمن الوقوع في الإشراك.

٣٥٥١- تفيد أن كفر اليهود كان كفر عناد واستكبار؛ وليس عن جهل، وأنهم اختاروا عبادة العجل بعد مشاهدتهم للآيات البينات، والمعجزات الواضحات التي جاء بها نبيهم سفها منهم وتنكيسا لعقولهم وفطرتهم.

٣٥٥٢- تفيد أن اليهود قد أغفلوا المعجزات، وأصابهم العمى والعمه، ولم يؤثر فيهم إنجاء الله لهم وإهلاك عدوهم أمام أنظارهم.

٣٥٥٣- تفيد افتتان بعض البشر بجنس البقر فهؤلاء عبدوا عجلا جسدا له خوار، وبقيت عبادة البقر إلى زماننا كما في الهند مثلًا.

٣٥٥٤- تفيد أنهم تلبسوا بالظلم لما اتخذوا العجل، في إشارة إلى أن الشرك أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان:١٣].

٣٥٥٥- تفيد أن اليهود ظلموا أنفسهم ودسوها وأوردوها المهالك لما جانبوا التوحيد وكفروا بالآيات البينات.

٣٥٥٦- تفيد أن الجزاء يترتب على القصد، فاتخاذ العجل لما هو مسخر له كالذبح والحرث مباح لا مؤاخذة في ذلك، أما اتخاذه معبودا فذلك لا يفعله إلا ظالم.

٣٥٥٧- تفيد تحقيرا وذما للمغضوب عليهم، بتذكيرهم بذنبهم الأعظم، فهم ظالمون في حق الله، وفي حق كتابهم، وفي حق نبيهم، وفي حق أنفسهم، وفي حق العجل الذي سخره الله تعالى للانتفاع به، لا للعبادة.

٣٥٥٨- تفيد مدحا عظيما لصحابة رسول الله ﷺ إذ لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يظلموا ولم يتخذوا معبودا غير الله تعالى بعدما جاءهم المصطفى بالبينات والمعجزات، وفي هذا رد على الرافضة أصحاب إخوان القردة والخنازير الذين يذمون ويطعنون في صحابة رسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[البقرة:٩٣].

٣٥٥٩- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، والتحذير من مشابهتهم.

٣٥٦٠- تفيد مناسبة لما قبلها من الآيات، فبعد أن ادعى اليهود أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم في قوله: ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾[البقرة:٩١]، أوضحت هذه الآية أن أسلافهم قابلوا المواثيق المؤكدة التي أخذها الله عليهم بحضرة نبيهم موسى عليه السلام للعمل بما في التوراة من خلال مشاهدة الطور مرفوعا فوق رؤوسهم؛ ولكنهم مع ذلك قابلوه بالعصيان وعدم الإذعان للأوامر الإلهية في قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، ولهذا فكيف يتصور من أخلاف هؤلاء وأحفادهم الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به، بل وبما في كتابهم من وجوب الإيمان به؟

٣٥٦١- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكرت الآية السابقة أن موسى عليه السلام جاءهم بالبينات والمعجزات ذكرت هذه الآية إحدى هذه البينات والمعجزات، ولما ذكرت أيضا اتخاذهم العجل ذكرت هذه الآية أن اتخاذ العجل معبودا من دون الله كانت له عواقب وخيمة على الآباء والأحفاد، حيث أشربت قلوب الأسلاف والأخلاف حب العجل ورسخت صورة العجل في قلوبهم، ولهذا فلا نستغرب من كفرهم وعدم سماع نصيحة الناصحين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٩١] لأن قلوبهم مملوءة عشقا وحبا للعجل، والمحب عن العذال في صمم.

٣٥٦٢- تفيد مزيد تأنيب لليهود، وتذكير بمساوئهم التي كانت سببا لغضب الله عليهم.

٣٥٦٣- تفيد أخذ الميثاق على بني إسرائيل بالإيمان، وإن إيمانهم كان عن كره لا عن إكراه.

٣٥٦٤- تفيد أن أمر الكون كله بيد الله ﷻ، وأنه المالك لكل شيء، وأنه سبحانه وتعالى قادر على خرق العادات؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾، وهي تدل كذلك على عظيم قدرته جل وعلا على ما يشاء.

٣٥٦٥- تفيد أن اليهود قوم ماديون لا يؤمنون إلا بالماديات فرفع الله فوقهم الطور؛ ليلفتهم بالمادة إلى قدرته وقوته سبحانه.

٣٥٦٦- تفيد أن التخويف وإن عظم لا يوجب الانقياد فإن إظلال الجبل لاشك أنه من أعظم المخوفات ومع ذلك فقد أصروا على كفرهم وصرحوا بقولهم: ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾.

٣٥٦٧- تفيد أن اليهود لا يرعوون ولا ينقادون إلا بقوة قاهرة، وقدرة قادرة، وتهديد اكيد، وخطاب شديد، وهم مع ذلك متلونون، يخالف ظاهرهم باطنهم، ويعارض حالهم مقالهم، وما يقومون به في عصرنا هذا خير برهان وأوضح شاهد، ويا ليت قومي يعلمون.

٣٥٦٨- تفيد وجوب تلقي شريعة الله بالقوة والحزم والعزم دون الكسل والفتور، والحرص على تطبيقها، وعدم التفريط فيها؛ لقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾، وأخذ أمر الدين بجد صفة يحبها الله تعالى في عباده.

٣٥٦٩- تفيد أن أول الامتثال والاهتمام للكلام الرباني يكون من حسن السماع ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾، وقد جاءت آيات كثيرة في بيان أهميته للوصول للهدى.

٣٥٧٠- تفيد عتوّ وتكبر وعناد بني إسرائيل؛ وأنهم قد ارتكبوا جريمتي الإعراض والاعتراض؛ لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾؛ وهذا أبلغ ما يكون في العتوّ.

٣٥٧١- تفيد أن اليهود قوم لا يقولون الحق ويكثرون الكذب والخداع والتدليس، وأن قولهم يخالف فعلهم، حيث قالوا: ﴿سَمِعۡنَا﴾لكن فعلهم كان عصيانا وصل إلى حد الكفر.

٣٥٧٢- تفيد أن من سمع فلم يعمل كان كمن لم يسمع، والسماع ههنا هو سماع قبول وطاعة واستجابة.

٣٥٧٣- تفيد أنه ليس من الضرورة أن يبدي الشخص عقيدته ويظهر موقفه بلسانه، بل إن لسان الحال في كثير من الأحيان أبلغ من لسان المقال، ولهذا فإنه يحتمل أن يكون قولهم: ﴿

سَمِعْنَا﴾أي: بلسان مقالهم، ﴿وَعَصَيْنَا﴾أي: بلسان حالهم، وفي هذا إشارة خفية إلى أنه ينبغي أن يكون لسان الحال موافقا للسان المقال، وإلا عد ذلك سفها وحماقة، ودجلا وكذبا وزورا.

٣٥٧٤- تفيد أن قول المؤمنين وجوابهم مخالف لقول اليهود، فهم يقولون: سمعنا وأطعنا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

٣٥٧٥- تفيد فضيلة السمع والطاعة قولا وفعلا، وذم المعصية قولا وفعلا.

٣٥٧٦- تفيد أن الاستمراء في المعصية يؤدي الى الكفر كما قال السلف رحمهم الله تعالى المعاصي بريد الكفر.

٣٥٧٧- يفيد التعبير بقوله: ﴿وَأُشْرِبُواْ﴾إشارة إلى أنه بلغ حبهم العجل مبلغ الأمر الذي لا اختيار لهم فيه كأن غيرهم أشربهم إياه.

٣٥٧٨- يفيد قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ دليلا على أن محبتهم للعجل ناشئة عن كفر سابق، وجحود متأصل، فكفرهم الذي ترتب على عبادتهم للعجل، قد سبقه كفر آخر، فهو كفر على كفر.

٣٥٧٩- تفيد قمة البلاغة القرآنية، ففي التعبير بالإشراب في قوله: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ فيه استعارة من وجهين: الأول: معناه: تداخل اليهود حب العجل والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب، الثاني: كما أن الشرب مادة لحياة ما تخرجه الأرض، فكذا تلك المحبة كانت مادة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال.

٣٥٨٠- تفيد قمة البلاغة القرآنية حيث حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾أي: حب العجل، في إشارة لطيفة إلى شدة تعلق قلوبهم بالعجل حتى لكأنهم أشربوا ذاته وليس حبه فقط.

٣٥٨١- تفيد أن اليهود قد استمرؤوا الكفر واستساغوه، واستقر في كل جزء منهم، وعبر عن ذلك بقوله: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾والعجل صورة للكفر الذي اختاروه، والشرب يصل الشراب في كل أجزاء الجوف، وكأنه قد تغلغل بهم.

٣٥٨٢- تفيد أنك قد ترى من يحب تعليق الناس بالمحرمات والشهوات حتى يتشربوها كما تفعله اليوم وسائل الإعلام بالتفنن في نشر الرذيلة حتى تعلقت قلوب الناس بها.

٣٥٨٣- تفيد أنه ما من معصية إلا ولها في القلب بذرة وموضع ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾.

٣٥٨٤- تفيد أهمية الاهتمام بالقلوب لكونها شريان الحياة الروحية والجسدية للعبد، وأنها متى صلحت صلح الجسد كله، ومتى فسدت فسد الجسد كله.

٣٥٨٥- تفيد بإشارة إلى أن من أعرض عن امتثال الأمر استحق الإبعاد عن مقام الأنس.

٣٥٨٦- تفيد بمفهوم مخالفة هؤلاء اليهود أنه ينبغي على العبد المؤمن أن يكون حب الله تعالى ورسوله ودينه مخالطا لبشاشة قلبه، وأن يكون أحب إليه من الشراب البارد على الظمأ، فاللهم اشرب في قلوبنا حبك، واجعل حبك وحب نبيك ودينك أحب إلينا من أهلنا وأموالنا ومن الماء البارد على الظمأ.

٣٥٨٧- تفيد لطف الله بخلقه ورحمته بهم حتى المعرضين المتعنتين، فيذهب في دعوتهم كل مذهب.

٣٥٨٨- تفيد تعليما للنبي ﷺ وأمته في عدم الإسفاف والاقذاع في الكلام عند مواجهة الخصوم ومحاورتهم، حيث أمر الله نبيه محمدا ﷺ بأن يقول لليهود بعد كل ما تقدم منهم من الفظائع والشنائع من نسيان جميل صنع الله وآلائه عليهم، وعبادة غيره، وقتل أنبيائه ورسله، وتكذيبهم، ونقض المواثيق المؤكدة التي أخذها عليهم، بعد كل هذا يأمره أن يقول لهم: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾فما أعظم هذا الرد الإلهي وما أروعه، وما أعفه، وما أرقه على الأسماع.

٣٥٨٩- يفيد إضافة الإيمان إليهم في قوله: ﴿إِيمَٰنُكُمْ﴾ولم يقل الإيمان، لأنه ليس إيمانا صحيحا، وإنما هو إيمان مزعوم، فإضافته إليهم من باب التهكم بهم والاستهزاء بعقولهم.

٣٥٩٠- تفيد التشكيك في إيمانهم والقدح في صحة دعواهم.

٣٥٩١- تفيد أن الإيمان الصحيح الكامل يأمر صاحبه بفعل الخيرات، وأن المؤمن حقًا لا يأمره إيمانه بالمعاصي؛ لقوله تعالى:﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾يعني إن كنتم مؤمنين حقًا ما اتخذتم العجل إلهًا.. فالإيمان بالحق لا يأمر صاحبه إلا بالمعروف، والإيمان بالباطل المزيف يأمر صاحبه بالمنكر.

قال تعالى:﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:٩٤-٩٥].

أولا: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

٣٥٩٢- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زال السياق في الرد على اليهود وإبطال حججهم الواهية، وكشف عوارهم.

٣٥٩٣- تفيد مناسبة لما قبلها من الآيات فبعد أن ذكر في آية سابقة أنهم قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، وكان ذلك إشارة منهم إلى أن الله سوف يعفو عنهم جميع الذنوب والخطايا أمرهم في هذه الآية أن يتمنوا الموت إن كان الأمر كما يدَّعون ويزعمون.

٣٥٩٤- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآيات الكريمة السابقة فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى حسد اليهود وبغيهم على النبي ﷺ وأتباعه في الدنيا، ورد عليهم في الآيات اللاحقة ذكر حسدهم لهم في الآخرة، ورد عليهم بأقوى رد، وفي هذا يظهر الاحتمال القوي في أن المراد بالناس ههنا هم النبي ﷺ وأمته، وفي هذا إشارة إلى ذم الله تعالى لليهود وتكريمه للنبيﷺ ولمن آمن به واتبعه حيث جعلهم هم الناس.

٣٥٩٥- تفيد ردًا على قولهم ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[البقرة: ١١١] وتكذيبًا لهم في ذلك، وتعجيزًا، وتبكيتًا، وتهكمًا، وفضحًا لحقيقتهم في هذه الدعوى، لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها.

٣٥٩٦- تفيد تأكيدًا لغطرسة وكبر وأنانية اليهود حيث زعموا أن الآخرة هي دار كرامتهم، وأنها خالصة لهم من دون الناس، فأكذبهم الله تعالى بأنه إن كان الأمر كذلك فتمنوا الموت لتستعجلوا الذهاب الى دار الكرامة الخالصة لكم.

٣٥٩٧- تفيد إثبات الدار الآخرة، وأن اليهود يؤمنون بها، ومع ذلك لم ينفعهم هذا الإيمان لما كفروا بمحمد ﷺ.

٣٥٩٨- تفيد أن الدار الآخرة لا يخلص أحد إليها إلا حين تفارق روحه جسده، ومفارقة الروح للجسد هو الموت، فإذا كان الموت هو سبب مصيرهم إلى الخيرات كان الشأن أن يتمنوا حلوله.

٣٥٩٩- تفيد شرف الحياة الآخرة، وأنها ينبغي أن المقدمة بالاهتمام والعمل لأجلها.

٣٦٠٠- تفيد أن الدار الآخرة هي لله تعالى، وهي دار كرامته أعد الثواب فيها للمؤمنين المحسنين، بدلالة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٣٦٠١- تفيد كما في الآية السابقة تعليما للنبي ﷺ وأمته في عدم الاسفاف والاقذاع والفحش في الكلام مع الخصم، وأن لكل ادعاء باطل حجة تدحضه وتبطله بأيسر طريق، وأوضح مسلك.

٣٦٠٢- تفيد بإشارة خفية ودقيقة أنه ينبغي لمن يتصدى للرد على خصومه أن يعرف مواطن الضعف والخلل فيهم، فيأتيهم من خلالها، [وعلى قولهم باللهجة الدارجة والمثل السائر: يمسكهم من اليد التي توجعهم].

٣٦٠٣- تفيد جواز تمني الموت من غير ضر نزل بالعبد، لأن العبد المؤمن يحب ويتمنى لقاء الله والموت طريق إلى هذا اللقاء.

٣٦٠٤- يفيد التعبير بالتمني ﴿فَتَمَنَّوُا۟﴾دون الرجاء والطلب [فاطلبوا] مثلا، إشارة لطيفة إلى أنهم لن يتمنوه ولو كذبًا، ولو لم يقارفوا أسبابه، ولم يتعرضوا لطرقه.

٣٦٠٥- تفيد أن الأماني والادِّعاء الأجوف لا ينفع بغير عمل حقيقي، فهؤلاء اليهود يدَّعون ادعاءات عريضة وهم ليسوا أهلا لها، ويسقطون عند أول اختبار، كما في هذه الآية، والأقرب في معنى الآية رفضهم المباهلة، كما رجحه ابن كثير ورد ما سواه بأدلة قوية.

٣٦٠٦- تفيد أن المؤمن الحق يفضل الموت على الحياة لما يرجوه من السعادة بعد موته.

٣٦٠٧- تفيد أن المؤمن الذي يسعى للآخرة بالعمل الصالح يحب لقاء الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه. ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه».

٣٦٠٨- تفيد إيرادًا للخطاب العقلي في القرآن الكريم وتنوعها واختلافها وربطها بالمستحيلات العقلية، فمثلا: المستحيل الأول: أن تكون خالصة لهم، المستحيل الثاني: تمني الموت منهم، وكلاهما غير ممكن.

٣٦٠٩- يفيد قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾إثارة لحماس اليهود، إذ فيه تعريض بعدم صدقهم، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي للمتصدي للردود على خصومه من أهل الباطل أن يثير حماسهم في الاستمرار في النقاش معهم، والبقاء في الساحة إلى أن يظهر الله الحق على يديه.

٣٦١٠- يفيد الإتيان بإن الشرطية التي الأصل في شرطها أن يكون غير مقطوع بوقوعه، إشارة إلى أن صدق اليهود مشكوك فيه وغير محتمل الوقوع في هذا الأمر وفي غيره.

٣٦١١- تفيد أن أعلم الناس بمساوئ اليهود هم أنفسهم، فهم وإن استطاعوا أن يكذبوا ويلبسوا على الناس، لا يستطيعون أن يكذبوا على أنفسهم.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

٣٦١٢- تفيد أن اليهود لا يحبون لقاء الله لما يعلمون من سوء المنقلب والمصير، فإن من أحب لقاء الله تمنى الموت، ومن كره لقاء الله كره الموت.

٣٦١٣- تفيد أهمية المعلومة في محاجَّة الخصم وإفحامه.

٣٦١٤- تفيد شدة حرص اليهود على الحياة الدنيا، كما قال تعالى في الآية التي بعدها: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ [البقرة:٩٦]، وفي تنكير حياة إشارة إلى أنهم يتمكسون بالحياة، ولو كانوا في أحقر عيش، وأصعب ظرف، وأدنى حياة.

٣٦١٥- تفيد أن الجزاء من جنس العمل، وأن العبد يعاقب في الآخرة على ما قدم، فمن قدم خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

٣٦١٦- تفيد أن أعمال اليهود السيئة وظلمهم لأنفسهم تجعلهم يخافون الموت، وفي هذا إشارة إلى أن إساءة العمل سبب للخوف من الموت؛ لأنه يخاف مما يقدم عليه وهو لم يستعد له.

٣٦١٧- يفيد ذكر أيدي اليهود دون غيرها من أعضاء، إشارة لطيفة إلى أن أجمع معاصي اليهود وأفظعها كانت باليد، كتحريف التوراة مكتوبا بأيديهم، وقتل الأنبياء والرسل، وسفك دماء الأبرياء، وكذلك إشارة إلى أن الأيدي هي مناط أكثر أفعال العباد، ولذلك تنسب إليها الأعمال في آيات كثيرة، ولو كانت بجارحة أخرى.

٣٦١٨- تفيد إثبات علم الله تعالى للمستقبل.

٣٦١٩- تفيد جواز تخصيص العموم لغرض؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[البقرة:٩٥] فخص علمه بالظالمين تهديدًا لهم.

٣٦٢٠- تفيد قمة الإعجاز القرآني حيث لم يتمن الموت أحد من اليهود عند نزول هذه الآيات القرآنية بالرغم من حرصهم على تكذيب النبي ﷺ، مما يدل ويؤكد على أن اليهود يعلمون صدق

ما جاء به محمد ﷺ من عند ربه، وقد روى البخاري وغيره مرفوعا: « لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات». قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فأخبرنا عن اليهود أنهم لن يتمنوا الموت أبدا، وكان كما أخبر، فلا يتمنى اليهود الموت أبدا، وهذا دليل من وجهين: من جهة إخباره بأنه لا يكون أبدا، ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت، مع أن ذلك مقدور لهم، وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة، وهم مع حرصهم على تكذيبه لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه بإظهار تمني الموت. [الجواب الصحيح: ١٧٦/٧].

٣٦٢١- تفيد أن هؤلاء اليهود الذين نزلت هذه الآيات بشأنهم لو تمنوا الموت لماتوا، كما ورد في الحديث، ولرأوا مقاعدهم من النار.

فائدة: إن قيل: لم قال هنا ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[البقرة: ٩٥] وفي الجمعة ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ [الجمعة: ٧] فنفى هنا في البقرة بـ﴿وَلَن﴾، ونفى في الجمعة بـ﴿وَلَا﴾قال أبو جعفر بن الزبير: الجواب: أنه لما كان الشرط في المغفرة مستقبلا وهو قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾[البقرة: ٩٤] جاء جوابه بلن التي تخلص الفعل للاستقبال، ولما كان الشرط في الجمعة حالًا وهو قوله: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[الجمعة:٦]جاء جوابه بلا التي تدخل على الحال.

قال تعالى:﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:٩٦].

٣٦٢٢- تفيد مناسبة لما قبلها فبعد أن ذكرت الآية الكريمة السابقة أنهم لن يتمنوا الموت أبدا، ذكرت هذه الآية سبب ذلك وهو حرصهم على الحياة، وبالربط بين الآيتين تفيد بإشارة خفية ودقيقة إلى أنه ينبغي أن تكون أحكامنا على خصومنا صادرة ونابعة من رؤية واقعية مبنية على النظر في الأسباب والمسببات وقابلة للتصديق والوجود في أرض الواقع.

٣٦٢٣- يفيد قولهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾أن هذه الصفة موجودة فيهم في كل زمان ومكان لا تتخلف عن واحد منهم.

٣٦٢٤- تفيد أن الناس يتفاوتون في الحرص على الحياة؛ فمنهم الحريص ومنهم الأحرص، قال تعالى: ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾.

٣٦٢٥- تفيد أن الحياة الدنيا في مقدمة أولويات اليهود، وأنهم يقدمونها على الآخرة.

٣٦٢٦- تفيد أن حرص اليهود على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم وأن لا خير لهم عند الله تعالى.

٣٦٢٧- تفيد بيانًا لأعظم خلل موجود في نفسية اليهود يمكن أن يهزموا به في كل وقت مهما كان لهم من قوة، وهي سبب جبنهم ﴿أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾والقتال يحتاج عكس ذلك.

٣٦٢٨- تفيد أن حرص اليهود على الحياة جعل همهم الأول بذل كل التدابير الأمنية بما يحقق لهم ما أرادوا؛ فإذا أصيبوا فيما بذلوا رحلوا من أرضنا.

٣٦٢٩- تفيد حرص اليهود على العلو في الحياة الدنيا من خلال الأخذ بالأسباب التي تمكنهم من ذلك، فهم حريصون ليس على مجرد الحياة؛ بل ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾من خلال اختيار عرف العلو دون غيره، والله اعلم.

٣٦٣٠- تفيد بيانا لصدق القرآن فيما أخبر به عن اليهود من حرصهم على الحياة، فهذا أمر مشاهد منهم إلى اليوم.

٣٦٣١- تفيد ذما للمشركين وبيانا لكونهم حريصين على الحياة، وكارهين للموت؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾مما يدل على أنهم في القمة في كراهة الموت ما عدا اليهود.

٣٦٣٢- تفيد أن من أهل الشرك من يحرص على الحياة الدنيا ومنهم غير ذلك، وفي ذلك إشارة إلى أن من المشركين من يعتقد باليوم الآخر.

٣٦٣٣- تفيد تفاهة الدنيا وحقارتها إذا أصبح أهلها الحريصون عليها هم أمثال اليهود والمشركين.

٣٦٣٤- يفيد ذكر ﴿حَيَوٰةٍ﴾بصيغة النكرة، دلالة على حرصهم على أي حياة مهما كان حالها، وفي ذلك تأكيد على سفههم، بتقديمهم للرخيص الفاني على النفيس الباقي.

٣٦٣٥- تفيد توبيخًا شديدًا لليهود؛ لأن من الذين أشركوا لا يؤمنون بالآخرة ولا بالجنة والنار، ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا فلا يستبعد حرصهم عليها، فإذا كان حرص من يقر بالبعث والمجازاة أكثر من حرص المشركين كان توبيخهم على حب الفاني على الباقي أشنع.

٣٦٣٦- تفيد مدحًا للمؤمنين لكونهم لا يقدمون الحياة الدنيا على الحياة الأخرى.

٣٦٣٧- تفيد حثًا لعدم اغترار أهل الحق بأهل الباطل، وعدم الفزع من قوتهم وآلاتهم الحربية، فهي من صور حرصهم على الحياة، وأهل الحق والإيمان يتطلعون للآخرة وما أعده الله لهم، ولا يخافون الموت.

٣٦٣٨- تفيد بإشارة خفية ودقيقة تجهيزًا لصحابة رسول الله ﷺ خصوصًا، وللأمة المحمدية عمومًا، وحثهم على مقاتلة ومجاهدة هؤلاء الحريصين على الحياة من اليهود والمشركين، وأن باستطاعتهم النيل منهم والانتصار عليهم ما داموا هم غير حرصين على الحياة، ولهذا فلا نستغرب من واقع الأمة الإسلامية التي أصبحت فيه هي أيضا من أحرص الناس على حياة، ولهذا ابتعد عنهم النصر، وتداعت عليهم الأمم، وقد صدق رسول الله ﷺ حين قال: يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم!! وليقذفن الله في قلوبكم الوهن!! فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت.

٣٦٣٩- يفيد قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ دون قوله [يودون] إشارة لطيفة إلى العداوة التي بين اليهود أنفسهم، وأن بأسهم بينهم شديد، وان كل واحد منهم يحب لنفسه ما لا يحب للآخر من بني جنسه.

٣٦٤٠- تفيد أن اليهود ليسوا أهل تضحيات فلا يمكن أن يضحي الواحد بحياته من أجل إسعاد أمته؛ بل كل واحد يود أن يعمر هو وإن ذهب غيره، فحب الذات خصلة متمكنة منهم، والإسلام يربي اتباعه على عكس ذلك، ومن يقتل في سبيل الله فإنه يرجو ما عند الله تعالى وما أعده للشهداء من المنازل والدرجات العلا.

٣٦٤١- يفيد تخصيص للعدد ألف بالذكر؛ لكونه نهاية العقد في الحساب.

٣٦٤٢- تفيد أن الأعمار بيد الله تعالى، وليست بيد الخلق ﴿يُعَمَّرُ﴾.

٣٦٤٣- تفيد أن طول الأمل من علامات أهل الغفلة، وهل يظن الغافل أنه لو عمّر ألف سنة أنه في إحدى لحظات عمره لن يطلع الله فيها إلى عمله؟ إذن فليفعل ما يشاء.

٣٦٤٤- تفيد أنك ولو عمّرت ألف سنة فلا مفر لك من الموت فلا تجعل الحياة جُلّ همك.

٣٦٤٥- تفيد أن طول العمر لن يصرف المشرك عن العذاب الذي أعده الله للمشركين في الآخرة.

٣٦٤٦- تفيد أن طول العمر مع سوء العمل لا ينفع العبد ولا يزحزحه من العذاب إذا كان في معصية الله، وإنما تنفعه طاعة الله ومراقبته في لحظات عمره، ولهذا ينبغي للعبد عند دعائه لنفسه ولغيره بطول العمر أن يقرن ذلك بحسن العمل في طاعة الله تعالى.

٣٦٤٧- تفيد إشارة إلى مدح وتعظيم شأن الإحسان في العمل وإن قصر العمر، والذم والوعيد للإساءة في العمل، وإن عمر العامل في الدنيا ما عمر.

٣٦٤٨- تفيد أن التوحيد هو الذي يزهد في الدنيا ويرغب فيما عند الله، ويدفع العبد لدفع الغالي والنفيس في سبيل الله تعالى، والفوز بالدار الآخرة.

٣٦٤٩- تفيد أن الحضارة التي حرص أهل الشرك عليها اليوم وبذلوا في سبيلها الجهد وأشغلوا فيها العقل إنما هي نتاج حرصهم على الحياة الدنيا، بخلاف حضارة امة الإسلام التي قامت لإعمار الأرض وخدمة الإنسانية مع العمل لدار الخلود.

٣٦٥٠- تفيد أهمية دراسة القواسم المشتركة بين أهل الملل والأديان، ومعرفة مناطق ضعف العدو وبناء الخطط الحربية وغيرها على هذه المعرفة، فهذه من هدايات القرآن العميقة في كيفية مواجهة أعداء الدين.

٣٦٥١- تفيد نذارة اليهود والذين أشركوا الذين أعرضوا عن التوحيد والحق وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾.

٣٦٥٢- تفيد أن الله سبحانه وتعالى محيط بأعمال خلقه؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾؛ والبصر هنا بمعنى العلم؛ ويمكن أن يكون بمعنى الرؤية؛ لكن تفسيره بالعلم أعم.

٣٦٥٣- تفيد بغضه تعالى لأعمال اليهود لأن علمه هنا له ما بعده من الجزاء.

٣٦٥٤- تفيد أن الآخرة دار أعدت للجزاء، فالله سبحانه وتعالى العليم المطلع على أحوال العباد يجازي كلًّا بحسب عمله في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[البقرة:٩٧].

٣٦٥٥- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، والرد على مزاعمهم وأباطيلهم.

٣٦٥٦- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآيات الكريمة السابقة فبعد أن ذكرت تلك الآيات كراهة اليهود للموت وكان مقتضى ذلك كراهتهم وعداوتهم للملك الموكل بقبض أرواحهم ذكر في هذه الآيات الكريمة عداوة اليهود لرأس من رؤوس وكبار ملائكة الله وأعظمهم وأجلهم وهو جبريل عليه السلام،

وأيضا لما ذكرت الآية الكريمة السابقة حرص اليهود على الحياة الدنيا والسفلى، ذكر في هذه الآية كراهتهم وعداوتهم للملك النازل بما فيه الحياة العليا والأخرى وهو جبريل عليه السلام، ويسمي أيضا بالروح، فمن أراد أن تعمر روحه فليلزم ما جاء به هذا الروح الأمين، فإن كان السامري أخذ قبضة واحدة من أثر هذا الروح فسرت الحياة إلى جسد العجل فكيف بمن يأخذ ويعمل بجميع آثار هذا الروح وما نزل به من عند الله تعالى. وفي هذا تظهر دقة الترابط وجودة التناسب وروعة التناسق بين هذه الآيات الكريمة.

٣٦٥٧- تفيد مكانة وشرف جبريل عليه السلام، حيث خصه الله تعالى بشرف نزوله بالوحي على قلب خير الخلق

٣٦٥٨- تفيد أن اليهود يؤمنون بالملائكة ولكنهم يعادون بعضهم، ولهذا لم ينفعهم هذا الإيمان.

٣٦٥٩- تفيد أن العقول الصغيرة تضع اللائمة على الأشخاص إما لفشلها أو لتقصيرها وإما لحسدها.

٣٦٦٠- يفيد قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾[البقرة: ٩٧] أن هذا قد يقع من غير اليهود، وأن من يحصل منه هذا الفعل - إنكار الوحي وكراهته - فهو محروم من هداية الوحي وبشارته.

٣٦٦١- تفيد بيانا إلى أن من يكره الحق يكره من جاء به.

٣٦٦٢- تفيد الحذر من معاداة أولياء الله تعالى، وأن هنالك بعض العداءات في الكون غير مبررة، فلا تتعجب ممن يعاديك بما ينبغي أن يحبك بسببه فلم تسلم الملائكة من أعداء، بل خير الملائكة.

٣٦٦٣- تفيد أن بعض الناس مهما أكرمته وأعطيته لن ينفع معه معروفك ولا جميلك.. فكم لله مع اليهود من أفضال ونعم وقد آتاهم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين.. ومع ذلك نصبوا العداوة لجبريل ولمحمد ﷺ بدلا من ذكر نعم الله ومننه عليهم

٣٦٦٤- تفيد أن عداوة اليهود ليست محضة لجبريل عليه السلام؛ بل هي عداوة لله بطريقة غير مباشرة.. واعتراضهم على جبريل عليه السلام إنما هو هروب عن نصب العداوة مع الله مباشرة.

٣٦٦٥- تفيد مع بيان فضيلة جبريل عليه السلام ذم معاديه؛ لأن الله تعالى دافع عنه.. فقوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ شرط عام مراد به خاص وهم اليهود، فقصد الإتيان بالشمول ليعلموا أن الله لا يعبأ بهم ولا بغيرهم ممن يعادي جبريل إن كان له معاد آخر.

٣٦٦٦- تفيد أن العداوة ما هي إلا جولة من جولات المراوغة ليهود؛ ليلبسوا الحق بالباطل ولا يعترفوا برسالة نبي الهدى ﷺ.

٣٦٦٧- تفيد توبيخًا لليهود على تلك العداوة لجبريل المستقبحة شرعًا وعقلًا، والرافضة يشاركونهم في عداوتهم لجبريل وميكائيل عليهما السلام.

٣٦٦٨- تفيد أن الرافضة شابهت باليهود في عداوتهم للصحابة، فأولئك كرهوا جبريل عليه السلام وعلموا أنه حامل الوحي ومبلغه، وهؤلاء بغضوا الصحابة ويعلمون أنهم هم حملة الوحي ومبلغوه.

٣٦٦٩- تفيد إثبات خلل التفكير وانعدام المنهجية فيه لدى اليهود، فمعرفتهم لجبريل عليه السلام.. إنما كانت عن طريق الرسل وإيمانهم السابق إنما كان عن طريق الغيب، فإذا صحت المقدمة وجب الإيمان بالنتيجة؛ فإما إيمان كامل وإما نفي له بالكامل.

٣٦٧٠- تفيد بيانًا لسفاهة اليهود وغباوتهم، وانحطاط عقولهم وقلة تفكيرهم وبطلان اعتقادهم، لأن من جاء ونزل بما هو مصدق لما عندهم في التوراة ينبغي محبته لا بغضه وعداوته، فمن حمقهم ومكابرتهم عداوتهم لمن جاء بكتابهم الذي يؤمنون به وهو جبريل عليه السلام.

٣٦٧١- تفيد أن جبريل يجب محبته لأنه جاء بما فيه سعادة وشرف الإنسانية، فمثله لا يبغض بل يجب أن يحب.

٣٦٧٢- تفيد مع قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]، أن جبريل عليه السلام هو الروح الأمين.

٣٦٧٣- تفيد أن جبريل عليه السلام هو الموكل بالوحي الذي به حياة القلوب، واليهود أشد الناس عداوة للوحي وحملته، فالرسل بين تكذيب وتقتيل والكتب بين تكذيب وتحريف فلا غرو أن يكونوا أعداء لجبريل عليه السلام الموكل بالوحي.

٣٦٧٤- وفيها: إثبات علو الله عز وجل.

٣٦٧٥- يفيد الإتيان بالضمير في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ أي: للقرآن، بالرغم من عدم تقدم الكلام عليه؛ دلالة على جواز عود الضمير على غير متقدم عليه إذا علم من السياق، وفي ذلك إشارة إلى فخامة شأن القرآن الكريم، حيث جعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته.

٣٦٧٦- تفيد أن إنزال جبريل بالقرآن منجمًا على رسول الله محمد ﷺ إنما هو بإذن الله ﷻ.

٣٦٧٧- تفيد تسلية للنبي ﷺ، وأنه ينبغي ألا يعبأ بعداوة اليهود لجبريل عليه السلام ولا يلتفت إليها ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي: ليثبت الله به فؤادك.

٣٦٧٨- تفيد أن نزول الوحي في القلب لا يكون إلا بإذن الله.. فإذا أذن الله لقلب بالهداية أسمعه ما يطمئن به قلبه.

٣٦٧٩- يفيد ذكر قلب النبي ﷺ، في قوله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ دون [عليك] إشارة لطيفة إلى أن القلب هو محل العقل والعلم وتلقي الواردات، وهو سلطان الجسد، وبه صلاح الجسد وفساده، وفي هذا أيضا تزكية وتشريف وبيان لمكانة قلب النبي ﷺ، فقد كان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه؛ انتظارا وترقبا لما سيلقى عليه من كلام الله تعالى.

٣٦٨٠- تفيد بيان اختلاف حال النبي ﷺ عن غيره، فالقران نزل على قلبه فلا يحتاج الى مجاهدة كما يحتاجه غيره ليستقر في قلبه، والانسان لا ينفعل في الحياة إلا بما استقر في قلبه، ولذا كان خلقه القران، وغيره إنما يكون له ذلك بقدر ما استقر منه في قلبه؛ لأن القلب محل الوارد من الرب سبحانه وتعالى.

٣٦٨١- تفيد أن القلب هو المكان الذي يجب أن يحفظ فيه القرآن لا الاكتفاء بحفظه في المصاحف فقط، وقد قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

٣٦٨٢- تفيد تمكن الوعي للقرآن كاملا في صدره ﷺ، وفي هذا إشارة إلى أن القرآن إذا وقع في القلب وهو الموطن الحقيقي له فرسخ فيه بالفهم نفع.

٣٦٨٣- تفيد أهمية نقاء القلب لاستقبال الوحي والخير، وفي ذلك بشارة لمن حمل الوحي في صدره، ومن دعا إلى الخير والهدى.

٣٦٨٤- تفيد مدحا وثناء عظيما للقرآن الكريم حيث ذكر له خمس أوصاف، وهي: أنه منزل من عند الله بإذن الله، وأنه منزل على قلب الرسول، وأنه مصدق لما سبقه من الكتب، وأنه هاد أبلغ هدى، وأنه بشرى للمؤمنين، فالثناء على القرآن بكرم الأصل، وكرم المقر، وكرم المضمون ومفيض الخير على أتباعه الأخيار خيرًا عاجلًا وواعد لهم بعاقبة الخير.

٣٦٨٥- يفيد عدم تعيين كتاب ما على هيمنة القرآن على كل الكتب المتقدمة وتصديقها بخلاف الإنجيل، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٤٦].

٣٦٨٦- تفيد أن ما جاء في القرآن الكريم لا يتعارض مع ما قبله من الكتب المنزلة قبل تحريفها.

٣٦٨٧- تفيد ما يبرهن على صدق القرآن والنبي ﷺ؛ لأن تصديق الرسل السابقين من دلائل صدقه ﷺ.

٣٦٨٨- تفيد مع قوله تعالى في آية أخرى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٨٥] أن في القرآن هداية عامة للناس وهي هداية الدلالة والإرشاد، وهداية خاصة بالمؤمنين هي هداية التوفيق.

٣٦٨٩- تفيد أن القرآن الكريم مشتمل على الهداية التامة من أنواع الضلالات، والعاقل لا يرفض الهداية التي تأتيه وتنقذه من ضلال هو فيه.

٣٦٩٠- تفيد تقديم البشارة على النذارة، وأن البشارة المقرونة بالهدى مستحقة لمن اختار سبيل الهدى.

٣٦٩١- يفيد الإتيان بالمصدر في قوله: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾عوضا عن اسم الفاعل كما في الوصف الذي قبله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾مبالغة في هداية القرآن الكريم وبشارته، وإشارة لطيفة إلى أن كونه هاديًا ومبشرًا أكثر من كونه مصدقًا لما بين يديه، فهو مصدق لما بين يديه بمجموعه وهاد ومبشر بمجموعه وأفراده، والله أعلم.

٣٦٩٢- تفيد أن القرآن بشرى للمؤمنين بالخير العظيم الدنيوي والآخروي وهو لا يكون بشرى لغيرهم.

٣٦٩٣- تفيد بيانًا لمنزلة الإيمان ومكانة المؤمن حيث جعل كتابه يحمل أعظم البشارات لهم.

٣٦٩٤- يفيد ختم الآية بقوله: ﴿وَهُدًى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾إشارة إلى أن عداوة جبريل عليه السلام كفر، ولا يعاديه إلا ضال مضل.

٣٦٩٥- تفيد تبكيتًا لليهود ووعيدًا وإنذارًا لهم، ففي الذي عارضوه وكذبوه وكفروا وعادوا مبلغه، فيه البشارة للمؤمنين.

٣٦٩٦- تفيد أن ما جاء به جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ إنما هدى، وفي هذا إشارة إلى أنهم ضلوا وأضلوا.

٣٦٩٧- تفيد هداية لواقعنا المعاصر إذ إن معاداة أهل الفضل والصلاح والإصلاح وحملة الدين، في مجتمعاتنا هو من سمات أهل الجهل والحسد والفساد والانحلال والرذيلة، ولا تجد أحدا من هؤلاء يذكر أهل الفضل إلا بسوء وانتقاص مهما عظم نفعه في المجتمع وكثرت آثاره ومآثره، فما أشبه صنيعهم بالمغضوب عليهم.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

٣٦٩٨- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، والرد على مزاعمهم وأباطيلهم، وقد جاءت للرد على من عادى الله وملائكته ورسله.

٣٦٩٩- تفيد مع ما قبلها أن عداوة أهل الفضل والصلاح والإصلاح هو عداوة لله ولكل ما أوجبه وفرضه وأمر بالإيمان به، وفي هذا إشارة خفية ودقيقة إلى أن العداوة بين أهل الإيمان والحق والصلاح وأهل الكفر والباطل والفساد ليست عداوة شخصية بقدر ما هي عداوة على الأصول والثوابت الإيمانية التي لا تقبل المساس أو التفاوض حولها، بل وتتعدى عداوتهم إلى الوقوف في وجه كل ما ينتمي إلى الإيمان والفضيلة والصلاح والاصلاح، ولهذا ينبغي للمسلمين عموما وحكامهم خصوصًا التنبه لخطورة ما يقوم به اليهود والغرب في عصرنا الحاضر من التفرقة بين المسلمين وتصنيفهم إلى من هو صديقهم وإلى من هو عدوهم، فالقضية أعظم وأخطر مما يتصور، وهذا كتاب الله ينطق بيننا، فهل من متعظ ومعتبر.

٣٧٠٠- تفيد تأكيدا على أن اليهود أسفه خلق الله لِما كان من حلم الله عليهم، والتلطف بهم في دعوتهم، والأخذ بأيديهم إلى طريق الحق، ومعاينتهم للآيات البينات، إلا أنهم اختاروا عداوة الله وملائكته ورسله.

٣٧٠١- تفيد أن النفس الإنسانية بها عدوان جبلي، ولكن لا ينبغي أن يتم توجيهه لله ورسله وملائكته.

٣٧٠٢- تفيد أن من عادى ملائكة الله من جبريل عليه السلام أو غيره، أو عادى الرسل من محمد ﷺ أو غيره فقد عادى الله ﷻ.

٣٧٠٣- يفيد ذكر أسماء بعض الملائكة إشارة لعدم تسمية الملائكة بما لم يسمه الله أو رسوله ﷺ.

٣٧٠٤- تفيد وجوب الإيمان المجمل بمن لم نعلم من ملائكة الله ورسله، وإيمان مفصل بمن علمناهم.

٣٧٠٥- تفيد أن للملائكة أسماء تميزهم، وأن لهم مهام، وأن أسماء بعضهم معروفة، وقد ذكرت في الكتب السماوية.

٣٧٠٦- تفيد تعظيمًا لجبريل عليه السلام وتنويها بقدره ومنزلته عند ربه، وفي المقابل تفيد ذم اليهود حيث أبغضوا جبريل عليه السلام وهو بهذه المنزلة العظيمة عند الله سبحانه.

٣٧٠٧- تفيد زيادة فضل جبريل وميكائيل عليهما السلام على سائر الملائكة، حيث خصهم بالذكر بعد ذكر الملائكة.

٣٧٠٨- يفيد اختصاص جبريل وميكال بالذكر مع أنها داخلان في الملائكة تنبيها على أن معاداة الواحد من الملائكة، أو معاداتهم كلهم سواء في الكفر، واستجلاب العداوة من الله تعالى، وأن من عادى أحدهم فكأنما عادى الجميع.

٣٧٠٩- يفيد تقديم جبريل عليه السلام على ميكائيل عليه السلام في الذكر دلالة على أنه أفضل منه، وهو القول المشهور لأهل العلم.

٣٧١٠- تفيد أن اليهود المعاندين المتعنتين عادوا ميكائيل عليه السلام كما عادوا جبريل عليه السلام، وفي ذلك تأكيد على أن المعاداة في حقيقتها إنما هي معاداة لله.

٣٧١١- تفيد أن إظهار العداوة لمن عادى أولياء الله من صفات الكمال.

٣٧١٢- تفيد أنه يجب على المؤمن معاداة أهل الكفر لمعاداتهم لله ﷻ.

٣٧١٣- تفيد أن من سلك طريق العداوة لله وللمصطفين من خلقه، فإن الله خصمه وندّه وهو بعزه وجبروته سينتقم منه.

٣٧١٤- تفيد عظم خسارة من كان الله عدوه، إذ ليس ثمة خسارة أعظم من خسارته والعياذ بالله.

٣٧١٥- يفيد وضع المظهر موضع المضمر في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾دون قوله: [فإن الله عدو له] إيذانًا بأن عداوة المذكورين كفر، وأن ذلك بيّن لا يحتاج إلى الإخبار به، وأن عقوبة عداوتهم تشمل هؤلاء وتشمل غيرهم من الكفرة.

٣٧١٦- تفيد وجوب معاداة الكفار ومباينتهم؛ لأن من كان بينه وبين الله عداوة لا ينبغي للمؤمن مصاحبته ومحبته والوثوق به، لأنه بذلك لن يسلم من عقوبة الله التي سوف تحل بأعدائه.

٣٧١٧- يفيد ذكر اسم الجلالة مظهرا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ﴾ولم يقل [فإني عدو] أو[فإنه عدو] إشعارًا بما في الظاهر من الفخامة والقدرة العظيمة، ولتجري العبارة مجرى المثل.

٣٧١٨- تفيد أن كل كافر فالله عدوّ له؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾.

٣٧١٩- تفيد إثبات صفة العداوة من الله، أي: أن الله يعادي؛ وهي صفة فعلية كالرضا، والغضب، والسخط، والكراهة بما يليق بجلاله جل وعلا.

٣٧٢٠- تفيد بإشارة خفية إلى أنه ينبغي للمؤمن القوي الذي يرى ويسمع وقوع الاعتداء والظلم على المؤمن الضعيف أن لا يقف مكتوف الأيدي تجاه هذا العدوان، بل يجب أن يستخدم كل إمكانياته المتاحة لرد هذا العدوان والظلم عن المؤمن الضعيف، فإن الله ﷻ دافع عن ملائكته ورسله، وصرح بأنه عدو لمن عاداهم، وفي هذا هداية للمؤمن القوي وللدول القوية من أهل السنة ممن يشاهدون الواقع المأساوي الذي يعيشه بعض المؤمنين من أهل السنة ممن لا حول لهم ولا قوة في عدد من البلدان تجاه الآلة الحربية الشيعية.

قال تعالى:﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩].

٣٧٢١- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، والرد على مزاعمهم وأباطيلهم، وادعائهم الإيمان، وإثبات كفرهم.

٣٧٢٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها من الآيات؛ فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر جملا من قبائح اليهود وذمهم على ذلك، وكان فيما ذكر في الآيتين السابقتين معاداتهم لجبريل عليه السلام، ناسب بعد ذلك ذكر إنكارهم وعداوتهم لما نزل به جبريل عليه السلام من الآيات البينات.

٣٧٢٣- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فبعد أن دافع الله عن ملائكته ورسله وجعل عداوتهم من عداوته، وأوضح كفر من عاداه وعادى ملائكته ورسله، دافع في هذه الآية عن آياته البينات المنزلة على خير الكائنات وأشرف البريات، وأوضح كفر من ينكرها ويجحدها لكونها آيات بينات واضحات لا يتصور من عاقل أن يقابلها بالرد والكفر والإنكار.

٣٧٢٤- تفيد إثبات صفة العلو لله تعالى.

٣٧٢٥- تفيد إظهارا لعظمة الله تعالى بإنزاله أبين الآيات على رسول الله ﷺ.

٣٧٢٦- تفيد تكريما وتأييدا لنبي الهدى ﷺ بهذه الآيات البينات، وبيانا لمكانته عند الله تعالى.

٣٧٢٧- تفيد أن الآيات البينات التي جاء بها النبي الكريم ﷺ هي من عند الله.

٣٧٢٨- تفيد مع ما قبلها أن اليهود هم أعلم الناس بهذا الرسول ورسالته، وهم أول من كفر به وبرسالته.

٣٧٢٩- تفيد أن في الآيات المنزلة قوة وحجة تدعو أصحاب العقول والبصائر للإيمان بها، وعليه فإن من فسق عنها يكون عديم العقل أعمى البصر والبصيرة.

٣٧٣٠- تفيد أنه ليس لكافر بالقرآن حجة عند ربه، حيث أقام فيه الدلائل الكافية للإيمان به.

٣٧٣١- تفيد عظمة ومنزلة القرآن الكريم، حيث وصف بأنه منزل من عند الله، وأنه آيات بينات، والحكم على من كفر به بالفسق.

٣٧٣٢- تفيد أن على المؤمن أن يعتز بكتابه وبرسوله، تملأ قلبه العزة ويعلو ويرتفع شأنه بقدر إيمانه وعمله بآيات ربه.

٣٧٣٣- تفيد أهمية تأييد الحق بالآيات والحجج القاطعة، وكشف كل تلبيس على الناس يمنعهم من الإيمان.

٣٧٣٤- تفيد رحمة الله بعباده حيث أيد رسوله بالآيات البينات والحجج القاطعة حتى يهتدي إليها كل طالب للحق.

٣٧٣٥- تفيد أن القرآن الكريم منة من الله امتن بها على هذه الامة فهو غذاء الروح وحياة القلوب وهداية البشرية وبيان الطريق المستقيم.

٣٧٣٦- تفيد فضحًا وذمًا لليهود ومن شابههم في فعلهم وكفرهم، وبيانًا بأنهم خرجوا عن طاعة الله، ونور الهداية إلى ظلام الضلالة والكفر.

٣٧٣٧- تفيد أن الشاهد على دعوى الإيمان بالله هو الإيمان بجميع الآيات المنزلة من عنده والعمل بها.

٣٧٣٨- تفيد التنفير من الكفر بآيات الله تعالى حيث حصر وصف الفسق فيهم.

٣٧٣٩- تفيد أن الفسق يحول بين العبد وبين الأمر البين الواضح، ويطمس بصيرته.

٣٧٤٠- تفيد أن الفسوق والعصيان من الموانع المانعة من الإيمان بالقرآن الكريم والتسليم لبيناته.

قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة:١٠٠].

٣٧٤١- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم، والرد على مزاعمهم وتفنيد أباطيلهم، وادعائهم الإيمان، وإثبات كفرهم، وقد جاء في الآية السابقة أهم العهود التي نقضها اليهود، وهي رسالة محمد ﷺ والتي أخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء قبله أن يؤمنوا به ويتبعوه، وكلهم بشروا به وأخذوا على أقوامهم العهد أن يتبعوه.

٣٧٤٢- تفيد أن من صفات اليهود الذميمة المتأصلة عندهم والملازمة لهم نقض العهود.

٣٧٤٣- تفيد كثرة العهود والمواثيق التي أخذت على اليهود فنبذوها وراء ظهورهم، وفي ذلك إشارة إلى أنهم قوم فيهم الكذب والمماطلة ولا يطلب منهم أمر إلا على سبيل العهد والميثاق.

٣٧٤٤- تفيد توجيها للاحتراز من إبرام العهود والمواثيق مع اليهود، إذ كيف نثق بهم ونأمنهم بعدُ وهذه حالتهم في كل عصر! بل كيف نبرم معهم العهود والمواثيق والله ﷻ قد بين حقيقتهم وكشف أستارهم وأظهر معايبهم، فهم لا يلتزمون بوعد، ولا يوفون بعهد.

٣٧٤٥- تفيد وجوب الوفاء بالعهود، وأن أهل الإيمان يوفون بالعهود، وأن الوفاء بالعهود من شيم أهل الإيمان.

٣٧٤٦- تفيد دليلا على قلة المؤمنين في اليهود، ونفي الإيمان عن الكثرة الكاثرة منهم، وبيانًا للعدل والإنصاف مع العدو الكافر الخائن من خلال استثناء القلة المؤمنة التي لم تنقض العهد.

٣٧٤٧- تفيد أن أكثر اليهود ينبذون العهود التي يبرمونها من تلقاء أنفسهم والتي يرون فيها مصالحهم، فكيف بالعهود والمواثيق التي أخذت عليهم وحملوا عليها حملا، واجبروا عليها إجبارا.

٣٧٤٨- يفيد تنكير العهد إشارة إلى أن أكثر اليهود لا تفرق بين عهد عظيم وعهد حقير، وأنهم ينبذون أي عهد مهما كان حجمه ومقداره، ولو لم يتسبب لهم العهد بأي ضرر أو خطورة عند الإبقاء والمحافظة عليه.

٣٧٤٩- تفيد بإشارة خفية أن اليهود كثيرا ما تتستر بإبرام العهود والمواثيق على خصومها للوصول لأجندتها وأهدافها، وخير شاهد على هذا ما تقوم به من إبرام العهود والمواثيق مع الفلسطينيين عندما تخاف على نفسها من اندلاع انتفاضة شعبية عارمة كانتفاضة الأقصى المبارك، ولكن سرعان ما تنبذ تلك العهود مع زوال الخطر عنها، وهذا كان دأبهم منذ أمد سحيق، وهذا ما يفيده قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا﴾.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠١].

٣٧٥٠- تفيد مناسبة لما قبلها من الآيات حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم؛ للتحذير منهم ومن مشابهة أقوالهم وأفعالهم، وبيانا لصفة من صفاتهم وهي التعامي عن الشيء مع كامل معرفتهم به، والتزوير للحقائق.

٣٧٥١- تفيد مع ما قبلها أنَّ جِيلَ اليَهُودِ أرْبَعُ فِرَقٍ؛ فَفِرْقَةٌ آمَنُوا بِالتَّوْراةِ؛ وقامُوا بِحُقُوقِها؛ كَمُؤْمِنِي أهْلِ الكِتابِ؛ وهُمُ الأقَلُّونَ؛ المشارُ إلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:١٠٠]؛ وفِرْقَةٌ جاهَرُوا بِنَبْذِ العُهُودِ؛ وتَعَدِّي الحُدُودِ تَمَرُّدًا وفُسُوقًا؛ وهُمُ المُعْنِيُّونَ بِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾[البقرة: ١٠٠]؛ وفِرْقَةٌ لَمْ يُجاهِرُوا بِنَبْذِها؛ ولَكِنْ نَبَذُوها لِجَهْلِهِمْ بِها؛ وهُمُ الأكْثَرُونَ؛ وفِرْقَةٌ تَمَسَّكُوا بِها ظاهِرًا؛ ونَبَذُوها خُفْيَةً؛ وهُمُ المُتَجاهِلُونَ. منقول.

٣٧٥٢- تفيد أن الداعية الرباني هو من يتجشم الذهاب للمدعوين وليس من ينتظرهم ليأتوه، وفي هذا إشارة إلى قبح رد اليهود الذين قابلوا مجيء الرسول إليهم بالتكذيب والكفر بما جاء به.

٣٧٥٣- تفيد تعظيما وتفخيما وتأييدا وبيانا لمنزلة الرسول ﷺ، وأن رسالته حق؛ لقوله تعالى: ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾

٣٧٥٤- تفيد أن من لا يبالي بالهدى النازل من السماء لا يبالي بأحد من البشر حتى ولو كانوا انبياء، ولهذا فإن مجيء الرسل والكتب ذكر للمنن النازلة من السماء لمن يعرف قيمة الخطاب وجلالة الرسول.

٣٧٥٥- تفيد أن الرسول ﷺ قد أخبرت به الكتب السابقة؛ لقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾.

٣٧٥٦- تفيد أن الأنبياء والرسل يصدق بعضهم بعضا، ورسالاتهم مصدقة لبعضها، وأن رسالة النبي ﷺ تقرر ما سبقها من رسالات الرسل.

٣٧٥٧- تفيد أن نبذ فريق من الأمة يعتبر نبذًا من الأمة كلها ما لم يتبرؤوا منه؛ فإن تبرؤوا منه فإنهم لا يلحقهم عاره؛ لكن إذا سكتوا فإن نبذ الفريق نبذ للأمة كلها؛ وجه ذلك أن الله وبخ هؤلاء على نبذ فريق منهم مع أنهم لم يباشروه.

٣٧٥٨- تفيد أن من أهل الكتاب مَن قَبِل الحق، واعترف بالنبي المرسل وصفاته المذكورة عندهم في التوراة، ولم ينبذ كتاب الله وراء ظهره، كالنجاشي من النصارى، وعبد الله بن سلام من اليهود؛ ولذا أسند النبذ إلى فريق احترازًا من شمول الذم للذين آمنوا منهم، وهذا من دقة اللفظة القرآنية عند الحديث عن الأمم.

٣٧٥٩- تفيد أن أهل الباطل ليسوا جميعا سواء بل يجب معاملتهم كل حسب قربه وبعده من الحق.

٣٧٦٠- تفيد بيانا بأن فريقا من اليهود يرفضون الحق، ويرفضون ما جاءهم من ربهم ويتبعون أهواءهم، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ وأن ذلك ليس ببدعة في القوم بل هو سجيتهم وعادتهم وعادة سلفهم.

٣٧٦١- يفيد إبهام الشخص في قوله: ﴿فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ﴾ إشارة إلى أن القضية قضية مع المناهج وليست مع الأشخاص.

٣٧٦٢- تفيد مبالغة في إعراض اليهود عما في التوراة من دلائل النبوة، وأن نعت النبي ﷺ ووصفه موجود في كتاب التوراة، وأنهم يعلمون ذلك يقينا، ولكنهم يتجاهلونه مكابرة وعنادا.

٣٧٦٣- تفيد شدة كراهية اليهود للقرآن، واستهانتهم به، حيث نبذوه وراء ظهورهم، حتى لا يلتفتوا إليه ولا يحنوا إليه، وفي ذلك روعة التصوير لحالهم مع الكتاب الخاتم الذي أنزل على النبي الخاتم، حيث طرحوه وراء ظهورهم، حتى لا يتأثروا به ولا يحنوا إليه إذا رأوه أمامهم أو بجانبهم.

٣٧٦٤- تفيد أن هذا النبذ الذي كان منهم لا يرجى بعده قبول؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ لأن النبذ لو كان أمامهم ربما يتلقونه بعد؛ كذلك لو كان عن اليمين، والشمال، لكن إذا كان وراء الظهر فمعناه استبعاد القبول منهم.

٣٧٦٥- تفيد أنه لن تؤثر المواعظ والكتب فيمن طبعه الحسد، قبل أن يتخلص من دائه.

٣٧٦٦- تفيد أنه قد يعلم بعضهم صدقك، ولكن يكذبك لأمر في نفسه، فلا تبتئس، بل وقد يزدري بعضهم الحق فيصوره بأدنى الصور، ويرده وراء ظهره، فاجعل أنت الحق نصب عينيك، واثبت عليه.

٣٧٦٧- تفيد أن نبذ من عنده كتاب وعلم أقبح ممن ليس عنده ذلك؛ ولهذا نص على قوله تعالى: ﴿فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ لإظهار شدة قبح نبذهم؛ لأن النبذ مع العلم أقبح من النبذ مع الجهل.

٣٧٦٨- يفيد ذكر ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ دون [وراءهم]، ذما وقبحا لتلك الظهور التي كان كتاب الله خلفها، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى قرب كتاب الله تعالى من ظهورهم بحيث لو التفتوا إليه لاستطاعوا أخذه والنظر إليه، ولكنهم لا يلتفون إليه.

٣٧٦٩- تفيد أن أخطر شيء أن يكون هناك فريق من الناس يعترضون على دعاة الهداية سواء أكانوا أنبياء أم من أتباعهم، أو أن يخذولهم، وكذا رد ما جاءوا به أو كسر قوته بتأويل أو غيره، وهذا ما حذر منه الرسول ﷺ: «ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة..»، ومن فعل ذلك كان من أشد الناس جهلا؛ لأنه عادى نفسه قبل معاداة غيره، وغرر بغيره فيما يعود على نفسه بالضرر، ولا يفعل ذلك إلا المغرقون المعرقون بالجهل والجهالة.. ولذا حذر النبي ﷺ من اتباع سنن اليهود والنصارى في هذا، وهذا من أشد ما يواجهه الدعاة اليوم من خصوم الدين وأهله -نسأل الله السلامة والعافية -.

٣٧٧٠- تفيد أن أقرب الشواهد إليك وأبواب الحق بين يديك حين تقبل عليها بوجهك ولا تدير لها ظهرك.

٣٧٧١- تفيد أن من يعمى عن الحق لن يعترف بقيمة الخلق.

٣٧٧٢- تفيد أن كل من رد الدليل بهواه ففيه شبه من اليهود.

٣٧٧٣- تفيد مع ما بعدها أن من نبذ كتب الله تعالى فسيأخذ بكتب الشياطين، ومن لم يتبع ما يتلى من كتب الله اتبع ما تتلوه الشياطين، ومن لا يصدق الرسل والأنبياء يصدق الشياطين والسحرة.

٣٧٧٤- تفيد أن من جعل الحق وراء ظهره ولم يتبعه، سيجعل بالتأكيد الباطل أمامه ويأخذ به ويتبعه.

٣٧٧٥- تفيد أن ما جاء من عند الله ينبغي أن يعض عليه بالنواجد، لا أن ينبذ وراء الظهور.

٣٧٧٦- تفيد مع قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾[الانشقاق:١٠] أن الجزاء من جنس العمل، فهؤلاء عندما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وكفروا به في الدنيا، أعطوا كتبهم في الآخرة وراء ظهورهم.

٣٧٧٧- تفيد إثباتا لكفر اليهود الذين أنكروا الرسول والرسالة رغم علمهم بالرسول وأوصافه الواردة في كتابهم.

٣٧٧٨- تفيد أن القرآن كلام الله، لأن الله تعالى أضافه إليه في قوله تعالى: ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾، وهذا يدل على فضله ومكانته.

٣٧٧٩- تفيد بيان قبح ما صنع هؤلاء اليهود المكذبون؛ والتعريض بخستهم بادّعائهم عدم العلم، وتمسكهم بأهوائهم وعدم قبول قول من خالفهم، فهم في الحقيقة والواقع يعلمون؛ ولكن فعلهم كأنه فعل من لم يعلم أنه كتاب الله؛ وكفر من علم أشد من كفر من لم يعلم، وأن قبح جريمة من تنكر للحق بعد معرفته أشد من قبح جريمة من لا يعرف الحق.

٣٧٨٠- تفيد تأكيدا على اتصاف اليهود بصفة الظلم والاستعلاء حيث استيقنوا الحق ثم جحدوا به، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

٣٧٨١- تفيد تحذيرا من مشابهة المغضوب عليهم بنبذ العهود والإعراض عن الحق، لا سيما إذا كان هذا الفعل ممن علم الحق وتيقن منه.

٣٧٨٢- تفيد حذف مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾إشارة لطيفة إلى أن من علم كتب الله حق العلم فما الذي جهل؟ ومن جهلها فما الذي علم؟.

٣٧٨٣- تفيد أن الجهل في ذاته مصيبة، والتعامي والتجاهل مع العلم أشد مصيبة ووزرًا.

٣٧٨٤- تفيد بإشارة خفية إلى أنه ينبغي علينا ألا ننبهر بالعلوم والمعارف والأبحاث العلمية الحديثة التي توصلت إليها العقول اليهودية الشيطانية، فهناك علم رفيع وخطير تركوه خلف ظهورهم، وهو العلم بكتب الله تعالى المنزلة على رسله، وعلى الأمة المسلمة أن تأخذ بهذا العلم وتتمسك بكتاب الله تعالى ولا تجعله رواء ظهرها؛ لتتمكن من إسقاط ودك عرش اليهود، ولتتبر ما علوا بعلومهم ومعارفهم الحديثة تتبيرا.

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٠٢-١٠٣].

أولًا: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ...﴾.

٣٧٨٥- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زالت الآيات في سياق كشف عوار المغضوب عليهم للتحذير منهم، ومن مشابهة أقوالهم وأفعالهم.

٣٧٨٦- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة، فبعد أن ذكرت الآية السابقة أن هؤلاء اليهود نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ذكر في هذه الآية أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين، وعلى هذا فإن الإعراض عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ يفتح أمام المعرضين أبواب الباطل من البدع الدينية، والضلالات العقلية، وغيرهما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٣٦ – ٣٧] فإن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن ابتلي بعبادة الأوثان والشياطين، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل.

٣٧٨٧- تفيد مع ما قبلها أن من نبذ الهدى وأعرض عنه ابتلاه الله تعالى باتباع الباطل والهوى، وجعله من شر الخليقة.

٣٧٨٨- تفيد مع ما قبلها أن كل إنسان يميل ويصبوا إلى ما يناسبه، فهؤلاء اليهود تركوا علم الأنبياء، وأقبلوا إلى علم الشياطين.

٣٧٨٩- تفيد أن الهداية والضلال تبدأ بقصة الاتباع، فمن اتبع سبيل الشياطين قذفت به في الجحيم.

٣٧٩٠- يفيد التعبير بصيغة المضارع ﴿تَتَلُواْ﴾بدلًا من [تلت] دلالة على استمرارية اليهود في هذا الأمر، فاليهود حتى اليوم يؤمنون بما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وهي صفة متجددة فيهم من أسلافهم إلى هذا اليوم.

٣٧٩١- تفيد أن الشياطين كما يكونوا من الجن يكونوا من الإنس؛ لأن الظاهر هنا أن هذا التعليم من شياطين الأنس؛ لأن شيطان الجن يقومون بالوسوسة والتزين، وشياطين الإنس يقومون بالمشاركة والتعليم -والله أعلم-.

٣٧٩٢- تفيد أن الشياطين هنا عامة لشياطين الجن والإنس، ويحتمل أن يراد به ناس تمردوا وكفروا وأتوا بالفظائع الخفية، فأطلق عليهم الشياطين على وجه التشبيه، وقرينة ذلك قوله:﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾فإنه ظاهر في أنهم يدرسونه للناس، وكذلك قوله بعده ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾، إذ إن هذا الاستدراك في الإخبار يدل على أنهم من الإنس لأن كفر الشياطين من الجن أمر مقرر لا يحتاج للإخبار عنه.

٣٧٩٣- تفيد ذم اليهود في تحري السحر وإيثاره وتبرئة لسليمانعليه السلام مما نسبوه إليه من السحر والكفر.

٣٧٩٤- تفيد تحذيرا من كيد شياطين الإنس والجن، وأن قضية السحر قضية شيطانية تعلمها اليهود وأخذوها عن الشياطين ولهذا فهم شر الخليقة، والناشرون للأعمال الشيطانية.

٣٧٩٥- تفيد بيان ما كان عليه اليهود من الخبث وفساد النية، والسعي للإضرار بعباد الله، وأنهم يسلكون كل سبيل للوصول إلى أهدافهم ومرادهم، ولو من خلال الكفر بالله، وعمل السحر الذي لم يعرف إلا عندهم، فهم أصل الشر ومصدر الفتن في الأرض، وواقعهم اليوم أكبر دليل على ذلك.

٣٧٩٦- تفيد تزكية وتعظيما لنبي الله سليمان عليه السلام، وإثباتا للملك الذي تميز به عن غيره من الرسل، وقدرته على الجن والشياطين.

٣٧٩٧- تفيد أن الشياطين كانوا يأتون السحر على عهد سليمان مع قوة سلطانه عليهم.

٣٧٩٨- تفيد ردًا على اليهود وتبرئة لساحة نبي الله سليمان عليه السلام مما نسب إليه من السحر، وأنه لا يقر ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾؛ إذ لو أقرهم على ذلك –وحاشاه– لكان مُقرًا لهم على كفرهم، ومقر الكفر كافر.

٣٧٩٩- تفيد التنفير والزجر عن السحر بأعظم أسلوب وآكده، وأنه من الموبقات، وذلك من خلال التعبير عنه بالكفر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ بدلا من قوله: [وما سحر سليمان].

٣٨٠٠- تفيد أن الله تعالى قد ييسر أسباب المعصية فتنة للناس وابتلاء امتحانا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

٣٨٠١- تفيد ذكرا لأصناف الخلق الثلاثة [الإنس والشياطين والملائكة]، وقد ذكرت الآية الصنف السيء القبيح من الجن الذي تمرد على شرع الله، وبهذا يلتقي معه من شابهه من الإنس كاليهود، ولا يكون ذلك من الملائكة، كما جاء في بعض كتب التفسير بحق الملكين هاروت وماروت، فقد وصف الله ملائكته بقوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

٣٨٠٢- تفيد بيان اصطفاء الله لبعض الملائكة لأعمال محددة لها علاقة بالبشر.

٣٨٠٣- تفيد أن السحر يتم بالتعلم والتعليم والممارسة.

٣٨٠٤- تفيد أن الكثير من أصناف العلوم قد تُعلم على سبيل الثقافة لا للاتباع والتطبيق.

٣٨٠٥- تفيد حاجة الإنسان للتعلم، وأن لديه قابلية للتعلم من الشياطين ومن الملائكة، وأنه بقدرته أن يتعلم ما ينفعه أو يضره.

٣٨٠٦- تفيد أنه إذا كانت عندك سلعة رديئة وأراد أحد شراءها يجب عليك أن تُحذره لقول الملكين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وأنه يجب على الإنسان أن ينصح للناس وإن أوجب ذلك إعراضهم عنه.

٣٨٠٧- تفيد ضرورة التنبيه والتأكيد على ما يُحذر منه من العلوم.

٣٨٠٨- تفيد عدم الاغترار بالأسماء والأوصاف، فكم من مضمون خالف المسمى والموصوف، وعدم الاغترار بالغريب من الأفعال والخارجة عن مقدور البشر العاديين فإن صاحبها متهم بالسحر والتعامل مع الشياطين.

٣٨٠٩- تفيد تحذيرا من السحر والسحرة أهل التمويه والتخييل من الإعلاميين والمضللين من أتباع الأفكار المنحرفة.

٣٨١٠- تفيد تحذيرا من الولع بالأمور الخارجة عن المألوف، لأن غالبها على سبيل السحر المؤدي إلى الكفر.

٣٨١١- تفيد أن ديدن المفسدين في الأرض إفساد ذات البين سواء بين الزوج وزوجته أو بينه وبين أخلائه وأصدقائه، لأن ﴿ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾تحتمل الزوجة، ويحتمل الشبيه في الفعل.

٣٨١٢- تفيد أنّ من عظم السحر أن يكون أثره التفريق بين المرء وزوجه؛ لقوله تعالى:﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾؛ لأن ذلك من أعظم الأمور المحبوبة إلى الشياطين، كما جاء في ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: « إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت ».

٣٨١٣- تفيد أن كل أحد تعرض للسحر الذي هو في أصله كله ضر لا يناله الضر إلا بإذن الله تعالى.

٣٨١٤- تفيد أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير فإنها تابعة للقضاء والقدر وليست مستقلة في التأثير، ولا تأثير لها إلا بإذن الله عز وجل.

٣٨١٥- تفيد أن قدرة اللهﷻ فوق الأسباب؛ وأنه مهما وجدت الأسباب والله لم يأذن، فإن ذلك لا يؤثر؛ وهذا لا يعني أننا نترك الأسباب ولا نأتي بها؛ ولكن لأن الأصل أن الأسباب مؤثرة بإذن الله

٣٨١٦- تفيد بإشارة خفية إلى أنه ينبغي للعبد دائما اللجوء إلى الله، وخاصة في فك السحر؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ فإذا علم العبد المسحور أن كل شيء بإذن الله حينذاك لا يلجأ إلا إليه سبحانه وتعالى في جلب المنافع، ودفع المضار.

٣٨١٧- تفيد أن العلم منه ما هو نافع ومنه ما هو ضار، فالعلم النافع ما قام عليه الدليل وجاء عن الرسول ﷺ، والعلم الضار بخلافه.

٣٨١٨- تفيد أن علم السحر مضرة محضة، ليس فيه منفعة لا دينية ولا دنيوية كما يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[البقرة:٢١٩]. ولهذا قال تعالى في هذه الآية موضحا أن تعلم السحر مضرة محضة لا نفع فيه: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾؛ فأثبت ضرره، ونفى نفعه.

٣٨١٩- تفيد أهمية وضع المعايير التي يميز بها الإنسان العلم النافع من العلم الضار، وضرورة تقويم ما يتم تقديمه في برامج التعليم للتأكد من مدى نفعه أو ضره.

٣٨٢٠- تفيد – على ما ذهب إليه كثير من أهل العلم – أن كفر الساحر كفر مخرج من الملة؛لقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ يعني: من نصيب؛ وليس هناك أحد ليس له نصيب في الآخرة إلا الكفار؛ فالمؤمن مهما عذب فإن له نصيبا من الآخرة، وقد استنبط العلماء كفر الساحر المستعين بالشياطين من الآية من عدة وجوه وهي: أ) براءة سليمان عليه السلام من الكفر لبراءته من السحر. ب)كفر الشياطين لتعليمهم الناس السحر. ج) تحذير الملائكة من الكفر بسببه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾. د) نفي [الخلاق] في الآخرة لمن اشتراه ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾وهذا الوعيد لا يتوعد به في القرءان عادة إلا للكفار.

٣٨٢١- تفيد أن هؤلاء اليهود تعلموا السحر عن علم بعاقبته ووبال أمر صاحبه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ بل إن في هذا إشارة إلى رغبة اليهود في السحر رغبة المشتري في السلعة التي يدفع في سبيلها أغلى ثمن.

٣٨٢٢- تفيد أن اليهود أسفه خلق الله، حيث يقدمون الأدنى على الأعلى، ويستبدلون الفاني الرخيص بالباقي النفيس.

٣٨٢٣- تفيد إثبات الجزاء، وأنه من جنس العمل؛ فإن اليهودي لما لم يجعل لله ولكتابه نصيبا في دنياه لم يجعل الله له نصيبا من الآخرة لقوله تعالى: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾.

٣٨٢٤- تفيد ذم هؤلاء اليهود الذين باعوا آخرتهم بدنياهم حيث ذمهم الله تعالى بما اختاروه لأنفسهم، قال تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾، وفي هذا إشارة إلى أن العبد إنما يذم ويمدح بعمله، وأن من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

٣٨٢٥- تفيد أن العلم الصحيح النافع هو الذي يجعل العبد يفعل الأمور التي تنفعه في دينه ودنياه وآخرته، ويحذر ما يضره في دينه ودنياه وآخرته؛ لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: لو كانوا ذوي علم نافع لعملوا بعلمهم، ولما اشتروا هذا العلم الذي يضرهم ولا ينفعهم، ولهذا ينبغي للعبد أن لا يخالف عمله علمه بالأوامر والنواهي.

فائدة: يقول أحد الحكماء: الدنيا أعظم سحرًا من هاروت وماروت، فهاروت وماروت يفرقان بين المرء وزوجه، وأما الدنيا فإنها تفرق بين العبد وربه.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

٣٨٢٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكرت الآية الكريمة السابقة ذنوب اليهود ومعاصيهم من خلال اتباعهم الشياطين وتعلم السحر، والتفريق بين المرء وزوجه، ذكر في هذا الآية ما يمكنهم من العودة إلى ربهم والاقلاع والتوبة من ذنوبهم ومعاصيهم.

٣٨٢٧- تفيد سعة حلم الله حيث عرض عليهم الإيمان والتقوى بعدما اقترفوا ما اقترفوا، ومن سنة الله أن يعرض التوبة على المذنبين.

٣٨٢٨- تفيد بشارة لمن تاب ورجع إلى الله بالمغفرة والمثوبة مهما بلغت ذنوبه، وعظمت معاصيه.

٣٨٢٩- تفيد أن ثواب الله متحقق لمن آمن واتقى، وأنه بالإيمان والتقوى يُنال ثواب الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾[البقرة: ١٠٣] وهذا متضمن لمنزلتهما.

٣٨٣٠- تفيد أن الإيمان بالله تعالى وبما جاء عنه وبذل الجهد في مرضاة الله وتقواه، هو ما ينفع العبد في دنياه وأخراه.

٣٨٣١- تفيد أن التقوى برهان على الإيمان، وأن الثواب من كرم الله تعالى.

٣٨٣٢- تفيد تفضيل وتقديم ما عند الله على كل ما سواه.

٣٨٣٣- تفيد مع قوله تعالى في الآية السابقة وفي هذه الآية: ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾إشارة إلى أن العلم النافع يكمن في الإيمان بالله تعالى وتقواه، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٢]، وأن العلم النافع سياج منيع لصاحبه عن مثل تلك الأمور الشنيعة التي علمها اليهود.

٣٨٣٤- تفيد أن اليهود ومن شاكلهم تغافلوا عن العلم بحقيقة المآل، ولهذا استحقوا غضب الله والخلود في النار.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[البقرة:١٠٤].

٣٨٣٥- تفيد الآية مناسبة لما قبلها من آية السحر، حيث إن من ضروب السحر ما هو تمويه ألفاظ وما مبناه على اعتقاد تأثير الألفاظ في المسحور بحسب نية الساحر وتوجهه النفسي إلى المسحور، وقد تأصل هذا عند اليهود واقتنعوا به في مقاومة أعدائهم. ولما كان أذى الشخص بقول أو فعل لا يعلم مغزاهما كخطابه بلفظ يفيد معنى ومقصود المتكلم منه أذى، أو كإهانة صورته أو الوطء على ظله، كل ذلك راجعًا إلى الاكتفاء بالنية والتوجه في حصول الأذى، كان هذا شبيهًا ببعض ضروب السحر؛ ولذلك كان من شعار من استهواهم السحر واشتروه، ناسب ذكر هاته الحالة من أحوالهم عقب الكلام على افتتانهم بالسحر وحبه دون بقية ما تقدم من أحوالهم وهاته المناسبة هي موجب التعقيب في الذكر، قاله ابن عاشور -رحمه الله-.

٣٨٣٦- تفيد دقة التناسب، وروعة التناسق، وقمة البلاغة، حيث تخلصت الآية الكريمة السابقة عن الكلام المباشر مع اليهود والخاص بفظائعهم وشنائعهم إلى الحديث مع المؤمنين، حيث قال سبحانه وتعالى في الآية السابقة ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾[البقرة: ١٠٣]، ثم قال في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

٣٨٣٧- تفيد أن الإيمان يقتضي كل الأخلاق الفاضلة، وأن مراعاتها من الإيمان.

٣٨٣٨- تفيد أن الأدب مع الرسول ﷺ من أجل الطاعات، وأوجب الواجبات، وأن على العبد الابتعاد عن استعمال أي كلمة قد تفهم غير الإجلال والإكبار لمقام خير البشر ﷺ، ويتبع ذلك أهل الفضل والعلم والصلاح.

٣٨٣٩- تفيد وجوب مخالفة الكفار وضرورة استقلال المسلم في شخصيته وحياته.

٣٨٤٠- تفيد النهي عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا، فلا يحوز تقليد الكفار وخاصة هذه الأيام في أعياد الميلاد.

٣٨٤١- تفيد النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم سدًا للذريعة، ومن ذلك: الألفاظ التي تحتمل الفحش، والتي تفيد احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن فقال: ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور.

٣٨٤٢- تفيد الإشارة الى القاعدة السنية وهي ضرورة استعمال المصطلحات الشرعية الواضحة والمحكمة والبعد عن المصطلحات المجملة المحتملة لحق وباطل، وتحتاج الى تفصيل.

٣٨٤٣- تفيد التأكيد على اختيار اللفظ الحسن ومخالفة اليهود ومن شابههم ممن يتلفظون بالقبيح من القول

٣٨٤٤- تفيد تنبيها وتحذيرا للمؤمنين على حقارة اليهود وعداوتهم للنبي ﷺ والمسلمين، وخبثهم فيما يقولون ويستعملونه من المعاريض والعبارات المحتملة.

٣٨٤٥- تفيد أن المصطلحات الشرعية، والألفاظ المستعملة قد تستخدم في نقيض مفهومها الصحيح تلبيسا على الناس، وهذا أسلوب اليهود والمنافقين، ومسلك لأهل الأهواء تبعا لليهود.

٣٨٤٦- تفيد التحذير من أهل التلبيس من الإعلاميين وغيرهم الذين يتلاعبون بالألفاظ فيلبسون الحق بالباطل.

٣٨٤٧- تفيد قمة البلاغة القرآنية، حيث جمعت هذه الآية بين الإنشاء [النهي والأمر] والخبر، وبين الوعيد الصريح للكافرين والوعد اللازم منه للمؤمنين.

٣٨٤٨- تفيد إعجاز اللغة العربية فاللفظ الواحد تتعدد فيه المعاني، والفيصل هو السياق.

٣٨٤٩- يفيد تقديم النهي عن قول ﴿رَٰعِنَا﴾ على الأمر بقول ﴿ٱنظُرۡنَا﴾إشارة إلى قاعدة [درء المفاسد مقدم على جلب المصالح]، وكذلك فإن ابتداء الآية بالنهي لكونه من باب التروك، فهو

أسهل، ثم أتى بالأمر بعده الذي هو أشق لحصول الاستئناس قبل بالنهي. قاله الألوسي -رحمه الله-.

٣٨٥٠- تفيد دليلا على قاعدة سد الذرائع الشرعية التي يدندن حولها العصرانيون ابتغاء إلغائها؛ لفتح باب الذرائع؛ ليقول من شاء ما شاء في دين الله وكتابه، وأنى لهم ذلك.

٣٨٥١- تفيد كفر من يسب ويشتم النبي ﷺ، وأن الانتقاص منه ﷺ بالقول وإن لم يدل ظاهره على الانتقاص كفر يعاقب عليه العبد يوم القيامة، لأن الألفاظ محمولة على نية ومقصد المتلفظ بها.

٣٨٥٢- تفيد إلزاما بتصحيح الصور لتطابق تصحيح المقاصد، وليقع الفرق بين الصورتين كما وقع الفرق بين المعنيين ﴿رَٰعِنَا﴾و ﴿ٱنظُرۡنَا﴾.

٣٨٥٣- تفيد أن هذا النهي المذكور في الآية﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾اختص بوقت نزول القرآن لإجماع الأمة على جواز المخاطبة بهذا اللفظ الآن، قاله الواحدي.

٣٨٥٤- تفيد التنبيه إلى خطورة الكلمة والعبارة وضرورة اختيار الألفاظ فهي قوالب للمعاني، ولها تأثيرها السلبي والإيجابي.

٣٨٥٥- تفيد التنبيه إلى ضرورة النظر الى المآلات قبل اتخاذ القرارات.

٣٨٥٦- تفيد وجوب السمع والطاعة لله ولرسوله ﴿ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْ﴾خلافا لما قالته اليهود ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾[البقرة: ٩٣].

٣٨٥٧- تفيد استحباب الإتيان بالبديل عند النهي عن أمر تريد من الناس تركه.

٣٨٥٨- تفيد بإشارة خفية أنه ينبغي للمتعلم أن ينبه العالم للنقطة التي تفوته ليستوعبها عقله ويدركها فهمه، وذلك إما بأن يعيد العالم عليه، أو ينتظره العالم حتى يتضح له المراد منها، لما تفيده من لفظة ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ففي هذا دلالة على أنه ينبغي على العالم أن يراعي مصلحة المتعلم.

٣٨٥٩- تفيد بيان ما أعده الله عز وجل للكافرين المكذبين لله ورسوله من العذاب الأليم والإيجاع الشديد، وفي ذلك إنذار وتحذير لهم، وحث على لزوم شرع الله تعالى.

٣٨٦٠- تفيد التحذير من مخالفة أمر الله، فمخالفة أمره من ديدن الكافرين، وأهل الباطل الذين استحقوا النيران.

قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥].

٣٨٦١- تفيد مع ما قبلها من آية السحر دلالة على أن السحر لا يتبعه ولا يؤخذ به إلا أصحاب النفوس الدنيئة والأهداف الحقيرة التي ملئت حسدا وغيظا وحقدا على الآخرين، فتجد تلك النفوس في السحر متنفسا لها، علَّها أن تمنع فضل الله ممن يحسدونهم ويحقدون عليهم، وإنني عند تأملي لدقة مناسبة هذه الآية ومجيئها بعد آيات السحر استحضر قصة اليهودي لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ، لكراهته نزول الوحي على رسول الله ﷺ، فقوله تعالى في هذه الآية: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ يدخل فيه النبي ﷺ دخولا أوليا، بل إن بعض علماء التفسير فسروا الرحمة في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ بالرسالة والنبوة.

٣٨٦٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها، فالآية السابقة كانت في تأديب المؤمنين مع التعريض باليهود، وهذه الآية لبيان حسد اليهود وغيرهم للمسلمين، ووجه المناسبة بين الآيتين ظاهر لاتحاد المآل ولأن الداعي للسب والشتم والأذى هو الحسد.

٣٨٦٣- تفيد مع ما قبلها أن من يكرهك ويحسدك يطعنك من حيث تدري أو لا تدري، وقد يطعنك بعبارة ظاهرها الإحسان وباطنها الإساءة ﴿رَٰعِنَا﴾ وفي هذا تظهر دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة.

٣٨٦٤- تفيد بيان ما عليه الكافرين كتابيين أو مشركين من مشاعر الحسد تجاه عباد الله المؤمنين، والتحذير من موالاتهم والتشبه بهم، والحذر من مخططاتهم، وعدم الاطمئنان إلى أقوالهم وأفعالهم.

٣٨٦٥- يفيد ذكر قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ دون [ما يود أهل الكتاب] تنبيها على أنهم لم يتبعوا كتابهم؛ لأن كتبهم تأمرهم باتباع الحق حيثما وجدوه، وبالإيمان بالنبي المقفى على آثارهم وفي التوراة والإنجيل مواضع كثيرة تفيد أخذ الميثاق على ذلك فلما حسدوا النبي ﷺ على النبوءة وحسدوا المسلمين فقد كفروا بما أمرت به كتبهم.

٣٨٦٦- تفيد أن الشرك والكفر شر كله لأنه الذي يورث الحسد، ويحمل صاحبه على أن يبغض الخير، ولا يحبه، كما أن الإيمان خير كله، لأنه يحمل صاحبه على تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى.

٣٨٦٧- تفيد تشابه اليهود والمشركين في حسد وعداوة المؤمنين، وأن اليهود بالرغم من كونهم أهل كتاب إلا أنهم أقرب للمشركين وجدانيا، وهذا يوضح سر علاقتهم بالشيوعية والإلحاد.

٣٨٦٨- تفيد أن أهل هذه الملل يحاولون بكل ما أوتوا من قوة منع المسلمين من التقدم؛ لأنهم لا يريدون الخير لأمة الإسلام.

٣٨٦٩- يفيد التعبير بالتنزيل، دون الإنزال- على قراءة غير ابن كثير وابن عمرو- في قول: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾ دلالة على أن القرآن نزل منجما لتسهيل حفظه وفهمه وكتابته وللتيسير على المكلفين في شرع الأحكام تدريجيا، وأيضا فيه إشارة لطيفة إلى أن هؤلاء الكفار يكرهون ولا يودون ما ينزل على المؤمنين من خير من ربهم ولو كان مفرقا بين الحين والآخر، فكيف يكون حالهم لو كان الخير متتابعا متسلسلا نازلا على المؤمنين بكثرة وبجملة واحدة؟.

٣٨٧٠- تفيد حرمة أن يحسد أحد أحدا على خير آتاه الله إياه، وأن الذي يحسد المؤمنين ولا يود الخير لهم فيه شبه بالكفار والمشركين.

٣٨٧١- تفيد أن من نواقض الإسلام كراهة انتصار الإسلام والمسلمين، وحب انتصار أهل الكفر والشرك.

٣٨٧٢- تفيد تكريما وتفضيلا وتوددا وعطفا ولطفا بعباد الله المؤمنين، في قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

٣٨٧٣- يفيد ذكر لفظ الجلالة ﴿وَٱللَّهُ﴾ بعد قوله ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وإقامته مقام ضمير ربكم، تنبيها على أن تخصيص بعض الناس بالخير دون بعض يلائم الألوهية، كما أن إنزال الخير على العموم يناسب الربوبية.

٣٨٧٤- تفيد إثبات المشيئة والرحمة والفضل لله عز وجل.

٣٨٧٥- تفيد أن الله يختص برحمته من يشاء فخيره عميم لا يمنعه كاره ولا يجلبه واد.

٣٨٧٦- تفيد أن النبوة والرسالة عطائية، وفضل من الله يختص بها من يشاء من عباده، وليست مأخوذة عن طريق الاكتساب والرياضة الروحية.

٣٨٧٧- يفيد قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ مع قوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] أن إيتاء النبوّة والرسالة لمحمد ﷺ من الفضل العظيم.

٣٨٧٨- تفيد أن الشرع هو أعظم الخير وتمام الفضل والمنة.

٣٨٧٩- تفيد أن الله ﷻ هو صاحب الفضل والمن والعطاء يعطي عباده من كل خير وهو جل شأنه في غنى عنهم ولا حاجة به إليهم.

٣٨٨٠- تفيد أن فضل الله واسع غير محدود، ومن رحمته أنه خص أمة الإسلام بخصائص عظيمة وكبيرة ليست لسواها، فهي أمة مكرمة مصطفاة مجتباة بمنه وفضله وكرمه سبحانه وتعالى.

٣٨٨١- تفيد أن النعم إنما هي فضل من الله تعالى تستوجب الشكر الدائم.

٣٨٨٢- يفيد ختم الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد التعرض لفضل الله تعالى أن يتخلى عن المعاصي والخبائث، ويتحلى بالفضائل والطاعات عسى أن يحبه ربه ويمنحه من فضله العظيم، وفي الحديث الصحيح «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٠٦].

٣٨٨٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها من قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾[البقرة: ١٠٤] حيث تشير هذه الآية إلى أن الصحابة رضوان الله عنهم قد أقرهم النبي ﷺ على تلك العبارة مدة من الزمن، وإقراره ﷺ على الشيء منزل منزلة الأمر به والإذن فيه، ثم إنهم عندما نهوا عن ذلك بنص الآية كان ذلك مظنة لما يمكن أن يطعن به الأعداء في شرع الله تعالى من تبدل الأحكام ونسخها، فكان نزول هذه الآية ومجيئها بعد ذلك ردا وبيانا لما يمكن أن يطعن به الأعداء في شرع الله تعالى.

٣٨٨٤- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكرت الآية السابقة أن المؤمنين ينزل عليهم الخير من ربهم ذكرت هذه الآية هذا الخير المنزل عليهم بالوحي، وأيضا لما ذكرت الآية السابقة الذين كفروا من أهل الكتاب وذكرت أنه سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء أشارت هذه الآية إلى أن شريعة محمد ﷺ اختصت بكونها رحمة لمن آمن بها واتبعها، وأنها بفضل رحمة الله تعالى ناسخة لما عند أهل الكتاب من الإصر والأغلال، كما قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وفي هذا ترغيب لهم في الدخول في دين الله تعالى؛ لأنه دين

قائم على الخير والمصلحة، وأيضا لما ذكرت الآية السابقة أنه سبحانه وتعالى ﴿ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[البقرة:١٠٥] أشارت هذه الآية الكريمة إلى أن النسخ من جملة فضله العظيم، وجوده العميم.

٣٨٨٥- تفيد عظمة الله ﷻ لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ﴾فإن الضمير هنا للتعظيم؛ وهو سبحانه وتعالى أهل العظمة.

٣٨٨٦- تفيد وعد الله تعالى بأنه لا ينسخ شيئا من القرآن الكريم إلا أبدله بخير منه، أو مثله؛ ووعده صدق وواقع.

٣٨٨٧- تفيد ما يطمئن العبد مما نسخ لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾، فليثق العبد في ربه وفيما أنزله عليه.

٣٨٨٨- تفيد رحمة ورأفة الله تعالى بالمؤمنين في نسخ الأحكام وتبديلها بما هو خير ونافع لهم في دنياهم وآخرتهم، تفضلا منه وتكرما.

٣٨٨٩- تفيد أن القرآن تمت له الخيرية والأفضلية بكونه رسالة الله الخاتمة التي نسخت ما قبلها، وأنه قد بلغ الغاية في الدقة والإحكام.

٣٨٩٠- تفيد أن المشركين والذين كفروا من أهل الكتاب لا يريدون الخير لهذه الأمة ولا أن تتميز بالخيرية بتشريعها وكتابها الذي نسخ ما قبله.

٣٨٩١- تفيد الرد على اليهود بطريق المساواة؛ لأنه إذا ظهرت حكمة تغيير بعض الأحكام لمصلحة تظهر حكمة تغيير بعض الشرائع.

٣٨٩٢- تفيد بيان أهمية التشريع وتدرجه في حياة الأمة، وإشارة إلى أن الإسلام لا يعرف التقوقع والجمود، وإنما أحكامه وثوابته تدور مع الخير حيث دار.

٣٨٩٣- تفيد ثبوت النسخ في القرآن والسنة، وأنه جائز عقلًا، وواقع شرعًا؛ وفي ذلك رد على اليهود فإنهم كانوا ينكرون النسخ، ويزعمون أنه لا يجوز، كما فيه رد على بعض المعاصرين الذين ينكرون النسخ.

٣٨٩٤- يفيد التعبير بالخيرية دون غيرها إشارة إلى أن الخيرية أعم من أن تكون في النفع فقط أو في الثواب فقط أو في كليهما.

٣٨٩٥- تفيد أن الناسخ خير من المنسوخ من حيث النفع لا من حيث اللفظ؛ لقوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾؛ أو مماثل له عملًا، فدل على أن النسخ لا يكون لأقل مصلحة من الأول؛ لأن فضله تعالى يزداد خصوصا على هذه الأمة التي سهل عليها دينها غاية التسهيل.

٣٨٩٦- تفيد أن النسخ إن كان إلى أشد فالخيرية تكون بكثرة الثواب والأجر؛ وإن كان إلى أخف فالخيرية تكون بالتسهيل على العباد مع تمام الأجر والمثوبة؛ وإن كان بالمماثل فالخيرية تكون باستسلام العبد وانقياده لأحكام الله ﷻ.

٣٨٩٧- تفيد أن أحكام الله سبحانه وتعالى تختلف في الخيرية من زمان إلى زمان؛ بمعنى أنه قد يكون الحكم خيرًا للعباد في وقت؛ ويكون غيره خيرًا لهم في وقت آخر.

٣٨٩٨- تفيد بإشارة إلى أهمية تقويم وتحسين وتطوير المقررات والبرامج التعليمية بما هو خير منها.

٣٨٩٩- تفيد أن شريعة الله تعالى التي أنزلها على نبيه محمد ﷺ جاءت محققة لمصالح؛ لأن النسخ لا يكون إلا لمصلحة؛ ولأن الله لا يبدل حكمًا بحكم إلا لمصلحة.

٣٩٠٠- تفيد أن القرآن الكريم كان منه ما نسخ، ومنه ما نسي، ومنه ما ينسأ أي يؤخر العمل به، على ما تفيده أوجه القراءات المتنوعة في الآية.

٣٩٠١- تفيد أن نسخ الأحكام الشرعية وتبديلها فيه اختبار للمكلفين بالامتثال؛ وامتحان لمدى عبوديتهم لله تعالى.

٣٩٠٢- تفيد روعة التناسق الموضوعي بين فاتحة الآية وخاتمتها، حيث افتتحت الآية بذكر النسخ، وختمت بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ في إشارة إلى أن القادر على تغيير الأمور الحسية قادر على تغيير الأمور المعنوية؛ والأحكام الشرعية.

٣٩٠٣- تفيد إثبات تمام قدرة الله ﷻ، وأنها عامة شاملة؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ ومن ذلك أنه قادر على أن ينسخ ما يشاء، وأن له الأمر من قبل ومن بعد ينزل حكما ويزيله بآخر.

٣٩٠٤- تفيد أن من قدح في النسخ فقد قدح في ملكه وقدرته جل وعلا.

٣٩٠٥- يفيد ختم الآية بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾إشارة لطيفة إلى أنه لا يطعن في صفات الله وأفعاله، ولا يستدرك أو يعترض على الله إلا من حرم الفهم، ومني بالجهل، ولهذا فإن ختام هذه الآية تشير إلى ضرورة أن يعلم العبد قدرة الله تعالى ليتعرف على أسرار كلامه ولتظهر له حكم أفعاله.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة:١٠٧].

٣٩٠٦- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فبعد أن ذكرت الآية السابقة قضية النسخ جاءت هذه الآية لتشير بإشارة واضحة إلى أن من علم أنه تعالى مالكه ووليه ونصيره لا ولي ولا نصير له سواه يعلم قطعا أنه لا يفعل به إلا ما هو خير له، ولا ينسخ حكما بحكم وإلا وهو خير، فيفوض أمره إليه تعالى، ولا يخطر بباله ريبة أو شك أو اعتراض في أمر النسخ وغيره أصلا.

٣٩٠٧- تفيد مع ما قبلها أن من ملك الله أنه ينسخ ما يشاء، ويثبت؛ فكأن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾تعليل لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾[البقرة: ١٠٦]؛ فالمالك للسموات والأرض يتصرف فيهما كما شاء.. فإذا كان مالكا لكم، متصرفا فيكم، تصرف المالك البر الرحيم في أقداره وأوامره ونواهيه، فكما أنه لا حجر عليه في تقدير ما يقدره على عباده من أنواع التقادير، كذلك لا يعترض عليه فيما يشرعه لعباده من الأحكام. فالعبد مدبر مسخر تحت أوامر ربه الدينية والقدرية.

٣٩٠٨- تفيد اختصاص ملك السموات، والأرض بالله، مع ما فيها من المخلوقات؛ وهذا مأخوذ من تقديم الخبر، حيث إن تقديم الخبر يدل على الحصر؛ لقوله تعالى:﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٣٩٠٩- تفيد أن الملك لله، والولاية والنصرة لن تكون من دونه، فلِم الالتفات عنه إلى غيره! ولم لا نعتمد عليه ونستنصر به!.

٣٩١٠- يفيد توجه الخطاب إلى المفرد في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾أن خطاب النبي ﷺ خطاب لأمته.

٣٩١١- تفيد ضرورة العلم بقدرة الله وتمام ملكه وتصرفه في خلقه.

٣٩١٢- تفيد أنك كلما ازددت علما بالله أحسنت الظن به، فاسلك طريق العلم به في ضوء آياته.

٣٩١٣- تفيد التأكيد على كمال القدرة لله تعالى، وأنه المالك المتصرف يجعل الولاية والخيرية فيمن شاء من عباده، وفي ذلك رد على المشركين والكافرين من أهل الكتاب.

٣٩١٤- تفيد تثبيتا للنبي ﷺ وتلقينًا كيف يحاجج أهل الباطل.

٣٩١٥- تفيد أنه سبحانه وتعالى نقلهم من شهود ملكه إلى شهود فاقتهم إليه، فتحقق بفقرك يمدك بغناه.

٣٩١٦- تفيد أن العلم اليقيني بالله يكسبك صدق التوكل.

٣٩١٧- يفيد ذكر ملكيته سبحانه وتعالى للسموات والأرض بعد ذكر قدرته إشارة إلى أن قدرته سبحانه وتعالى على كل شيء لكونه مالكا لها مقتدرا عليها متصرفا في أمورها تصرف القادر المالك لملكه لا يسأل عما يفعل في ملكه ولا معقب لحكمه يبدل آية مكان آية وينسخ حكما بحكم، له الأمر والملك والحكم، وعلى العبد المملوك الامتثال والطاعة وفي هذا دلالة لمن قال: إن الملك غير القدرة، وأن القدرة غير الملك فقد يكون المالك غير قادر على تسيير شؤون ملكه، وقد يكون القادر غير مالك لما تحت تصرفه.

٣٩١٨- يفيد ذكر ملكيته سبحانه وتعالى للسموات والأرض في سياق قضية النسخ إشارة إلى بعض القضايا التي جاء فيها النسخ، كقضية نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، التي دار فيها جدل كبير بين اليهود والمسلمين، والتي سوف يأتي الحديث عنها في آيات لاحقة من هذه السورة، وبيان ذلك: أنه سبحانه وتعالى لما أخبرهم بأنه مالك السماوات والأرض، وأن الأمكنة والجهات كلها له، وأن بعض الجهات ليست أكبر حرمة من البعض إلا من حيث يجعلها هو تعالى له، وإذا كان كذلك، وكان الأمر باستقبال القبلة إنما هو محض التخصيص بالتشريف، فلا مانع يمنع من أن يغير جهة إلى جهة أخرى، فكل الجهات والأكوان ملك لله تعالى.

٣٩١٩- تفيد تحذيرا لهذه الأمة من اتباع اليهود ومن شابههم وجرى مجراهم ممن ينكرون النسخ، وأنهم أنهم لا يغنون عنهم من الله شيئا، ولا يدفعون عنهم عقوبة الله تعالى.

٣٩٢٠- تفيد قمة البلاغة القرآنية وذلك بحسن التخلص من خطاب الفرد إلى خطاب الجماعة، فلما كان الخطاب موجها إلى الفرد ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ جاء الخطاب موجها إلى الجماعة ﴿وَمَا لَكُم﴾ دون [وما لك]؛ لينسبك هذا الخطاب مع ما بعده في الآية التالية ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ وفي مراعاة خطاب الجماعة في قضية الولاية والنصرة إشارة لطيفة لمن نور الله بصيرته بهدايات القرآن الكريم أنه مهما كان للجماعة المؤمنة من إمكانيات هائلة وتحالفات شاسعة فإن عليها أن لا تعتمد على ذلك وتركن إليه، بل تعتمد على الله تعالى وتطلب منه العون والنصر، فبالاعتماد والتوكل عليه يأتي العون، ويحل النصر.

٣٩٢١- تفيد أن ما يريده الإنسان فهو إما جلب منفعة يحتاج إلى ولي يجلبها له؛ وإما دفع مضرة يحتاج إلى نصير يدفعها عنه وكل ذلك بيده سبحانه وتعالى.

٣٩٢٢- تفيد ضعف المخلوقين مهما كانوا، ملائكة مقربين، أو أنبياء مرسلين، أو أولياء صالحين، فإنهم جميعا لا حول ولا قوة لهم، بل كلهم محتاجين لرب العالمين.

٣٩٢٣- تفيد أنه لا أحد يدفع عن أحد أراد الله به سوءًا؛ لقوله تعالى ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

٣٩٢٤- تفيد أنه يجب على المرء أن يلجأ إلى ربه في طلب الولاية والنصر.

٣٩٢٥- تفيد ضلال من يلتجئ لغير الله تعالى في جلب نفع أو دفع ضر.

قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة:١٠٨].

٣٩٢٦- تفيد استفهامًا استنكاريًا، وتحذيرًا إلهيًا لهذه الأمة من أن تسلك مسالك اليهود في كثرة اعتراضاتهم وأسئلتهم التعجيزية لنبيهم موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وتشابههم في أفعالهم وأقوالهم، وأن من تشبه بهم ناله حكمهم من الكفر والتكذيب، وضل عن سواء السبيل.

٣٩٢٧- تفيد تكريم المؤمنين برسالة محمدﷺ وبيان فضلهم على غيرهم، وأن إرساله إليهم فيه مصالحهم ومنافعهم.

٣٩٢٨- تفيد نسبة أمة الإسلام إلى رسولها ﷺ غاية التكريم، وعدم نسبة قوم موسى إلى رسولهم عليه السلام غاية الإهانة والتحقير.

٣٩٢٩- يفيد إضافة الرسول للمخاطبين امتنانًا بقوة اللحمة بيننا وبين نبينا ﷺ بخلاف ﴿سُئِلَ﴾ والتي فيها بيان لشدة البون بين موسى عليه السلام وقومه.

٣٩٣٠- تفيد أن اليهود أسوأ وأخس خلق الله، فنزه الله عباده المؤمنين من مشابهتهم، فقال: ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ولم يقل: كما سأل اليهود.

٣٩٣١- تفيد الاعتبار بما حدث للسابقين لا السير خلفهم بلا علم ودليل.

٣٩٣٢- تفيد أن كثرة الأسئلة للنبي ﷺ فيها مشابهة لليهود؛ لقوله تعالى: ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾.

٣٩٣٣- تفيد إنكار كثرة الأسئلة لرسول الله ﷺ خاصة أسئلة التعنت والاعتراض؛ كما هو شأن أهل الكتاب؛ لأن الاستفهام: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ يقصد به الإنكار.

٣٩٣٤- تفيد تأكيد ذم هذا النوع من الأسئلة؛ لقوله تعالى: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ فكأنه أراد أنه لما كان رسولكم، فالذي ينبغي منكم عدم إعناته بالأسئلة.

٣٩٣٥- تفيد أن سؤال الأنبياء والمرسلين سؤال عناد وتعنت وتكبر هو كفر بهم، وأما سؤالهم سؤال استرشاد واستبيان فهو ممدوح ويثاب عليه العبد، والإجابة على تلك الأسئلة من مهام الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من أهل العلم، قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣].

٣٩٣٦- تفيد ذم بني إسرائيل الذين أرسل إليهم موسى عليه السلام حيث إن الله سبحانه وتعالى ذكرهم في هذه الآية على سبيل الذم.

٣٩٣٧- تفيد احتمال أن يكون الخطاب موجهًا إلى بني إسرائيل، وذلك في سياق كشف عوارهم وضلالهم والرد على اباطيلهم وشبهاتهم، وفي ذلك تحذير وتعنيف وإنكار على اليهود في استمرارهم مع النبي محمد ﷺ على طريقة أسلافهم وآبائهم مع نبي الله موسى عليه السلام، وقد وقع ما أخبر القرآن الكريم عنهم، فقال تعالى: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ ...﴾ [النساء: ١٥٣] وعلى هذا فإن إضافة الرسول الى ضميرهم لكونهم أمة الدعوة.

٣٩٣٨- تفيد إثبات رسالة موسى عليه السلام لقوله تعالى: ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ يعني: وهو رسول.

٣٩٣٩- تفيد الرد على الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان ليس له إرادة في عمله، وأنه مجبر عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾.

٣٩٤٠- تفيد ذم من استبدل الكفر بالإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ وهذا يشمل من بقي على كفره بعد عرض الإيمان عليه، ومن ارتد بعد إيمانه؛ فإنه في الحقيقة تبديل؛ لأن كل مولود يولد على الفطرة؛ فإذا كفر فقد تبدل الكفر بالإيمان.

٣٩٤١- تفيد أن من اختار الكفر على الإيمان فهو ضال، ومن يتبدل الإيمان بالكفر فقد هُدي إلى سواء السبيل.

٣٩٤٢- تفيد أن أهل الكفر قد حادوا عن الصراط المستقيم، فسلكوا سبل الضلال التي توصلهم إلى العذاب المقيم.

٣٩٤٣- تفيد أنه يجب على السائل أن يعمل بما أجيب به؛ لأنه إذا علم ولم يعمل فقد تبدل الكفر بالإيمان من بعد ما تبين له الهدى.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[البقرة:١٠٩].

٣٤٣٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فإنه لما سبق ذكر كراهتهم لما ينزل على المؤمنين من الخير في قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ذكر في هذه الآية ما يودونه ويحبونه من المؤمنين من الكفر بالله والارتداد عن دينه، وأيضا لما ذكرت الآيات السابقة قضية النسخ التي ينكرها اليهود، جاءت هذه الآية لتشير إلى أن الحكم الحالي الذي أمر الله به عباده المؤمنين هو العفو والصفح عنهم إلى أن يأتي الحكم الذي ينسخ ذلك إما بقتلهم أو أخذ الجزية عنهم، في إشارة واضحة إلى أن الخير الذي يأتي في نسخ أحكام الله تعالى إنما هو بالنسبة للمؤمنين، وأما غيرهم من الكفار فليس لهم من ذلك النسخ إلا ما يسوؤهم.

٣٤٣٨- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية السابقة فبعد أن ختمت الآية السابقة بتحذير ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[البقرة: ١٠٨]ذكرت هذه الآية من قد يكون سببا في ذلك، وأوضحت صعوبة ارتداد من وقر الإيمان في قلبه.

٣٤٣٩- تفيد أن هذا الود قد ذُكرت صورة من صوره في سورة آل عمران، حيث قالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون. وفي

هذا وغيره كثير تظهر دقة التناسب وروعة التناسق بين موضوعات هذه السورة [البقرة] وسورة آل عمران.

٣٤٤٠- تفيد وجوب الحذر من اليهود والنصارى؛ ما دام كثير منهم يودون لنا هذا فإنه يجب علينا أن نحذر منهم.

٣٤٤١- تفيد بيانًا لشدة عداوة اليهود والنصارى للأمة الإسلامية؛ ووجه ذلك أن كثيرًا منهم يودون أن يردوا المسلمين كفارًا حسدًا من عند أنفسهم.

٣٤٤٢- يفيد قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾دليلا على وجوب العدل والإنصاف عند الحكم على الآخرين.

٣٤٤٣- تفيد بإشارة إلى فضيلة العلم والكتابة، وأنه ينبغي لمن اتصف بالعلم أن يقرنه بالحلم والأخلاق الفاضلة لا أن يكون حاسدا بغيضا كهؤلاء اليهود، وأن العلم إذا لم يورث خشية لله واحسانا وأدبًا مع الخلق فلا خير فيه.

٣٤٤٤- تفيد أن دين أهل الكتاب في أصله حق، وفي كتبهم ما هو حق إلا أنهم أعرضوا عنه وكفروا به.

٣٤٤٥- تفيد أن الكفر بعد الإسلام يسمى ردة؛ لقوله تعالى: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ولهذا الذي يكفر بعد الإسلام لا يسمى باسم الدين الذي ارتد إليه؛ فلو ارتد عن الإسلام إلى اليهودية، أو النصرانية لم يعط حكم اليهود والنصارى.

٣٤٤٦- تفيد أن الكافر يتمنى أن يكفر الناس مثله، ويسعى في ذلك؛ كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...﴾[النساء: ٨٩] وكما حصل من إبليس لما كفر واستكبر كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ – ٨٣].

٣٤٤٧- تفيد أن الحسد صفة ذميمة لصيقة وملازمة لليهود، وأنه هو العلة الحقيقية لمؤامرتهم ضد المسلمين.

٣٤٤٨- تفيد أن اليهود اتصفوا بأسوأ مراتب الحسد وهي: زوال النعمة عن الغير وإن لم يعطها الحاسد، فهؤلاء ودوا رجوع الصحابة إلى الكفر حتى وإن لم يعتنقوا اليهودية أو النصرانية.

٣٤٤٩- تفيد ذم الحسد، وتحذيرا منه، وهو داء عضال ابتليت به الأكثرية الساحقة من أهل الكتاب، ولهذا قال ﷺ: «دب إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء».

٣٤٥٠- تفيد أن كل ذي نعمة محسود، وأن أعظم ما يحسده الكافر اليهودي على المؤمن هو الإيمان الذي وقر في صدره.

٣٤٥١- تفيد علم اليهود والنصارى أن الإسلام منقبة عظيمة لمتبعه؛ لقوله تعالى: ﴿حَسَدًا﴾؛ لأن الإنسان لا يحسد إلا على شيء يكون خيرًا، ومنقبة؛ ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

٣٤٥٢- تفيد أن كثيرا من أهل الكتاب لا يهدؤون ولا يهنؤون إلا إذا أفسدوا على أهل التوحيد توحيدهم وعبادتهم وردوهم عن دينهم، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، وهم بهذا قد شابهوا إبليس في صفة الحسد وإضلال البشرية.

٣٤٥٣- يفيد ذكر قوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ دون [من أنفسهم] إشارة إلى تأصل الحسد في كثير من أهل الكتاب تجاه أهل الإيمان، وبلوغه أقصى مداه، حتى أصبح الحسد مستقرًا ومتمكنًا من نفوسهم على ما يفيده لفظ ﴿عِندِ﴾ من الاستقرار والتمكن.

٣٤٥٤- تفيد خبث طوية هؤلاء الذين يودون لنا الكفر؛ لقوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ ليس من كتاب، ولا من إساءة المسلمين إليهم؛ ولكنه ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي: أنفس خبيثة تود الكفر للمسلمين حسدًا.

٣٤٥٥- تفيد أن العبد الذي أكرمه الله بكتاب سماوي وشريعة سماوية ينبغي أن تكون منطلقاته مما في ذلك الكتاب وتلك الشريعة لا من عند نفسه، ففي تقييد [الحسد] بأنه من عند أنفس كثير من أهل الكتاب إشارة إلى أن كتابهم أو شريعتهم لم تأمرهم بذلك، وفي هذا إخراج للحسد الممدوح الذي جاءت به الشريعة، كما قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين...».

٣٤٥٦- تفيد أن حاسد المؤمن الراسخ في إيمانه لا يفتأ يضرب بحسده في الصخرة التي لا تنفلق، والإيمان الذي لا يتزحزح، ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي الإيمان الراسخ مثل الذي كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، كناطح صخرة يوما ليفلقها... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل.

٣٤٥٧- تفيد أن النفوس تكره من ينازعها ويزاحمها على خصوصيتها، وكمالياتها، ولهذا فإن أهل الكتاب عندما رأوا أن أمة القرآن الكريم تزاحمها في كونها أمة خاتمة الرسالات وآخر الكتب السماوية حسدوهم على ذلك، ولهذا نجد أن الحسد إنما يكثر بين الأشخاص الذين تجمعهم

روابط متشابهة، ويتزاحمون على غرض واحد، وهذا أمر مشاهد في البشر، لذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والضرة تحسد ضرتها دون غيرها لتحظى هي الوحيدة في قلب زوجها، والأخ يحسد أخاه ليحظى بقلب الوالدين، وهكذا.

٣٤٥٨- تفيد أن كثيرا من أهل الكتاب الذين يودون الكفر للمسلمين قد تبين لهم الحق؛ فلو كانوا جاهلين بأن المسلمين على حق، وقالوا: "لا نريد أن نكون على دين مشكوك فيه" لكان لهم بعض العذر؛ ولكنهم قد تبين لهم الحق، وعلموا أن الرسولﷺ حق، وأن دينه حق، وأن المؤمنين على حق؛ ومع ذلك فهم يودون هذه المودة، ويسعون بكل سبيل أن يصلوا إلى غايتهم.

٣٤٥٩- تفيد بمفهوم المخالفة أن المؤمن لا ينبغي أن يحسد أحدا على خير أعطاه الله، أو شر دفعه عنه ووقاه.

٣٤٦٠- تفيد أن الذم إنما يقع على من تبين له الحق؛ وأما الجاهل فهو معذور بجهله إذا لم يقصر في طلب العلم.

٣٤٦١- تفيد أنه من العجب أن يصدر الحسد ممن تبين له الحق، وظهر له فضلك ومقامك عند ربك.

٣٤٦٢- تفيد أن على المحسود أن يقدم بين يدي حاسده قبل كل شيء: العفو والصفح، فبهما قد يزول الحسد وآثاره، ويطفأ ناره بماء العفو والصفح.

٣٤٦٣- تفيد بشارة المؤمنين بأن الله سبحانه وتعالى سيغير حالهم المقتضية للعفو والصفح، إلى قوة يستطيعون بها جهاد العدو.

٣٤٦٤- تفيد أن لكل شيء أوان، وأن كل شيء يحلو في أوانه.

٣٤٦٥- تفيد جواز مهادنة الكفار إذا لم يكن للمسلمين قوة.

٣٤٦٦- تفيد إثبات الحكمة البالغة لله ﷻ، حيث أمر بالعفو والصفح إلى أن يأتي الله بأمره؛ لأن الأمر بالقتال قبل وجود أسبابه، وتوفر شروطه من القوة المادية والبشرية ينافي الحكمة.

٣٤٦٧- تفيد اتباع الحكمة في الدعوة إلى الله بالصبر، والمصابرة حتى يتحقق النصر، وأنْ تعامَل كل حال بما يناسبها.

٣٤٦٨- تفيد تربية المسلم على الحلم والأناة وعدم التعجل في الأمور؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾.

٣٤٦٩- تفيد الأمر بمقابلة الإساءة خاصة التي تكون من الحاسد بالعفو عنه والصفح حتى يأتي الله بأمره، حيث قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾.

٣٤٧٠- تفيد فضيلة العفو والصفح، وأنها من أكرم الأخلاق؛ والله سبحانه عفو يحب العفو، فإذا عفا العباد عن بعضهم عفا الله عنهم، وقال تعالى عن الصفح: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[الحجر: ٨٥].

٣٤٧١- تفيد بإشارة لطيفة ودقيقة أنه ينبغي للعبد إذا أبلغ صاحبه خبرًا تثور به ثائرته، ويزداد به غضبه أن يأمره بضبط النفس، والتحلي بمكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، وبيان ذلك: أنه لما كان هذا الإخبار عن حسد أهل الكتاب وودهم ارتداد الصحابة عن دينهم مثيرًا لغضب الصحابة خيف أن يفتكوا باليهود، وذلك ما لا يريده الله منهم؛ فأمرهم أن يتحلوا بالمكارم، ويكونوا قدوة في الفضائل.

٣٤٧٢- تفيد أن الحاسدين في هم وغم وبؤس، فلا يزد المحسود على همهم وغمهم وبؤسهم إلا بالعفو والصفح، لأنه بذلك يقول لهم: [موتوا بغيظكم واكتووا بنار حسدكم]، يزيدون سفاهة وحسدا، ويزيدهم حلما وعفوا وصفحا، ولهذا فإن على المحسود أن يدفع الحاسد بكريم أخلاقه وجميل أفعاله بأن يعفو ويصفح عن حاسده.

٣٤٧٣- تفيد الرد على منكري قيام الأفعال الاختيارية بالله ﷻ؛ والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى فعال لما يريد فعلًا يليق بجلاله وعظمته، وما تقتضيه حكمته؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾.

٣٤٧٤- تفيد ثبوت القدرة لله ﷻ، وأنها قدرة تامة عظيمة شاملة لكل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

فائدة: قال أبو الليث السمرقندي: « يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود: أولاها: غمٌّ لا ينقطع. الثانية: مصيبة لا يُؤجر عليها. الثالثة: مذمَّة لا يُحمد عليها. الرابعة: سخط الرب. الخامسة: يغلق عنه باب التوفيق ».

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ

إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [البقرة:١١٠].

٣٤٧٥- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فبعد أن ذكرت الآية السابقة ود كثير من أهل الكتاب ارتداد المسلمين عن دينهم، جاءت هذه الآية لتأمر المسلمين بالبقاء على دينهم، ونصت على ركنين أساسيين من أركان الإسلام وهما: الصلاة والزكاة، في إشارة واضحة من السياق إلى أن من فرق بينهما فهو كافر مرتد، فعل ما يوده كثير من أهل الكتاب، ولله در أبي بكر الصديق ﷺ حيث فهم ذلك من سياق هذه الآية، وكذلك من الآيات الأخرى المشابهة لها.

٣٤٧٦- تفيد مع ما قبلها أن المؤمن المحسود ينبغي أن لا يلتفت إلى أقوال وأفعال حساده، بل يتوجه إلى عبادة ربه وطاعته والامتثال لأوامره، وأداء ما افترض عليه من الأعمال البدنية كإقامة الصلاة، والأعمال المالية كإيتاء الزكاة، وقول وفعل ما ندب إليه من الخير والإحسان لكل أحد، وخاصة ممن عرف منهم الحسد، وأن لا يكون حسدهم عائقا ومانعا له من الإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾[فصلت: ٣٤]، وفي هذا تظهر دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة.

٣٤٧٧- تفيد مع ما قبلها أن العفو والصفح طاعة فيها مجاهدة للنفس، والطاعات تعين على تزكية النفس، ومن أهم الطاعات المعينة على تزكية النفس الصلاة والزكاة.

٣٤٧٨- تفيد وجوب اقامة الصلاة لا مجرد أدائها والصلاة تشمل الفريضة والنافلة؛ ومن إقامة الفرائض كثرة النوافل

٣٤٧٩- تفيد وجوب إيتاء الزكاة لمستحقيها.

٣٤٨٠- تفيد أن الصلاة المأمور بإقامتها، والزكاة المأمور بإيتائها هما اللتان ثبتتا بالدليل والتوقيف من النبي ﷺ لما تفيده [ال] التي هي للعهد.

٣٤٨١- تفيد أن إقامة الصلاة بشروطها وسننها وآدابها تحمل النفس على حسن الخلق، والبذل والإنفاق.

٣٤٨٢- تفيد تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق من خلال إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وفعل الخيرات.

٣٤٨٣- تفيد التأكيد على أن المؤمن يجب أن يكون إيجابيًا، فبالأمر بالصلاة تأكيد الصلة بين العبد وربه، وبالأمر بالزكاة تأكيد الصلة بين المرء ومجتمعه وفي كلا الأمرين طهرة للنفس والمال وبرهان على صدق الصلة مع الله تعالى ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[التغابن: ١٦] فثمار ذلك لازمة ومتعدية.

٣٤٨٤- تفيد أن النتائج مرهونة بالمقدمات، فمن قدم خيرا وجد خيرا منه؛ لأن الحساب عند الكريم سبحانه.

٣٤٨٥- تفيد أن المؤمن يؤدي الطاعات مبادرا محتسبا الأجر عند الله تعالى.

٣٤٨٦- تفيد أن الله تعالى غني عن أعمالنا، وإنما يعمل كل منا لنفسه فإن خيرا فخير وإن شرا فشر.

٣٤٨٧- تفيد الحث والترغيب على فعل القربات وعمل الصالحات؛ لأن الله وعد ووعده لا يخلف، أنهم مهما فعلوا من خير صغيرا كان أو كبيرا، عظيما كان أو حقيرا فسوف يجدون ثوابه عند الله تعالى وافرا غير منقوص.

٣٤٨٨- تفيد ترغيبا للادخار عند الله، وتقديم الخير وانتظار أثره في يوم الحصاد.

٣٤٨٩- تفيد أن تقديمك الخير والإحسان للناس، هو تقديم لنفسك أيها المحسن؛ لأنك ستجد أثر ذلك عند الله تعالى فاستكثر أو استقلل.

٣٤٩٠- تفيد بإشارة خفية إلى أنه ينبغي للمسؤولين الاهتمام بما يقوم به أهل الخير من الأعمال الخيرية، وتقديم المحفزات لهم وتسهيل العقبات عليهم وعلى غيرهم ممن يريد سلوك ذلك الطريق.

٣٤٩١- تفيد إثبات الجزاء يوم القيامة، وأنها من جنس ما يعمله العبد في الدنيا التي هي مزرعة الآخرة، فمن عمل خيرا في الدنيا فليحمد الله، ومن عمل غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

٣٤٩٢- تفيد أن ما عند الله لا ينقص أبدا، بل يزيد تفضلا وكرما، فأبشر يا من تقدم الخير للآخرين، فمهما كانت بضاعتك قليلة فما دامت عند الله فهي عظيمة.

٣٤٩٣- تفيد أن ما أخلصت فيه وعملته هو ما قدمته لآخرتك، وما كنزته وتباطأت فيه هو ما أخرته لغيرك.

٣٤٩٤- تفيد التنبيه على سعة فضل الله تعالى ومَنِّه فهو تعالى يعطينا ويعيننا لنعطي مما أعطانا الله ليأجرنا على ذلك ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]، فهل كان هذا الخير

إلا من عند الله، ولكن أراد أن يأجرنا عليه فنجد ثوابه عنده تعالى، وفي الآية الأخرى ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[المزمل:٢٠] وفي الأخرى ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾[البقرة: ٢٧٢].

٣٤٩٥- يفيد ختم الآية بقوله: ﴿اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾في هذا السياق أن ما يقدمه العبد المحسن من خير فهو واقع من الله بمحل، فهو تحت بصره تعالى وعنايته، ويحفظ لكل عامل محسن ما عمل من خير، فهل هناك تشويق وترغيب وبشارة أعظم من هذا!. كما يفيد ختمها بذلك إشارة إلى أنه ينبغي للعبد أن يتقن عمله ويخلص ويراقب الله فيه، لأن اللهﷻ بصير به وبعمله، وهو سبحانه يعلم الخير الذي أريد به وجهه، والخير الذي أريد به الدنيا، وسوف يجازي كلا بحسب نيته.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

٣٤٩٦- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة، حيث أوضحت هذه الآية أن كلا من اليهود النصارى يرجون ويأملون النجاة في الآخرة، بالرغم من عدم سلوكهم مسالكها مما أشارت الآية السابقة من الإيمان بالله وبخاتم الأنبياء، والعمل بأركان الإسلام، كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وفعل الخير الذي يتقدمهم في الآخرة، فأنى لهم النجاة، وأنى لهم دخول الجنة.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ***** إن السفينة لا تجري على اليبس

٣٤٩٧- تفيد مع ما قبلها من الآيات السابقة بيان صورة من صور ود اليهود والنصارى وسعيهم في ارتداد المؤمنين عن دينهم، بتهويدهم أو تنصيرهم؛ حيث يفهم من الآية وسياقها أنهم أرادوا بقولهم: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١] إخراج المسلمين عن الإسلام، وإدخالهم في اليهودية أو النصرانية، ولهذا فإن أي تهويد أو تنصير فإن هذه الآية تشملها.

٣٤٩٨- تفيد مناسبة لما قبلها حيث فيها ذكر صورة أخرى من صور استعلاء يهود وحسدهم وتكبرهم واحتقارهم للأمم الأخرى من خلال احتكار الجنة، فكما ذكر الله تعالى عنهم فيما تقدم ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[البقرة:٨٠] ذكر هنا الصورة الأخرى وهي دعوى أنه ﴿لَن يَدْخُلَ

﴿ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ...﴾ ثم بين تعالى أن هذه مجرد أمنيات بعيدة عن الحقائق القائمة على البراهين.

٣٤٩٩- تفيد مع ما قبلها أن الحاسد يحسدك حتى ولو بعد موتك، وقد صدق الشاعر حين قال:

كل العداوة قد ترجي إماتتها **** إلا عداوة من عاداك من حسد

٣٥٠٠- تفيد قمة البلاغة القرآنية في الإيجاز البديع واللف والنشر الإجمالي، حيث إن مقول القول في الآية مختلف باختلاف القائل، فاليهود قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، والنصارى قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فجمع القرآن بين قوليهما على طريقة الإيجاز، ولف بين القولين، ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله، وأمنا من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين. منقول بتصرف.

٣٥٠١- تفيد أن اليهود قد يتقاربون مع النصارى ما لا يتقاربون مع غيرهم، حيث جمعوا معا في [وقالوا] مع أن كل منهم يضلل الآخر.

٣٥٠٢-تفيد عدم الاغترار للعداوة التي بين اليهود للنصارى فهم يتناسون ما بينهم إذا كان الخطاب للمسلمين.

٣٥٠٣- تفيد إثبات الجنة، وأن أهل الكتاب يؤمنون باليوم الآخر والجنة والنار، وأنهم يتمنون الفوز بالجنة بالأماني الكاذبة، وبدون عمل وهيهات.

٣٥٠٤- تفيد بيانا لبعض الصفات الذميمة التي اتصف بها اليهود والنصارى من الأنانية، وعدم حب الخير للغير، والكذب، وتزوير الحقائق.

٣٥٠٥- تفيد الصلة المتأصلة بين اليهودية العالمية والصليبية في العداء للإسلام وأهله.

٣٥٠٦- تفيد ظلم اليهود وفساد أخلاقهم المتأصل حتى أنهم تمنوا منع كل الناس من الجنة [إلا هم].

٣٥٠٧- تفيد التحذير من كذب اليهود والنصارى وتزويرهم للحقائق، وافترائهم وتقولهم على الله كذبا وزورا، بنسبة الجنة إلى أنفسهم، وأنه مهيئة لهم.

٣٥٠٨- تفيد أن النصارى فيهم من فساد اليهود وظلمهم وكفرهم شيء كثير.

٣٥٠٩- تفيد كفر هؤلاء اليهود والنصارى بالأنبياء والرسل السابقين إذ ادعوا أنهم ومن تبعهم من أممهم لن يدخلوا الجنة.

٣٥١٠- تفيد خطورة العجب والغرور والحسد والأماني الباطلة، وأن ذلك من أخطر أدواء النفوس وأمراض القلوب.

٣٥١١- تفيد أن تحجير فضل الله الواسع من صفات اليهود والنصارى، فرحمة الله ليست خاصة بشعب أو طائفة، بل هي مبذولة لكل من يطلبها ويعمل لها عملها وهو مؤمن.

٣٥١٢- تفيد أن من علامات الكاذب أن يؤكد لك ما يريدك أن تصدقه بمؤكدات لفظية خالية تماما عن الدليل والبرهان، ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ...﴾.

٣٥١٣- تفيد تكذيب القرآن لما ادعاه اليهود والنصارى من الكذب؛ كما قال تعالى: ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾؛ وذلك لأن اليهود والنصارى الذين لم يتبعوا رسول الله ﷺ هم أهل النار؛ لقول النبي ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بما أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" رواه مسلم.

٣٥١٤- يفيد قوله: ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾دون قوله: [تلك مرجواتهم] إشارة إلى أن مقالتهم تلك لم تكن عن تحقيق أو دليل من كتاب الله، ولا خبر من أخبار الرسل، وإنما كانت على سبيل التمني منهم.

٣٥١٥- تفيد أن اليهود والنصارى أمانيهم لا تنتهي، من أنهم لن يدخلوا النار إلا أيامًا معدودة، ومن أن الدار الآخرة لهم، وألا ينزل خير على المسلمين، وغيرها؛ لذا كذبهم الله في كل تلك الأماني بالجمع ولم يقل " تلك أمنيتهم ".

٣٥١٦- تفيد أن دخول الجنة بلا إيمان وعمل من الأماني والأحلام الكاذبة، وأن مجرد الأماني هي مطايا البطالين.

٣٥١٧- تفيد أن من اغتر بالأماني، وطمع في المنازل العالية بدون عمل لها ففيه شَبه من اليهود والنصارى.

٣٥١٨- تفيد أن الأماني قد تعيق الإنسان عن بلوغ أهدافه الممكنة.

٣٥١٩- تفيد أن الجنة دار النعيم، والنار دار الجحيم، وأنها من اختصاص الخالق سبحانه ينعم بدار النعيم من يشاء، ويعذب بدار الجحيم من يشاء.

٣٥٢٠- تفيد أن هؤلاء لو تمنوا دخول الجنة مع الداخلين لكانوا منصفين، ولكنهم ظلمة فاسدين.

٣٥٢١- تفيد أن العبرة إنما هي بالأقوال والحقائق القائمة على الأدلة والبراهين الواضحة.

٣٥٢٢- تفيد أن الذي يدعي شيئا يلزمه أن يأتي بالدليل والبرهان، فالبينة على المدعي، وأن الدعاوى ما لم تقم عليها بينات فأصحابها أدعياء.

٣٥٢٣- تفيد بطلان تقليد أي قول لا دليل عليه ولا برهان.

٣٥٢٤- تفيد أن التألي على الله، والحكم على الآخر بأنه من أهل الجنة أو النار، لا يكون إلا بدليل من علام الغيوب.

٣٥٢٥- تفيد بإشارة خفية إلى أنه ينبغي للعلماء وولاة أمور المسلمين عدم السكوت على ما يقوم به اليهود والنصارى من عمليات التهويد والتنصير، والقيام بمقارعتهم بالحجة والبيان، وتأليف الكتب والرسائل، وعمل المناظرات في بيان أباطيلهم وحججهم التي لا سند ولا صحة لها.

٣٥٢٦- تفيد أن كل الفرق الضالة والمنحرفة تدعي لنفسها وصلا بالنجاة في الآخرة، وأنها هي الوحيدة التي تغنم في ذلك اليوم، وتنجو من هوله وعذابه، ولكن أين البرهان؟؟؟؟

وكل يدعي وصلا بليلى **** وليلى لا تقر لهم بذاك

٣٥٢٧- تفيد عدل الله ﷻ في مخاطبة عباده، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾؛ لأن هذا من باب مراعاة الخصم، وأنه إن كان لكم بينة فهاتوها؛ وهذا لا شك من أبلغ ما يكون من العدل؛ وإلا فالحكم لله العلي الكبير.

٣٥٢٨- يفيد قوله: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾دون قوله: [هاتوا براهينكم] أنه لا ينبغي أن يطالب الخصم بأكثر من برهان واحد، أو بينة واحدة على قضيته، وذلك لأن الخصم يعرف صدقه من كذبه بأول برهان.

٣٥٢٩- تفيد تربية للأمة أن لا يقبلوا من أحد قولًا لا دليل عليه، ولا يحكم لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها.

٣٥٣٠- تفيد تعليمًا للمنهجية الصحيحة في العلوم والمعارف، فدعوى عريضة مثل هذه لا يمكن إثباتها إلا ببرهان، ولا يكفي فيها الاستدلالات الضعيفة والقرائن، فضلا عن مجرد الأماني.

٣٥٣١- تفيد أنه ينبغي على الخصم الذي احتج عليه بدليل أو برهان واضح لا لبس فيه أن يسلم بذلك الدليل والبرهان، وألا يعاند ويتكبر.

٣٥٣٢- تفيد أن هؤلاء اليهود والنصارى لا برهان لهم على ما ادعَوه بدليل أنهم لم يأتوا به فلو كان لهم أدنى حيلة بما يبرر قولهم ويصدِّقه لأتوا بها.

٣٥٣٣- تفيد أن العلم هبة من الله، وأن من آتاه الله شيئا منه واختصه به فعليه ألا يعجب بنفسه ويحقر غيره، وإلا فإن فيه شبهًا من اليهود والنصارى.

٣٥٣٤- تفيد أن أي دعوى لا تقوم على برهان فهي دعوى كاذبة غير صادقة، وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان علم كذبهم بتلك الدعوى لذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

٣٥٣٥- يفيد الإتيان بإن المفيدة للشك في صدقهم مع القطع بعدم صدق اليهود والنصارى في ذلك الادعاء في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾استدراجهم حتى يعلموا أنهم غير صادقين، حين يعجزون عن البرهان؛ لأن كل اعتقاد لا يقيم معتقده دليل اعتقاده، فهو اعتقاد كاذب؛ لأنه لو كان له دليل لاستطاع التعبير عنه، ومن باب أولى لا يكون صادقًا عند من يريد أن يروج عليه اعتقاده، قاله ابن عاشور بتصرف.

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:١١٢].

٣٥٣٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها، فبعد أن ذكرت الآية السابقة ادعاء اليهود والنصارى اختصاصهم بدخول الجنة أنه لا يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى جاءت هذه الآية لترد عليهم وتنفي عنهم هذا الاختصاص، بل وتنفي عنهم هذا الدخول، وتثبته لشريحة معينة من الناس.

٣٥٣٧- تفيد مع ما قبلها أنه لا ينبغي السكوت على أقوال أهل الباطل، ولا التراخي في الرد عليهم إذ انقطعوا في مناظراتهم، بل يجب الاستمرار في الرد عليهم بما يزيل جميع حججهم وشبهاتهم.

٣٥٣٨- تفيد أن الإسلام الصحيح القائم على أسسه الثابتة هو سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة.

٣٥٣٩- تفيد أن دخول الجنة لمن زكى نفسه بالإسلام والإيمان والإحسان.

٣٥٤٠- فيها بيان فضل الإسلام، ومرتبة الإحسان.

٣٥٤١- تفيد أهمية صرف الأعمال لله تعالى والإحسان فيها، وضرورة الإقبال عليه ظاهرا وباطنا؛ فإنه إذا أسلم العبد وجهه لله فقد أسلم أشرف شيء وأكرمه من جسده لله تعالى، فكيف بباقي أعضائه؟!.

٣٥٤٢- تفيد أن من تحلى بالإسلام، وارتقى بالإحسان، واجتهد في العمل استحق التكريم والفوز بعظيم الأجر والثواب من ربه.

٣٥٤٣- تفيد أن الأجر مرتبط بالأعمال، وأنه لا أجر من دون عمل، وفي هذا دلالة على ارتباط الأسباب بالمسببات، ومعنى الحكمة المشهورة [اعمل...تلق] ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ...فَلَهُ أَجْرُهُ...﴾.

٣٥٤٤- يفيد قوله ﴿عِندَ رَبِّهِ﴾تشريفا وتكريما وعناية، وكفالة، وضمانا والتزاما بالأجر من الله تعالى، ولأن المضاف إليه أكرم الكرماء فلا يفوت الأجر الكائن عنده.

٣٥٤٥- تفيد كمال عدل الله تعالى وأنه لا يظلم أحدا، فكل من أسلم وأحسن العمل، فإن له أجره تاما غير منقوص، وسيجازى على ذلك أتم الجزاء، قال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

٣٥٤٦- تفيد أهمية البشارة والترغيب في نفوس العباد.

٣٥٤٧- تفيد أن الله ﷻ إذا رضي عن العبد بشره ببشارة عظيمة تطمئنه على ماضيه، وتسعده في مستقبله

٣٥٤٨- تفيد أنه كلما حقق الإنسان التوحيد وترقى في سلم العبودية لله كلما تحقق له الأمن والسعادة في حياته.

٣٥٤٩- تفيد طمأنة للمؤمن المحسن ألا يخاف على مستقبل موعود، ولا يحزن على شيء مفقود.

٣٥٥٠- تفيد أن المسلم في أمان الله، ومن كان في أمانه سبحانه فحري به ألا يخاف ولا يحزن.

٣٥٥١- تفيد أن أهل الإسلام والاستقامة مبشرون بنفي الخوف عنهم والحزن، وإذا انتفى الخوف حصل الأمن، وإذا انتفى الحزن حصل السرور والفرح وتلك السعادة.

٣٥٥٢- تفيد أن الخوف والحزن من أشق الأشياء وأضرها على حياة العبد، ولذلك نفاها الله تعالى عن أهل الإسلام والإيمان الصحيح، وقد كان النبي ﷺ يكثر التعوذ من الخوف والحزن، لأن الخوف يكون مما يستقبل، والحزن يكون على ما مضى، فإذا انتفيا عن الإنسان كان في سعادة عظيمة، وحياة كريمة.

٣٥٥٣- تفيد انتفاء الخوف والحزن لمن تعبد لله سبحانه وتعالى بهذين الوصفين اللذين تقبل بهما العبادة: الإخلاص والمتابعة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [البقرة:١١٣].

٣٥٥٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ادعت كل من اليهود والنصارى اختصاص كل واحدة منهما بدخول الجنة أوضحت هذه الآية سبب ذلك الادعاء، وأن كل واحدة منها تصرح بأن كل متبعي الأديان دون دينها ليسوا على شيء، لهذا فهم لا يستحقون دخول الجنة.

٣٥٥٥- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فبعد أن فرغت تلك الآية السابقة من الرد على مقولة اليهود والنصارى في ادعائهم دخول الجنة، وأثبتته لمن أسلم لله، جاءت هذه الآية لتضرب آراء هؤلاء الخصوم ومواقفهم بعضها ببعض، في إشارة دقيقة من دقائق هدايات القرآن الكريم واستراتيجيته العميقة في الردود على الخصوم، وهو إشغال الخصوم بعضهم ببعض، وضرب أدلتهم بعضها ببعض، وعدم السماح لهم باتفاق كلمتهم وتوجيه جميع سهامهم إلى خصمهم اللدود وهو الإسلام.

٣٥٥٦- تفيد مع ما قبلها أن اجتماع أهل الفساد والشر؛ ليس اجتماعا حقيقيا، وإنما هو لقاء بسبب المصالح لا ودا ولا محبة، فقد قالوا في آية سابقة: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾

[البقرة: ١١١] فصرحت هذه الآية أن كل فريق منهم يرى أنه هو الأفضل وصاحبه لا شيء البتة، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾[البقرة: ١١٣].

٣٥٥٧- تفيد أن أصدق ما قالته اليهود: ﴿لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾وأصدق ما قالته النصارى: ﴿لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾.

٣٥٥٨- تفيد أن أكثر من يعرف ما عليه أهل الباطل والضلال من شاركهم فيه، وعليه فإن المفترقين عن الحق أعرف الناس بما هم عليه، وأقدرهم على كشف الحقائق التي يبطنونها ويسرون بها، ومن رحمة الله تعالى بالحق وأهله أن جعل أهل الباطل يفضحون بعضهم بعضا، ويكشفون عوار بعضهم بعضا، حتى يستبين الحق لأصحابه.

٣٥٥٩- تفيد بيانا لكذب اليهود والنصارى وافترائهم، فإن اليهود قد علموا في كتابهم صدق رسالة عيسى عليه السلام، والنصارى قد علموا في كتابهم أن اليهود كانوا على شيء قبل ضلالهم وتحريفهم لكتابهم.

٣٥٦٠- تفيد تناقض أهل الأهواء والفرق المنحرفة فهم يقولون القول اليوم وينقضونه غدا.

٣٥٦١- تفيد أن أهل الحق والتوحيد والإيمان هم الأقوى باجتماعهم وترابطهم، وهم الأضعف بتفرقهم وتفككهم، وأن خير ما يجمع كلمتهم ويوحد صفهم ويجنبهم التفرق والتفكك هو كتاب الله تعالى.

٣٥٦٢- تفيد بشارة للمؤمنين أنهم هم أهل الحق والصلاح، فأهل الباطل كشف بعضهم عوار الآخر وشهد بعضهم على فساد الآخر.

٣٥٦٣- تفيد أن من أبرز سمات أهل الأهواء الفرقة والاختلاف، والحكم على الناس من دون الرجوع إلى تعاليم الكتاب والسنة.

٣٥٦٤- يفيد قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾أن الوقوع في الدعاوى الباطلة، والتكلم بما ليس عليه برهان، وإن كان قبيحا على الإطلاق لكنه من أهل العلم والدراسة لكتب الله أشد قبحا وأفظع جرما وأعظم ذنبا.

٣٥٦٥- تفيد أن تلاوة الكتب السماوية من غير تدبر وإخلاص لا تقي من الضلال والانحراف.

٣٥٦٦- يفيد قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾تنبيها لأمة محمد ﷺ على ملازمة القرآن، والوقوف عند حدوده، كما تشير إلى أنه سيكون من أمته ﷺ من يكون مثلهم ممن يتلون الكتاب ويقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ويصفون أهل الحق بأنهم كفرة، وأنهم ليسوا على شيء.

٣٥٦٧- تفيد بإشارة خفية إلى أن أمة القرآن الكريم ينبغي أن تكون أحكامها على الآخرين بالتكفير والتفسيق والتبديع منطلقة من منهجية قرآنية واضحة، وأن تقبل الحق وترد الباطل بموضوعية ودون هوى وتشف من الخصم.

٣٥٦٨- تفيد ذما لليهود والنصارى وبيانا لجهلهم فيما تقابلوا من القول، وأن ما شهدوه وتقولوه ضد بعضهم قد شابهوا المشركين والكفار الذين لا يعلمون.

٣٥٦٩- تفيد أهمية عقد المقارنات والمقايسات بين آراء الفرق الضالة والأديان المنحرفة وذلك لإرجاع تلك الآراء إلى أصولها الحقيقية الشركية الجاهلية، وليظهر الحق والصواب لمن أراده وابتغاه.

٣٥٧٠- تفيد أن كل المواقف والآراء التي تتبناها الفرق الضالة والمنحرفة التي تنتسب لشريعة سماوية، يوجد لها ما يشابهها ويوافقها من آراء ومواقف شركية جاهلية.

٣٥٧١- تفيد إثبات يوم القيامة، وأنه يوم الجزاء والحساب والفصل بين الخلائق فيما اختلفوا فيه.

٣٥٧٢- تفيد أن الله ﷻ سوف يكشف للخلائق يوم القيامة عوار اليهود والنصارى والمشركين ويظهر ما أخفوه من الحق.

٣٥٧٣- تفيد أن هؤلاء الذين اختلفوا في الحق والباطل، سيكون القضاء والفصل بينهم يوم القيامة بين يدي الله ﷻ؛ فيجزي صاحب الحق بعمله، ويجزي صاحب الباطل بعمله، ولا يظلم ربك أحدا.

٣٥٧٤- تفيد أن الحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة ليس لبيان الصالح من الفاسد، بل لبيان حقيقتهم وحقيقة فسادهم جميعا.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:١١٤].

٣٩٤٤- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فبعد أن ذكرت الآية السابقة القول الشنيع لأهل الكتاب من اليهود والنصارى وأن قولهم مثل قول الذين لا يعلمون [من كفار العرب]، حيث كانت تدعي كل واحدة أن الأخرى ليست على شيء، جاءت هذه الآية الكريمة لتوضح أفظع أعمالهم وأشنع جرائمهم بحق عباد الله المؤمنين، من منعهم من غذائهم الروحي وهو ذكر الله تعالى في أفضل البقاع على وجه الأرض والتي هي مساجد الله تعالى. وأيضا فإن دقة المناسبة بين هاتين الآيتين تظهر من خلال معرفة أن الذين ذكروا في الآية السابقة من الذين لا يعلمون وهم الذين قال أكثر المفسرين: [أنهم كفار العرب]، فقد منعوا المؤمنين: النبي ﷺ وأصحابه، وصدوهم عن المسجد الحرام، وهي القبلة الثانية للمسلمين، وأن اليهود والنصارى سيفعلون مثل فعلهم -في المسجد الأقصى- القبلة الأولى-، كما قالوا مثل قولهم في الآية السابقة، وفي هذا يظهر إعجاز قرآني عظيم، فقد حصل ما أشارت إليه مناسبة هاتين الآيتين، حيث صد كفار العرب رسول الله ﷺ والمؤمنين من الدخول إلى المسجد الحرام وسعوا في خرابه من خلال منعهم أولياء الله من عمارته بذكر الله تعالى، ففتح الله ﷻ مكة لرسوله ﷺ واسترده المؤمنين من يد المشركين، فكان المشركون بعد ذلك لا يجرؤون على الدخول فيه إلا خائفين، وعندما فتح المسلمون بيت المقدس في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قامت الحملات النصرانية الصليبية بعد ذلك بالاستيلاء عليه ومنع المؤمنين من دخول المسجد الأقصى والصلاة فيه، وسعوا بذلك في خرابه، فاسترده منهم القائد المؤمن صلاح الدين الأيوبي، فكانوا لا يجرؤون على الدخول فيه إلا خائفين، وها هي اليهودية الصهيونية في عصرنا الحاضر تقوم بمنع المؤمنين من الدخول في المسجد الأقصى وذكر الله والصلاة فيه، وإنني على يقين بحصول وعد الله: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَآئِفِينَ﴾، وأنه سبحانه وتعالى سيهيئ للمؤمنين القائد المؤمن الذي يقوم باسترداد هذا المسجد وتطهيره من براثن اليهود، فأسأل الله ﷻ أن يرينا تحقق وعده، ويرزقنا وإياكم صلاة وذكرا فيه قبل الممات.

٣٩٤٥- تفيد مع ما قبلها أن التصريحات القولية الشنيعة قد تتحول إلى أعمال شنيعة وجرائم فظيعة.

٣٩٤٦- تفيد مع ما قبلها أن أول ما يقوم به أهل الباطل وأتباع الفرق الضالة والمنحرفة هو قطع صلة العبد المؤمن بربه من خلال منعه من دخول المواقع المهيأة للصلاة والعبادة لله وهي المساجد.

٣٩٤٧- تفيد أن المعاصي تختلف قبحًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ و[أظلم] اسم تفضيل؛ واسم التفضيل يقتضي مفضَّلًا، ومفضَّلًا عليه؛ وكما أن المعاصي تختلف، فكذلك الطاعات تختلف: بعضها أفضل من بعض.

٣٩٤٨- تفيد تسلية للمؤمنين ووعيدا للمعتدين بالعذاب العظيم الذي أعده الله لهم يوم الدين.

٣٩٤٩- تفيد بيان مدى الحقد الكائن في نفوس أعداء هذا الدين، مما يبذلون الجهد والمسارعة في تخريب بيوت العبادة، ومواطن العلم والهدى للمسلمين.

٣٩٥٠- تفيد شرف المساجد وأنها أفضل البقاع؛ لإضافتها إلى الله تعالى، ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾.

٣٩٥١- تفيد شرف الأماكن التي يذكر فيها اسم الله تعالى، فشرف المساجد لكونها مكانًا لذكر الله تعالى، حتى أن الغافل عن ذكر الله إذا دخل المسجد اشتغل بذكر الله، والسوق على الضد من ذلك؛ لكونه موضع البيع والشراء والإقبال على الدنيا، وذلك مما يورث الغفلة عن الله.

٣٩٥٢- تفيد فضل بناء المساجد والسعي في عمارتها عمارة حسية بحسن البناء ونظافتها وتهيئتها وعمارة معنوية بإقامة الصلوات وتلاوة القرآن وذكر الله وحلق العلم، وذلك لأنه إذا كان الذي يخرب بيوت الله من شرار الخلق وأظلمهم، فإن الذي يعمرها من خيار الخلق وأقربهم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴾[التوبة: ١٨].

٣٩٥٣- تفيد أن من أتى إلى هذه المساجد لعبادة الله فإنه لا فرق بينه وبين غيره من المرتادين، لأن الله تعالى أضافها إلى نفسه.

٣٩٥٤- تفيد وجوب تطهير المساجد؛ وهذا مأخوذ من إضافتها إلى الله، الإضافة القاضية بتشريفها، وتعظيمها؛ وكذلك من مفهوم المخالفة في قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾.

٣٩٥٥- تفيد أنه لا يجوز أن يوضع في المساجد ما يكون سببا للشرك؛ لأن ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾أي: مواضع السجود له؛ فإذا وضع فيها ما يكون سببا للشرك فقد خرجت عن موضوعها ووظيفتها، وصار فيها خراب معنوي.

٣٩٥٦- تفيد تحريم تخريب المساجد؛ لقوله تعالى: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾بمعنى اجتهد وبذل وسعه؛ ويشمل الخراب الحسي والمعنوي؛ لأنه قد يتسلط بعض الناس - والعياذ بالله - على هدم المساجد حسا بالمعاول، والقنابل المتفجرة والصواريخ؛ وقد يخربها معنويا بحيث ينشر فيها البدع والخرافات الشركية المنافية لوظيفة المساجد.

٣٩٥٧- تفيد تحريم منع المساجد من أن يذكر فيها اسم الله سواء كان ذكر الله: صلاة، أو قراءة للقرآن، أو تعليما للعلم، أو غير ذلك، وقد أخذ بعض العلماء من هذه الآية: تحريم التحجر؛ وهو أن يضع شيئا في الصف، فيمنع غيره من الصلاة فيه، ويخرج من المسجد؛ قالوا: لأن هذا منع المكان الذي تحجره بالمسجد أن يذكر فيه اسم الله؛ لأن هذا المكان أحق الناس به أسبق الناس إليه؛ وهذا قد منع من هو أحق بالمكان منه أن يذكر فيه اسم الله.

٣٩٥٨- تفيد جواز منع دخول المساجد لمصلحة؛ لقوله تعالى: ﴿أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾؛ ومنع مساجد الله له أسباب؛ فتارة تمنع المساجد من أن تمتهن فرشها أو أرضها أو كتبها، أو مصاحفها؛ فتغلق الأبواب حماية لها؛ وتارة تغلق أبوابها خوفا من الفتنة، كما لو اجتمع فيها قوم لإثارة الفتن، والتشويش على العامة؛ فتغلق منعا لهؤلاء من الاجتماع؛ وتارة تغلق لترميمها وإصلاحها؛ وتارة تغلق خوفا من سرقة ما فيها؛ ففي كل هذه الصور إغلاقها مباح، أو مطلوب.

٣٩٥٩- يفيد قوله تعالى: ﴿أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾أن ذكر الله ﷻ لا بد أن يكون باسمه، مثل: لا إله إلا الله؛ سبحان الله؛ والله أكبر، أما ما يقوله بعض غلاة الصوفية أن أفضل الذكر هو أن تقول: «هو»، «هو»؛ «هو»، فليس هذا بذكر، بل هو بدعة منكرة.

٣٩٦٠- تفيد بشارة للمؤمنين المرتادين للمساجد بأن العاقبة لهم، وأن هؤلاء الذين منعوهم من دخول المساجد لن يدخلوها إلا وهم خائفون، وهذا على أحد الاحتمالات في تفسير الآية.

٣٩٦١- تفيد وجوب المحافظة على بيوت الله ﷻ وأنه لا يجوز تمكين الكفار من دخولها، إلا أن يدخلوها بإذن المسلمين وهم أذلاء صاغرون خائفون.

٣٩٦٢- تفيد التهديد والوعيد الشديدين لمن يسعى في خراب المساجد ببيان سوء عاقبته، فإن عقوبة من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، الخزي والعار في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة.

٣٩٦٣- تفيد أن الذنب إذا كان فيه تعد على أولياء الله تعالى فإن الله قد يجمع لفاعله بين العقوبتين: عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة؛ فعقوبة الدنيا ليشفي قلب أولياء الله منهم، وعقوبة الآخرة ليستكمل فيها المعتدي جزاءه.

٣٩٦٤- تفيد إثبات يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٣٩٦٥- تفيد أن عذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا، كما أن نعيم الآخرة أكمل من نعيم الدنيا؛ ولكن الله سبحانه وتعالى يُري عباده نموذجًا من هذا، ومن هذا؛ لأنه لا يستقيم فهم الوعيد، ولا فهم الوعد إلا بمشاهدة نموذج من ذلك لو كان الله توعد بالنار، ونحن لا ندري ما هي النار، فلا نخاف إلا خوفًا إجماليًا عامًا؛ وكذلك لو وعد بالنعيم والجنة، ولا نعرف نموذجًا من هذا النعيم، لم يكن الوعد به حافزًا للعمل.

٣٩٦٦- تفيد أن الذين يمنعون ذكر الله في بيوت الله، ويسعون في خرابها، كما هو حال اليهود اليوم مع المسجد الأقصى، والنصيريين مع إخواننا السنة في الشام، والشيعة مع إخواننا السنة في العراق، ينالهم خزي في الدنيا قبل عذاب الآخرة.

٣٩٦٧- تفيد أن العزة والرفعة لمن يعمر مساجد الله بذكره والصلاة فيه، وأن الخزي والهوان والمذلة لمن يسعى في خرابها.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة:١١٥].

٣٩٦٨- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكرت الآية السابقة وجود قوم ظلمة يمنعون عباد الله من عمارة المساجد بذكر الله وطاعته، ويسعون في خرابها، ذكرت هذه الآية سعة رحمة الله بعباده المؤمنين المظلومين، وأشارت الآية إلى أنهم إذا منعهم الظلمة من الصلاة في المسجد الحرام أو المسجد الأقصى أو أي مسجد من مساجد الله، فإن الله سبحانه وتعالى يتقبل منهم صلاتهم في أي بقعة صلوا فيها، وأنه قد يسر لهم في ذلك فجعل لهم الأرض مسجدا وطهورا.

٣٩٦٩- تفيد والتي قبلها قمة البلاغة القرآنية من حسن الابتداء، وروعة التمهيد، وبراعة الاستهلال، لما سيأتي من آيات لاحقة متعلقة بقضية نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، فكل الجهات ملك لله تعالى، وله أن يختص بالفضل ما شاء من الجهات.

٣٩٧٠- تفيد مع ما قبلها إشارة إلى بعض القواعد الأصولية والفقهية فإنه عندما أشارت الآية السابقة إلى ما يقع فيه المؤمنون من الحرج والضيق بفعل الظلمة الذين يمنعونهم من أداء الصلوات في المساجد ويخربون عليهم مساجد الله، جاءت هذه الآية لتوسع عليهم وتيسر لهم أداء صلاتهم على أي حال، وفي أي مكان؛ لأن المشقة تجلب التيسير، ولأن الأمر إذا ضاق على المؤمن اتسع، ولأنه لا واجب مع العجز.

٣٩٧١- تفيد مع ما قبلها تبكيتا لأعداء الإسلام وأهله، وتخذيلا لهم، حيث لا يمكنهم أبدا أن يمنعوا الصلاة والذكر والطاعة بتخريبهم المساجد، فالأرض كلها مسجد، فهل يمكنهم تخريب الأرض جميعها، ففي هذا تسلية للنبي ﷺ وأصحابه الذين أخرجوا من مكة.

٣٩٧٢- تفيد انفراد الله بالملك؛ لتقديم الخبر في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ واللام للاختصاص، أي: هو خالقهما ومالكهما، وخصهما بالذكر بالرغم من شمول ملكه لغيرهما من الجهات لكونهما محل الآيات العظيمة، فهما مطالع الأنوار ومغاربها.

٣٩٧٣- تفيد عموم ملك الله للمشرق والمغرب خلقًا وتقديرًا؛ لأن المشرق والمغرب يحتويان كل شيء، فإذا كان مالكا لها، كان مالكا لكل الجهات.

٣٩٧٤- تفيد أهمية النظر والتفكر في آيات الله الكونية، وأن ذلك من عوامل زيادة الإيمان ورسوخه.

٣٩٧٥- تفيد أن هذه الآية تفيض على قلب المؤمن هالة ندية ومضيئة من الأمان والغبطة، لما يشعر أن ربه ومولاه معه بحفظه وعلمه في كل جهة توجه إليها، فالحمد لله على فضله.

٣٩٧٦- تفيد جواز التنفل في السفر حيثما توجهت الراحلة، قال ابن عمر: نزلت في المسافر يتنفل حيثما توجهت به راحلته. أخرجه مسلم، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

٣٩٧٧- تفيد التأكيد على أهمية شعيرة الصلاة، وأن العبد لا يستغني عن دوام اتصاله بخالقه من خلالها.

٣٩٧٨- تفيد أن الإنسان أينما كان على هذه الأرض يعرف المشرق ويعرف المغرب، فشروق الشمس له مكان لا يتغير ولا يتبدل إلى أن تنتهي الدنيا، وكذلك غروبها.

٣٩٧٩- تفيد إشارة إلى توحيد الوجهة، فالمسلمون يتجهون من مشارق الأرض ومغاربها إلى الكعبة.

٣٩٨٠- تفيد إحاطة الله تعالى بكل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

٣٩٨١- تفيد إثبات الوجه لله تعالى.

٣٩٨٢- تفيد ردا على أهل التأويل والتعطيل، إذ لو كان التعبير بلفظ الوجه موهما للتشبيه لما ذكره الله في عدة مواضع من كتابه، وقد أنزل على النبي ﷺ ولم يصرفه عن ظاهره وكذلك الصحابة الذين تلقوه عنه.

٣٩٨٣- تفيد إثبات اسمين من أسماء الله؛ وهما: [واسع]، و[عليم].

٣٩٨٤- تفيد إثبات سعة الله جودًا ورحمة وعلمًا ومغفرة؛ فمن سعته وعلمه وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، ونستفيد صفة ثالثة من جمع السعة والعلم؛ للإشارة إلى أن علم الله واسع بمعنى أنه لا يفوته شيء من كل معلوم لا في الأرض، ولا في السماء.

٣٩٨٥- تفيد أن اجتماع كمال السعة مع كمال العلم مدلول عظيم جدا، يعجز عنه كل مخلوق، ولا يدرك معنى اجتماع الوصفين إلا العقلاء.

فائدة: هذه الآية من الآيات التي اختلف السلف فيها هل هي من آيات الصفات أو لا؟ فالجمهور لا يرونها من آيات الصفات وإنما المراد بالوجه الوجهة خاصة وأنها جاءت بين يدي آيات تحويل القبله، وممن ذهب الى هذا القول شيخ الإسلام، وممن خالفه في ذلك تلميذه ابن القيم -رحمهما الله تعالى- وذهب الى أنها من آيات الصفات، وساق العديد من الأوجه في الصواعق المرسلة، وهي من المسائل القليلة التي خالف فيها التلميذ شيخه. والآية محتملة. لكن من أقوى أدلة ابن القيم أن العرب لا تطلق الوجه على الوجهة، فضلا عن وجه الله تعالى ولا يعهد في الخطاب الشرعي إطلاق ذلك. والعلم عند الله.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[البقرة:١١٦-١١٧].

٣٥٧٥- تفيد مناسبة دقيقة لما قبلها فعندما ذكر في الآيات السابقة اليهود والنصارى والذين لا يعلمون [وهم المشركون] وبينت الآية تشابه قولهما مع قولهم، ثم أشارت الآية التي بعدها إلى اجتماعهم وتشابههم في الظلم من خلال منعهم ذكر الله في مساجد الله وسعيهم في خرابها، جاءت هذه الآية لتشير أيضا إلى تشابه أقوالهم واجتماعهم على التقول على الله، وافتراء الكذب والبهتان عليه بغير علم، حيث قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله، فخرقوا له بنين وبنات بغير علم، سبحانه وتعالى عما يصفون.

٣٥٧٦- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكر أنه له سبحانه وتعالى المشرق والمغرب ذكر أن له ما في السموات والأرض، وبعد أن ذكر تولية الوجوه إليه سبحانه وتعالى في الصلاة ذكر في هذه الآية ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾، في إشارة لطيفة إلى وجود علاقة وترابط بينهما، كما قال تعالى في سياق الأمر بالمحافظة على الصلوات: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[البقرة: ٢٣٨].

٣٥٧٧- تفيد مع ما قبلها أن من أعظم العدوان أن يعتدي الكافر على العابد والمعبود، حيث يمنع العابد من ذكر الله في المساجد ومواطن العبادة، ويسب ويشتم المعبود سبحانه وتعالى.

أولا: قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

٣٥٧٨- يفيد إضمار القائلين باتخاذ الله ولدا تحقيرا لهم، وأنه قد يجتمع أهل الباطل في عدائهم للحق، ومن أظهر صور اجتماعهم تبنيهم لقول يفترونه عليهم.

٣٥٧٩- تفيد تكذيب اليهود والنصارى والمشركين، وتنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد.

٣٥٨٠- تفيد إظهارا لعظم شناعة الافتراء الذي جاء به المشركون ومن كفر من اليهود والنصارى.

٣٥٨١- تفيد حرمة نسبة أي شيء إلى الله تعالى بدون دليل من الوحي الإلهي، إذ أنكر تعالى نسبة الولد إليه الذي تقوله وافتراه عليه أهل الكتاب والمشركين معًا.

٣٥٨٢- تفيد تنبيها على خطورة الأقوال التي تصدر عمن لا خلاق له، ممن نبذ كتاب الله وكفر بما جاء به رسل الله.

٣٥٨٣- تفيد أنه ينبغي لمن سمع شيئا فيه عدم تنزيه لله تعالى أن يبادر بقوله: سبحانه.

٣٥٨٤- تفيد أن ناقل قول الكفر ليس بكافر، وينبغي عليه أن يبادر فيسبح أو يستغفر أو ينزه، أو يرد هذا القول الكفري.

٣٥٨٥- تفيد حلم الله تعالى على هؤلاء المفترين والمتقولين عليه كذبا وزورا، وقد قال ﷺ: «ما أحدٌ أصبرَ على أذًى سمعَه من اللهِ، يدعون له الولدَ، ثم يُعافِيهم ويَرزُقُهم».

٣٥٨٦- تفيد تمام ملك الله تعالى، وأنه لا شريك له في ملكه؛ لما يفيد تقديم الخبر في قوله تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ من الاختصاص.

٣٥٨٧- تفيد أن السموات عدد؛ لأن الجمع يدل على العدد؛ وقد بيَّن الله في القرآن، وثبت بالسنة، وأجمع المسلمون على أن السماء جرم محسوس؛ وليس كما قال أهل الإلحاد: إن الذي فوقنا فضاء لا نهاية له؛ وأما الأرض فلم تأت في القرآن إلا مفردة؛ لكن أشار الله سبحانه وتعالى إلى أنها سبع في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]؛ وصرحت السنة بذلك في قوله ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» رواه البخاري ومسلم.

٣٥٨٨- تفيد أن جميع الخلق منقادون لله تعالى، مقرون بالعبودية له سبحانه وتعالى، فمنهم من أطاع استجابة لأمره سبحانه، فانسجم قلبه وعقله مع بدنه طاعة لله، ومنهم من لم يستجب؛ فخالف عقله وقلبه.

٣٥٨٩- تفيد استغناء الله تعالى عن جميع خلقه، وأن جميع الخلق هم المفتقرون إليه جل وعلا.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ تفيد مع ما قبله أن الله مالك ما في السماوات والأرض ومبدعهما من غير أصل ولا مثال، الذي تشهد له جميعها على الوحدانية، وتقر له بالطاعة، وهو بارئها وخالقها وموجدها، إن كان هو المبدع لهما فكيف يجوز تشبيهه بخلقه؟ بل وكيف يمكن أن يقال: أنه مفتقر إلى الولد والصاحبة، تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

٣٥٩٠- تفيد حكمة الله سبحانه وتعالى بأن هذه السموات والأرض على نظام بديع عجيب؛ قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾[الملك: ٣]؛ هذا النظام الواسع الكبير العظيم لا يختل، ولا يتغير

على مر السنين والأعوام؛ فتدل على قدرة باهرة بالغة، وحكمة عظيمة بالغة: كل شيء منظم تنظيمًا بديعًا متناسبًا، فلا يصطدم شيء بشيء فيفسده؛ ولا يغير شيء شيئًا؛ بل كل سائر حسب ما أمره الله به؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾[فصلت:١٢]؛ إذًا ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يستفاد منها القوة، والقدرة، والحكمة.

٣٥٩١- تفيد أن أشد الناس تعظيما للخالق سبحانه وتعالى هم الذين يعتقدون أنه الموجد على غير مثال سبق، خلق كل الوجود، وأتقن كل شيء خلقه.

٣٥٩٢- تفيد أهمية إتقان العمل والوصول به إلى أقصى درجات الإبداع وإنجاز المهام بإبداع، وأن أولى الناس بإتقان العمل هم من عاشوا كل لحظات حياتهم يعتقدون إتقان خالقهم، فيقتدون به.

٣٥٩٣- تفيد أن المملوك لا يكون ولدا للمالك؛ وقد استدل العلماء بهذه الآية ومثيلاتها أن الوالد لا يملك ولده، وأنه يعتق عليه إذا ملكه.

٣٥٩٤- تفيد أن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عن أمره شيء؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

٣٥٩٥- تفيد إثبات القول لله؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ﴾.

٣٥٩٦- تفيد أن قول الله بصوت مسموع؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾؛ و﴿لَهُۥ﴾ صريحة في توجيه القول للمقول له؛ ولولا أنه يسمعه لما صار في توجيهه له فائدة؛ ولهذا يسمعه الموجه إليه الأمر، فيمتثل، ويكون.

٣٥٩٧- تفيد أن قول الله بحروف؛ لقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾؛ وهي كلمة بحرفين.

٣٥٩٨- تفيد بطلان مقولة: إن أمره تعالى بين الكاف والنون، بل الصحيح أن أمره بعد الكاف والنون؛ لدلالة فاء التعقيب.

٣٥٩٩- تفيد أن الجماد خاضع لله سبحانه وتعالى؛ وذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ يشمل الأمور المتعلقة بالحيوان، والمتعلقة بالجماد؛ فالجماد إذا قال الله تعالى له: ﴿كُن﴾ كان.

٣٦٠٠- تفيد أنه ليس بين أمر الله بالتكوين وتكونه مهلة وتراخٍ؛ بل يكون على الفورية؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾بالفاء؛ والفاء تدل على الترتيب، والتعقيب.

٣٦٠١- تفيد أن قدرة الله تعالى على الإيجاد والخلق تفوق الوصف، ولا يستطيع أن يدركها عقل الإنسان، وقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾إنما هو تقريب للعقول الآدمية لتدرك حجم القدرة، وعظيم الإبداع، وسرعة التنفيذ.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[البقرة:١١٨].

٣٦٠٢- تفيد مناسبة لما قبلها حيث إنها في سياق ذكر أعداء الدين وكشف مخططاتهم والرد عليهم، وبيان أساليب القول المعوج، والجدال بالباطل من قبل الأصناف الثلاثة: أهل الشرك واليهود والنصارى، تحقيقا وإظهارا لمبدأ العناد الذي تأصل في نفوسهم.

٣٦٠٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكرت في إحدى الآيات السابقة تشابه أقوال اليهود والنصارى مع الذين لا يعلمون، ذكرت هذه الآية تشابه أقوال الذين لا يعلمون مع أقوال الذين من قبلهم من اليهود والنصارى، ثم أضافت ذكر سبب هذا التشابه في الأقوال، وهو أنه بسبب التشابه في القلوب؛ لما وقع فيها من الريب والشك وعدم اليقين.

٣٦٠٤- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد ما ذكرت الآيتان السابقتان قدحهم في التوحيد، وأنه سبحانه اتخذ ولدا، حكى عنهم في هذه الآية قدحهم في النبوة، وأيضا لما بينت الآيتان السابقتان القدرة العظيمة لله تعالى، وأنه إذا ما أراد أمرا كان، بينت هذه الآية أنه فبالرغم من اختلاف قلوب هؤلاء وتباعد الأزمان فيما بينهم، وبالرغم من عدم استواء العالم والجاهل، إلا أنه سبحانه وتعالى بقدرته العظيمة استطاع أن يسوي بين هؤلاء في الجهل، ويشابه قلوب بعضهم ببعض، في الريب والشك وعدم قبول الحق.

٣٦٠٥- تفيد تنبيها على خطورة القول، وضرورة التثبت من قائله، والتعرف على منهجه ومعتقده.

٣٦٠٦- يفيد العدول عن ذكر اسمهم إلى ذكر وصفهم الذي يذمون به وهو ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾تبكيتا وتقريعا وتحذيرا.

٣٦٠٧- تفيد أن سبب كل ضلالة لا يخرج عادة عن أحد أمرين وقد يجتمعان، أولا: فقد العلم وهو الجهل، وأهله هم الضالون، ثانيا: فقد القصد الحسن والإرادة الطيبة، وهو الهوى، وأهله هم المغضوب عليهم، والآية هنا تشير إلى السبب الأول وهو فقدهم العلم النافع.

٣٦٠٨- تفيد أن أدق وصف لليهود والنصارى والمشركين الجهل، فهم ممن لا يعلمون ولا يعرفون قدر ربهم.

٣٦٠٩- تفيد أن العلم ينبغي أن يوصل العبد إلى الأدب مع الله، فلا يسأل عما لا يجوز له السؤال، ولا يتعنت في أسئلته، وإلا كان ذلك العلم جهلا.

٣٦١٠- تفيد أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وأن ما ذكر مجملا في هذه الآية ذكر مفصلا في قوله تعالى﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾[الإسراء: ٩٠] الآيات.

٣٦١١- تفيد تسلية للنبي ﷺ، وأن ما لقيه من قومه هو مثل ما لاقاه الرسل من قبله.

٣٦١٢- تفيد أن أهل الباطل يجادلون بالباطل؛ لأن طلبهم الآيات التي يعينوها ما هو إلا تعنت واستكبار؛ ففي الآيات التي جاءت بها الرسل ما يؤمن على مثلها البشر.

٣٦١٣- تفيد اعترافا من المعاندين بوجود الله تعالى، وأنه متصف بصفات الكمال، وأنه قادر على إرسال الآيات.

٣٦١٤- تفيد أن المشركين يقرون بأن الله يتكلم بحرف وصوت مسموع؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ فهم خير في هذا ممن يدعون أن كلام الله هو المعنى القائم في نفسه.

٣٦١٥- تفيد أن الأسئلة التعجيزية ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ﴾ حيلة الجهلة فاقدي العلم، مع أن براهين الحق قد بينها الله تعالى ولكن ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٣].

٣٦١٦- يفيد عدم تعرضه سبحانه لرد قولهم الأول دون الثاني في قوله: ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾إيذانا بأنه منهم أشبه شيء بكلام الأحمق، وجواب الأحمق السكوت.

٣٦١٧- تفيد تشابه قلوب أهل الباطل في كل زمان ومكان لاستجابتهم للشيطان وطاعتهم له؛ واتباعهم لوسوسته، كما قال تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾.

٣٦١٨- تفيد أن القلوب هي المركز الرئيس الذي يستند عليه السلوك الإنساني، سواء كان سلوكا سويا، أو سلوكا منحرفا.

٣٦١٩- تفيد أن أقوال أهل الباطل تتشابه؛ ولهذا فلا غرابة أن نرى اليوم تشابها بين هؤلاء ضد المتمسكين بدينهم بادعائهم أنهم متخلفون رجعيون، لا يريدون ترفيه المجتمع بالغناء والموسيقى والرقص ودور السينما.

٣٦٢٠- تفيد أن الأقوال تابعة ومظهرة لما في القلوب؛ ولأجل تشابه قلوب أهل الباطل تشابهت أقوالهم؛ وصدق الرسول الكريم حين قال: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله».

٣٦٢١- تفيد الآية التفريق بين التشبيه والتمثيل، فقول هؤلاء متماثل، وأما قلوبهم فمتشابهة، يعني لا يلزم التطابق التام، فالتمثيل التطابق التام من جميع الوجوه، أما التشبيه فيطلق على المشابهة من بعض الوجوه دون بعض، ولذا جاء نفي المثل عن الله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١].

٣٦٢٢- تفيد قمة البلاغة القرآنية، وقوة الحجة الإلهية، فهؤلاء المشركون عندما طلبوا الاتيان ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ﴾ جيء لهم بالبيان ﴿بَيَّنَّا﴾وعندما طلبوا آية ﴿تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ﴾مفردة منكرة، جيء لهم بالآيات مجموعة معرفة ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾، في رد قوي بحجة باهرة مع جزالة لفظية رائعة، تبين أنهم اقترحوا إتيان آية فذة، ونحن قد بينا الكثير من الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين.

٣٦٢٣- تفيد أنه لا ينتفع بالآيات إلا الموقنون؛ وأما غير الموقنين فلا تتبين لهم الآيات لما في قلوبهم من الريب والشك.

٣٦٢٤- تفيد أن العلم يزداد باليقين؛ وأن العبد الموقن كلما زاد يقينه زاد علمه، وتبين له من آيات الله ما لم يتبين لغيره،قال تعالى:﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾[المدثر: ٣١] وقال أيضا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾[محمد: ١٧].

٣٦٢٥- تفيد أن من أعظم ما يرد الشبهات الباطلة اليقين بالله وحسن الاستدلال بالآيات.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[البقرة:١١٩].

٣٦٢٦- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع ما قبلها فبعد أن ذكرت الآية السابقة طعن الذي لا يعلمون في رسالة محمد ﷺ حيث طلبوا منه أسئلة تعجيزية فكان ﷺ يضيق صدره من تلك الأسئلة، فجاءت هذه الآية تسلية له ﷺ، مشيرة إلى أن عليه ألا يلتفت إلى تلك الطعون في رسالته فإن رسالته حق، ولا يضرها أقوال المبطلين.

٣٦٢٧- تفيد إظهارا لعظمة الله تبارك وتعالى بدلالة ﴿إِنَّآ﴾

٣٦٢٨- تفيد تكريما وتأنيسا وتسلية للنبي محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين بدلالة ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾.

٣٦٢٩- تفيد ثبوت رسالة النبي محمد ﷺ وأنها صدق وحق من عند الله.

٣٦٣٠- تفيد أن الحق ثابت لا يتغير ولا يتناقض.

٣٦٣١- يفيد تقديم البشارة على النذارة دلالة على أنه ينبغي للداعية أن يستخدم في دعوته أسلوب الترغيب قبل الترهيب، والبشارة قبل النذارة، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «بشروا ولا تنفروا».

٣٦٣٢- يفيد تقديم البشارة على النذارة لبيان فضله ﷺ ورحمته وشفقته لأمته.

٣٦٣٣- تفيد أن المدعوين منهم من تنفعه البشارة، ومنهم من تنفعه النذارة، والفيصل فراسة الداعية.

٣٦٣٤- تفيد أن البشارة بدخول الجنة والنذارة بدخول النار.

٣٦٣٥- تفيد أن مهمة الرسول البلاغ، وليس عليه انتظار ظهور نتيجة دعوته على يديه، ولا يسأل عمن أعرض وعاند واختار طريق الكفر وكان من أصحاب النار.

٣٦٣٦- تفيد أن القيام بالواجب يعفيك من السؤال عن المقصرين والمتخلفين.

٣٦٣٧- يفيد قوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ردا على من يطعن في رسالة محمدﷺ من خلال بيان ثلاثة أمور: الأول: في نفس إرساله، والثاني: في سيرته وهديه ودله، والثالث: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة. فالأول والثاني، قد دخلا في قوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾والثالث دخل في قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾

وبيان الأمر الأول وهو – نفس إرساله – أنه قد علم حالة أهل الأرض قبل بعثته ﷺ وما كانوا عليه من عبادة الأوثان والنيران، والصلبان، وتبديلهم للأديان، حتى كانوا في ظلمة من الكفر قد عمتهم وشملتهم إلا بقايا من أهل الكتاب، قد انقرضوا قبيل البعثة. وقد علم أن الله تعالى لم يخلق خلقه سدى، ولم يتركهم هملا لأنه حكيم عليم، قدير رحيم، فمن حكمته ورحمته بعباده، أن أرسل إليهم هذا الرسول العظيم، يأمرهم بعبادة الرحمن وحده لا شريك له، فبمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه، وهو آية كبيرة على أنه رسول الله، وأما الثاني: فمن عرف النبي ﷺ معرفة تامة، وعرف سيرته وهديه قبل البعثة، ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين، فمن عرفها، وسبر أحواله عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأن الله تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم وكذبهم. وأما الثالث: فهو معرفة ما جاء به ﷺ من الشرع العظيم، والقرآن الكريم، المشتمل على الإخبارات الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهي عن كل قبيح، والمعجزات الباهرة، فجميع الآيات تدخل في هذه الثلاثة.

٣٦٣٨- تفيد على قراءة النهي ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾تحقيرا لأصحاب الحجيم، وإيذانا بكمال شدة عقوبتهم وتهويلا لها، كما تقول: كيف حال فلان؟ وقد وقع في مكروه، فيقال لك: لا تسأل عنه، أي: أنه لغاية فظاعة ما حل به لا يقدر المخبر على إجرائه على لسانه، أو لا يستطيع السامع أن يسمعه.

٣٦٣٩- تفيد أنه ينبغي على الداعية أن لا يأسف ولا يغتم لكفر من يدعوهم أو عدم استجابتهم له؛ لأن الهداية بيد الله تعالى، وليس عليه إلا البلاغ.

٣٦٤٠- تفيد أن من كذب برسالة محمد ﷺ فهو من أصحاب الجحيم.

٣٦٤١-تفيد أن أحدا لا يسأله الله عن ذنب غيره، ولا يؤاخذ بجريرة وذنب سواه، سواء كان قريبا أو بعيدا.

٣٦٤٢- يفيد التعبير بصاحبية هؤلاء للجحيم؛ في قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾دون قوله: [ولا تسأل عن المكذبين أو الكافرين] وعيدا شديدا لهؤلاء؛ وإيذانا بأنهم مطبوع عليهم؛ لا يرجى منهم الإيمان قطعا.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة:١٢٠].

٣٩٨٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها، فبعد أن ذكرت الآيات السابقة تشابه قلوب أهل الباطل من اليهود والنصارى والمشركين من خلال تعنتهم بأسئلتهم التعجيزية التي اقترحوها على النبي ﷺ أشار في هذه الآية إلى أنه ليس غرض هؤلاء اليهود والنصارى الاتيان بما يقترحونه عليك من الآيات، ويوردونه عليك من التعنتات، فإنك لو أتيتهم بكل ما يقترحونه، وأجبتهم عن كل تعنت، فلن يرضوا عنك حتى تدخل في دينهم وتتبع ملتهم.

٣٩٨٧- يفيد تكرار النفي بـ[لا] دلالة على أن رضا اليهود يختلف عن رضا النصارى.

٣٩٨٨- يفيد ذكر الملة مفردة في قوله: ﴿مِلَّتَهُمْ﴾وإن كان لليهود والنصارى ملتان؛ دلالة على ما ذهب إليه بعض أهل العلم إلى أن الكفر وإن تعدد فملة واحدة، وعلى هذا فإنه يجوز التوارث بين الكفار الذين تعددت مللهم.

٣٩٨٩- تفيد مبالغة في إقناطه ﷺ من إسلام اليهود والنصارى، فإنهم حيث لم يرضوا عنه ﷺ إلا اتباع ملتهم التي جاء بنسخها، فكيف يتصور اتباعهم لملته ﷺ، واحتيج لهذه المبالغة لمزيد حرصه ﷺ على إيمانهم.

٣٩٩٠- تفيد تحذيرا للمسلمين عموما ولحكامهم خصوصا في السياسة الشرعية يتلخص في أن لا يتعبوا أنفسهم في طلب رضا اليهود والنصارى، لأن عداوتهم دينية، وليست سياسية أو تعارض مصالح دنيوية.

٣٩٩١- تفيد أن اليهود والنصارى لن يرضوا عن المسلمين مهما فعلوا لهم، ولهذا ينبغي عليهم عدم الانشغال بطلب ودهم ورضاهم، والاقبال على طلب رضا الله تبارك وتعالى.

٣٩٩٢- تفيد بيانا لكيفية الرد على أهل الباطل وأصحاب العقائد المنحرفة، لقوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾.

٣٩٩٣- تفيد أن مصدر الهدى الحق هو الله تعالى المتمثل برسالته لخلقه.

٣٩٩٤- تفيد أن الهدى والخير والسعادة والفلاح هو في هذا الدين العظيم وهو دين الإسلام وليس في غيره.

٣٩٩٥- تفيد أن كل الملل السابقة نسخت بالإسلام وما سواه بدع وأهواء.

٣٩٩٦- تفيد تأكيدا على اجتماع الذين كفروا من أهل الكتاب في عداوتهم لأهل التوحيد.

٣٩٩٧- تفيد التحذير من اتباع أهواء أهل الباطل والنذارة لمن فعل ذلك.

٣٩٩٨- تفيد الحذر من تلاعب العدو بالألفاظ، فهم يسمونه ظاهريا ملة ودين، وهو في حقيقته هوى.

٣٩٩٩- تفيد أن اليهود والنصارى يصدرون عن هوى أنفسهم، وأن ما هم عليه ليس دينا؛ بل هو هوى؛ لقوله تعالى: ﴿أَهْوَآءَهُم﴾؛ ولم يقل [ملتهم] كما في الأول؛ عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾؛ لأنهم يعتقدون أنهم على ملة، ودين؛ ولكن بيَّن الله تعالى أن هذا ليس بدين، ولا ملة؛ بل هوى؛ وليسوا على هدى؛ إذ لو كانوا على هدى لوجب عليهم جميعا أن يؤمنوا بمحمد ﷺ؛ ولكن دينهم هوى، وليس هدى؛ وهكذا كل إنسان يتبع غير ما جاءت به الرسل، ويتعصب له؛ فإن ملته هوى، وليست هدى.

٤٠٠٠- يفيد التعبير بصيغة الجمع في قوله: ﴿أَهْوَآءَهُم﴾إشارة إلى كثرة الاختلاف بينهم، وأن بعضهم يكفر بعضا.

٤٠٠١- تفيد تعريضا لأمة محمد ﷺ وتحذيرا لهم أن يواقعوا شيئا مما نهي عنه ﷺ من إرضاء اليهود أو النصارى بالدخول في ملتهم، أو يدخلوا في أهوية أهل الملل الباطلة، ويطلبوا رضا أهل البدع المنحرفة.

٤٠٠٢- يفيد قوله ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾دلالة على أن الوعيد بالعذاب والعقوبة لا يكون إلا بعد نصب الأدلة وبيان الحق.

٤٠٠٣- تفيد أن العلم بالحق سبب من أسباب الثبات عليه.

٤٠٠٤- تفيد التحذير الشديد من اتباع اليهود والنصارى بعد أن أنار الله العقول والقلوب بدين الإسلام.

٤٠٠٥- تفيد أن أشد الضلال أن يحيد الإنسان عن الحق بعد أن علمه ويتبع الباطل.

٤٠٠٦- تفيد وعيدا شديدا لأهل العلم الحاملين لحجج الله، والقائمين ببيان شرائعه، وأنه ينبغي عليهم ترك المداهنة لأهل البدع المتمذهبين بمذاهب السوء، التاركين للعمل بالكتاب والسنة، المؤثرين لمحض الرأي عليهما، فإن غالب هؤلاء وإن أظهر قبولا، وأبان من أخلاقه لينا، لا يرضيه إلا اتباع بدعته، والدخول في مداخله، والوقوع في حبائله، فإن فعل العالم ذلك بعد أن علمه الله من العلم ما يستفيد به أنّ هدى الله هو ما في كتابه وسنة رسوله، لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة، وجهالة بينة ورأي منهار، وتقليد على شفا جرف هار، فهو إذ ذاك ما له من الله من ولي ولا نصير، ومن كان كذلك فهو مخذول لا محالة وهالك بلا شك ولا شبهة.

٤٠٠٧- تفيد أن من أراد الله به سوءا فلا مرد له، ولا منقذ له لقوله تعالى: ﴿مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

٤٠٠٨- تفيد أن ولاية الله تعالى ونصرته لا يحظى بهما إلا أهل الهداية، وأتباع الحق الذي جاء به الرسول ﷺ، لا من يتبع ويقلد كل من هب ودب، ولهذا فمن أراد الأمن والأمان والنصر على الأعداء، فعليه اتباع هدى الله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢].

٤٠٠٩- تفيد أن من يوالي اليهود والنصارى باتباعهم على باطلهم يفقد ولاية الله عز وجل ونصرته.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[البقرة:١٢١].

٤٠١٠- تفيد مناسبة لما قبلها من الآيات، فبعد أن ذمت الآيات السابقة الذين لا يعلمون من المشركين واليهود والنصارى، مدحت هذه الآية الذين يعلمون الكتاب ويتلونه حق تلاوته.

٤٠١١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما كان الكلام عن هدى الله وأنه هو الهدى، بين هنا كيف يكون الانتفاع به، وهي متضمنة أن اليهود والنصارى ليسوا يومئذ على شيء من الهدى، وأن الذين أوتوا الكتاب منهم وَتَلوه حقَّ تلاوته هم الذين يؤمنون به ويتبعونه، والمذكورون سابقًا فإنهم ممن لم يتله حق تلاوته.

٤٠١٢- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكرت الآية السابقة أن رضا أهل الملل الباطلة والفرق المنحرفة هو في اتباع أهوائهم، أشارت هذه الآية إلى أن رضا الله ﷻ في اتباع كتابه وتلاوته حق التلاوة، وأيضا فإنه لما ذكرت الآية السابقة أن هدى الله هو الهدى، أشارت هذه الآية إلى أن هدى الله كائن في كتابه الذي أنزله، وأن على من طلب هدى الله، أن يلزم كتابه، ويتلوه حق تلاوته.

٤٠١٣- تفيد مع ما قبلها أن مجرد إتيان الكتاب ليس فضيلة ولا مدحا، بل المدح والفضيلة لمن أوتي الكتاب وتلاه حق تلاوته.

٤٠١٤- تفيد مع ما قبلها ذما لمن ذكروا من اليهود والنصارى حيث أوتوا الكتاب واتبعوا أهواءهم، ولم يتلوا الكتاب حق تلاوته.

٤٠١٥- تفيد مع ما قبلها أن من أهل الكتاب من اتبع ما جاءه، وآمن بما أنزل على النبي الخاتم ﷺ.

٤٠١٦- تفيد أن من خالف القرآن في شيء كان ذلك دليلًا على نقص إيمانه؛ لقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ فمعنى ذلك: إذا لم يتلوه حق تلاوته فإنهم لم يؤمنوا به؛ بل نقص من إيمانهم بقدر ما نقص من تلاوتهم له.

٤٠١٧- تفيد منة الله عزّ وجلّ على من آتاه الله تعالى الكتاب فتلاه حق تلاوته.

٤٠١٨- تفيد أن طريق الهداية في تلاوة كتاب الله حق تلاوته بأن يجوده قراءة ويتدبره هداية ويؤمن بحكمه ومتشابهه، ويحلل حلاله ويحرم حرامه، ويقيم حدوده كما يقيم حروفه.

٤٠١٩- تفيد أن تلاوة القرآن نوعان؛ تلاوة حق؛ وتلاوة ناقصة ليست تامة؛ فالتلاوة الحق أن يكون الإنسان تاليًا للفظه، وفاهمًا لمعناه وعاملًا بأحكامه مصدقًا بأخباره؛ فمن استكبر أو جحد فإنه لم يتله حق تلاوته.

٤٠٢٠- تفيد أن قراءة الألفاظ القرآنية وحدها لا تفيد الهداية، وقد عبر عن التدبر والفهم بتلاوته حق التلاوة ليشمل ذلك التلاوة والفهم والعمل.

٤٠٢١- تفيد أن إتقان التجويد وعلوم القرآن والتفسير من أهم ما يعين على العمل بكتاب الله تعالى.

٤٠٢٢- تفيد الحث للبحث عن أفضل طرق التعلم والقراءة للتعامل مع القرآن الكريم.

٤٠٢٣- تفيد بيانا لما يجب علينا حيال كتاب الله ﷻ من تلاوته حق التلاوة، وهو القيام بكل حقوقه من إيمان به واعتقاد أنه الحق وما خالفه فهو باطل ومن تلاوة وتدبر وعمل ودعوة وتحكيم وتحاكم...الخ، لا أنه لمجرد التبرك وافتتاح المجالس والمؤتمرات أو المآتم والأحزان والقراءة على الأموات أو تزويق المجالس والمساجد واللوحات بكتابة آياته بالأحرف والألوان المزخرفة.... لأن كتاب الله تعالى هو منهج الحياة، وهذا يقتضي أن نتلوه حق تلاوته، فمن مقتضيات الإيمان به تلاوته حق التلاوة.

٤٠٢٤- تفيد أن للإيمان الحقيقي علامة؛ وعلامته العمل؛ لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بعد قوله ﷻ ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾.

٤٠٢٥- تفيد علو مرتبة من يتلون الكتاب حق تلاوته؛ للإشارة إليهم بلفظ الإشارة الموضوع للبعيد: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

٤٠٢٦- تفيد أهمية المنهجية السليمة في التعامل مع القرآن وإلا لم يكن للناس هدى.

٤٠٢٧- تفيد أهمية القرآن وأثره في حياة أهل الإيمان من خلال قراءته بصورة متأنية وبناء أسس الإيمان ومراتبه عليه.

٤٠٢٨- تفيد أن الكافر بالقرآن مهما أصاب من الدنيا فهو خاسر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ يكون خاسرًا ـ ولو نال من الدنيا من أموال، وبنين، ومراكب فخمة، وقصور مشيدة ـ؛ لأن هذه كلها سوف تذهب، وتزول؛ أو هو يزول عنها، ولا تنفعه.

٤٠٢٩- تفيد أن كل من لم يجعل القرآن دستوره ومنهج حياته فهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة

٤٠٣٠- تفيد بمفهوم المخالفة أن الذين يؤمنون بالكتاب هم الفائزون الرابحون في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[البقرة:١٢٢-١٢٣].

*** تكررت هاتان الآيتان في الآية رقم: ٤٧، والآية رقم: ٤٨، من هذه السورة، حيث كررت الآية الأولى كليًا، وكررت الثانية شبه كلي، ومع اختلاف بسيط في التقديم والتأخير، وقد ذكرنا هناك ما يتعلق بالهدايات الخاصة بهما، وسوف يكون الحديث ههنا عن الهدايات المستنبطة من سياقهما وسباقهما ولحاقهما.

٤٠٣١- تفيدان دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية السابقة، فبعد أن ذكرت الآية السابقة الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته، أشارت هذه الآية إلى أن أعظم البواعث وأكبر محركات قلوب العباد على تلاوة كتاب الله حق تلاوته، هو تذكر النعم الإلهية، والمنن الربانية، واستحضار هول وعظمة يوم القيامة.

٤٠٣٢- تفيدان مع ما قبلهما أن أعظم مذكر لنعم الله تعالى ولليوم الآخر هو كتاب الله تعالى، قال تعالى في حق القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[الزخرف: ٤٤].

٤٠٣٣- تفيدان مع ما قبلهما أن تفضيل الله ﷻ لهذه الأمة ولبني إسرائيل من قبلهم مرتبط بمدى إيمانهم بكتابه والتزامهم به، وتلاوتهم حق التلاوة.

٤٠٣٤- تفيدان مع ما قبلهما أن تذكر النعم الكثيرة توجب الحياء من إظهار مخالفة المنعم، وتستدعي الالتزام بكتابه، واتباعه حق الاتباع، وتلاوته حق التلاوة.

٤٠٣٥- يفيد تكرار القرآن الكريم لهاتين الآيتين بكلماتها وحروفها على بني إسرائيل، إشارة إلى أن على الناصح والداعية ألَّا يمل ولا يضجر من تكرار الدعوة والنصيحة على أسماع من يدعوهم وينصحهم، ولو بنفس الكلمات والحروف، فلعل غافلا ينتبه أو ناسيا يتذكر، أو مذنبا يتوب.

٤٠٣٦- يفيد تكرار هاتين الآيتين دلالة على أن بني إسرائيل قد طال بهم الأمد، وتعرضوا لنسيان نعم الله، من خلال تلك الفظائع والشنائع التي صدرت منهم ومن آبائهم، فأعاد الله عليهم النصيحة وكررها عليهم، عل غافلا منهم يتنبه، وناسيا من بينهم يتذكر.

٤٠٣٧- تفيد هاتان الآيتان مع ما بعدهما من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾[البقرة: ١٢٤] ثم قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾أن عبادة الأجداد وطاعتهم لربهم، ودعاءهم لذريتهم قد تنفع الأبناء والأحفاد والذرية، فتكون سببا لهم في الدنيا في تنزل النعم الإلهية والمنن الربانية عليهم، ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٢]، ولكن لا تنفعهم هذه الفضيلة والقرابة في الآخرة من دون الإيمان والعمل الصالح، لأن ذلك يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا.

٤٠٣٨- تفيدان أهمية وضرورة التعمق والتأمل في هدايات الآيات المكررة كليا أو جزئيا، ووضع الدراسات والأبحاث التي تهتم بهذا الجانب في ضوء السياق والسباق واللحاق.

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤].

٤٠٣٩- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكرت الآيات السابقة أحوال بني إسرائيل من اليهود والنصارى في كفرهم بالله، وابتعادهم عن عبوديته، وعدم الانصياع لأوامره، جاءت هذه الآية لتذكرهم بجدهم إبراهيم عليه السلام، وبقوة إيمانه، واستجابته لربه، في إشارة إلى أن بني إسرائيل لم يشابهوا

جدهم، وأنه كان من الواجب عليهم أن يكون حالهم مثل حاله في العبادة والطاعة والاستجابة لأوامر الله تعالى.

٤٠٤٠- تفيد مع ما قبلها ردا وتقبيحا على الذين افتخروا بانتسابهم إلى سلالة الأنبياء وهم بنو إسرائيل، وظنوا أنه يضمن لهم جنة أو يصرفهم عن النار، وادعوا أنهم متبعون ملة إبراهيم عليه السلام وأنهم يسيرون على هديه، فذكروا بما كان عليه جدهم وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وكيف ابتلي بالتكاليف والشرائع فقام بها جميعا وأتمها.

٤٠٤١- تفيد بيان امتحان ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾[البقرة:١٢٤]، وبيان نتيجة ﴿فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾، وبيان ثمرة ﴿جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾.

٤٠٤٢- تفيد بيان فضيلة إبراهيم عليه السلام ومدحه والثناء عليه؛ في قوله تعالى: ﴿رَبُّهُۥ﴾ حيث أضاف ربوبيته إلى إبراهيم - وهي ربوبية خاصة- ولقوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾؛ ولقوله تعالى: ﴿جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾.

٤٠٤٣- تفيد أن الله يبتلي عباده بالشرائع والتكاليف، وأن الابتلاءات هي بوابة الإمامة في الدين.

٤٠٤٤- تفيد أن كل بلاء أو ابتلاء نازل على العباد إنما هو من ربهم، وفي هذا ما يجعل العبد المؤمن يطمئن؛ لأنه من ربه اللطيف الرحيم بعباده العليم الحكيم فيما يبتليهم به.

٤٠٤٥- تفيد أن الله تعالى قد يخص بعض عباده بنوع ابتلاء ليرفعهم بذلك في الدنيا والآخرة، فلا ينبغي التضجر مما يبتليك الله به دون غيرك.

٤٠٤٦- تفيد أن بعض المنازل العالية لا سبيل لبلوغها إلا على سلم الابتلاء.

٤٠٤٧- تفيد أن الجوائز العظيمة والعطايا الجسيمة من الله عز وجل تأتي بعد ابتلاءات عظيمة في مقام عبوديته سبحانه وتعالى.

٤٠٤٨- تفيد أن الابتلاءات الشرعية هي سبب للسعادة لمن قام بها وأتم العمل بمعانيها.

٤٠٤٩- تفيد أن الإمام له معايير يختار بها، وليس كل أحد يصلح للإمامة.

٤٠٥٠- تفيد أن المبهم في القرآن من ورائه حكم كثيرة ﴿بِكَلِمَتٍ﴾.

٤٠٥١- تفيد أنه قد يقصد بالكلمات الأوامر والعهود وإفضال الله تعالى.

٤٠٥٢- تفيد سرعة الاستجابة من إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ كيف لا وهو قدوة العالمين.

٤٠٥٣- تفيد أن القيام بما أمر الله تعالى بتمامه وكماله هو الذي يرفع العبد في الدنيا والآخرة.

٤٠٥٤- تفيد أن مرتبة الإمامة لا يستحقها إلا من قام بما كلف به على أكمل الوجوه وأتمها.

٤٠٥٥- تفيد أهمية إتقان المسلم وإتمامه للعمل الذي شرع فيه طاعة لربه، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[محمد: ٣٣].

٤٠٥٦- تفيد أن أمور الناس لا تنصلح إلا بإمام يقيم العدل بينهم؛ لقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

٤٠٥٧- تفيد أن من شرفه الله تعالى بحمل مسؤولية الإمامة يجب أن يأخذها بحقها دون تراجع وتردد.

٤٠٥٨- تفيد أن شريعة إبراهيم عليه السلام كانت عامة ﴿لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾

٤٠٥٩- تفيد أهمية وضع الجوائز العظيمة والأوسمة الرفيعة للناجحين في الأعمال والمهام الشاقة، تقديرا لجهودهم، وتشجيعا وتحميسا لهم لبذل المزيد من الجهد والمثابرة في العمل.

٤٠٦٠- تفيد أن المقصر في عمله لا يصلح أن يكون رئيسا أو قائدا، أو إماما.

٤٠٦١- تفيد بإشارة خفية لأرباب العمل والباحثين عن مدراء وقادة لأعمالهم أن يختبروا المتقدم والمتأهل لهذه الوظيفة في المهمات الصعبة والأعمال الشاقة، فبه يظهر القائد الناجح بلا منازع والمعول عليه بلا منافس.

٤٠٦٢- تفيد أهمية ودور القدوة في إصلاح أمور الناس.

٤٠٦٣- تفيد أن النبوة محض اصطفاء واجتباء، وأن القدوة والامامة في الخير هبة من الله، وعهد وتكليف منه سبحانه وتعالى.

٤٠٦٤- تفيد عناية الله تعالى بما يصلح شؤون الخلق، لأن أمور الناس لا قيام لها إلا بإمام عادل.

٤٠٦٥- تفيد أن تولي أمور الناس والقيام بشؤونهم من الأمور التي شرعها الله تعالى بل اصطفى لها خير خلقه.

٤٠٦٦- تفيد حسن أدب إبراهيم عليه السلام في دعائه لربه حيث طلب الإمامة لبعض ذريته، وأبهم البعض ولم يعينهم أو يصفهم بصفة معينة، في إشارة إلى أنه ينبغي للعبد أن لا يعتدي في دعائه، وفي الحديث: «انه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقرأ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[الأعراف: ٥٥] ».

٤٠٦٧- تفيد طلب ودعاء إبراهيم عليه السلام أن تمتد الإمامة والخيرية للاجيال القادمة من ذريته، وفي هذا دلالة على جواز طلب الإمامة في الدين لمن أراد بها خدمة الدين.

٤٠٦٨- تفيد شفقة الأنبياء على ذريتهم وأممهم.

٤٠٦٩- تفيد أنه ينبغي للعبد أن يدعو لذريته -من وجد منهم في الحياة ومن سيوجد- بالإمامة، والصلاح؛ والتقوى والفلاح، لقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾؛ وقد مدح الله الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان: ٧٤].

٤٠٧٠- تفيد بإشارة خفية أن الآباء أو الأجداد ينبغي أن لا يكونوا أنانيين، وأن يحبوا الخير والمجد والرفعة لأبنائهم وذرياتهم في الدنيا والآخرة، وأن يمهدوا الطريق لهم ويبذلوا جهدهم في ذلك.

٤٠٧١- تفيد أن السعي لما يصلح الذرية ويرفعها من هدي الأنبياء.

٤٠٧٢- تفيد أن صلاح الآباء لا يلزم منه صلاح الأبناء.

٤٠٧٣- تفيد أن الهبات الربانية التي تكون كرامة للمتقين لا ينوب عنها النسب الكريم.

٤٠٧٤- يفيد التعبير بالنيل في قوله: ﴿لَا يَنَالُ﴾دون الجعل أو غيره، إشارة إلى أن إمامة الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام ليست مستقلة، بل هي حاصلة في ضمن إمامته، تنال كلا منهم في وقته المقدر له، ولهذا فإن كل من أتى بعده من الأنبياء والرسل مطالب بأن يتبع ملته.

٤٠٧٥- تفيد أن الله عز وجل قد استجاب دعاء نبيه إبراهيم عليه السلام، وذلك لأن نفى الحكم في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾عن أحد الضدين دليل على الثبوت للآخر، أي: [غير الظالمين].

٤٠٧٦- تفيد أن هداية التوفيق محجوبة عن الظالمين، وأن الظلمة محرومون من الإمامة والقدوة والاصطفاء.

٤٠٧٧- تفيد عواقب الظلم في الدنيا قبل الآخرة، وهو يكون سببا لحرمان النعم والهبات والمكرمات الربانية.

٤٠٧٨- تفيد أن هداية التوفيق منة من الله تعالى لا تكتسب ولا تورث.

٤٠٧٩- تفيد أن الذي يهب الملك والولاية والسلطان هو الله تعالى، فيجب أن تصرف فيما يحبه ويرضاه.

٤٠٨٠- تفيد كمال علم الله تعالى، وأن الجزاء في الآخرة مترتب عليه.

٤٠٨١- تفيد -على ما ذهب إليه بعض العلماء- دلالة على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر قبل البعثة، وفي المسألة خلاف مشهور بين العلماء، يرجع إلى مظانه.

٤٠٨٢- تفيد عدم صحة ما استنبطه بعض العلماء من الآية على أن الفاسق لا يصلح للخلافة على الإطلاق، وذلك لأن من كفر أو ظلم أو فسق ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم أو فاسق، والذي يظهر أن من ذهب إلى هذا القول أراد عدم صلاحيته ابتداء، وقبل حصول التوبة منه.

٤٠٨٣- تفيد -على ما ذهب إليه بعضهم- أن الظالم إذا عوهد لم يلزم الوفاء بعهده، وفي الاستدلال بهذه الآية في هذه المسألة فيه نظر.

٤٠٨٤- تفيد مع قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة: ٢٥٤] بطلان ما استدل به بعض الشيعة من الآية على نفي إمامة الصديق وصاحبيه رضي الله تعالى عنهم، بحجة أنهم عاشوا مدة مديدة على الشرك، ووجه البطلان أن من كفر أو ظلم ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم في لغة وعرف وشرع، قال أبو حيان: «ومن أغرب الانتزاعات في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ما ذكر لي بعض الإمامية أنهم انتزعوا من هذا كون أبي بكر لا يكون إماما، وقالوا: لأن إطلاق اسم الظلم يقع

عليه، لأنه سجد للأصنام، فقد ظلم. وقد قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾وذلك بخلاف علي، فإنه لم يسجد لصنم قط. قلت له: فيلزم أن يسمى كل من أسلم من الصحابة ظالما،كسلمان، وأبي ذر، وابن مسعود، وحذيفة، وعمار. وهذا ما لا يذهب إليه أحد، فلم يحر جوابا».

٤٠٨٥- تفيد -على ما ذهب إليه بعض السلف- أن الظلم الطارئ والفسق العارض يمنع عن الإمامة بقاء كما منع عنها ابتداء، لأن المنافاة بين الوصفين متحققة في كل آن، والجمهور على خلافه بحجة أن الابتداء لا تقتضي المنافاة في البقاء، ولأن الدفع أسهل من الرفع، واتفقوا جميعا على أنه إذا وصل الظلم من الخليفة إلى حد الكفر البواح، فإنه ينافي الإمامة بقاء أيضا، وينعزل به الخليفة قطعا.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[البقرة:١٢٥].

٤٠٨٦- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية السابقة، فبعد أن ذكرت الآية السابقة ابتلاء إبراهيم بكلمات، ارتقت هذه الآية لبيان امتحان وابتلاء آخر لإبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وأيضا لما ذكرت الآية السابقة تنصيب إبراهيم عليه السلام إماما، أشارت هذه الآية إلى أعظم المهام التي أنيطت على هذا الإمام، وأيضا لما ذكرت الآية السابقة إمامة إبراهيم عليه السلام أمرت هذه الآية أن يتخذ من مقامه مصلى، في إشارة لطيفة إلى أن على أتباع شريعته الاعتراف بإمامته حسيا ومعنويا.

٤٠٨٧- تفيد براعة الاستهلال وروعة التمهيد لقضية نسخ القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، فقبل أن تأتي الآيات الآمرة باستقبال البيت الحرام جاءت الآيات التي توضح الامتداد الزمني لهذا البيت، وعتاقته في التاريخ، وأنه بني قبل بيت المقدس بمئات السنين، وكأن هذه الآيات تمهد بإشارة لطيفة إلى تحديد أي المساجد هو الأولى بالاستقبال، أهو المسجد الأقصى أم المسجد الحرام؟.

٤٠٨٨- تفيد مع ما قبلها أن الله سبحانه وتعالى يثيب العامل بأكثر من عمله؛ فإبراهيم عليه السلام لما أتم الكلمات جعله الله تعالى إماما للناس، وأمر الناس أن يتخذوا من مقامه مصلى؛ وهذا بعض من إمامته.

٤٠٨٩- تفيد مع ما قبلها أن إمام المسلمين ينبغي أن يعطي اهتماما كبيرا لبيت الله العتيق.

٤٠٩٠- تفيد مع ما قبلها أن الإمام في حاجة إلى مقر يقيم فيه لتنطلق منه دعوته ويؤمه الناس إليه.

٤٠٩١- تفيد مع ما قبلها أن الإمام يحتاج إلى من يعاونه لأداء المهام الدينية والدنيوية، وقد هيأ الله لخليله إبراهيم عليه السلام من يعاونه على أداء مهامه، وهو ابنه إسماعيل عليه السلام.

٤٠٩٢- تفيد مع ما قبلها أن الفرع الصالح والذرية الصالحة تشارك الأصل الصالح وتعاونه على أعمال البر والخير والصلاح.

٤٠٩٣- تفيد مع ما قبلها أن دعوة الآباء لأبنائهم وذرياتهم مستجابة.

٤٠٩٤- تفيد مع ما قبلها أن أول المستفيدين من صلاح الأبناء والذرية هم الآباء.

٤٠٩٥- تفيد عظمة ومنزلة البيت العتيق من خلال كل عبارة في هذه الآية حيث جعله مثابة للناس وأمنا، وأن يتخذ مصلى، ونسبه إليه، وأمر خليله وابنه ليقوما بتطهيره، وبين أعظم ما يمارس فيه من أنواع العبادات، ومنزلة المجتهدين فيه بتلك العبادات.

٤٠٩٦-تفيد إشارة للأمر القدري ﴿جَعَلْنَا﴾حيث جعل الله البيت مكانا يعودون إليه ويشتاقون لزيارته.

٤٠٩٧- تفيد أن الله عز وجل يصطفي من الأمكنة والأزمنة ما يشاء.

٤٠٩٨- تفيد تأكيدا على سكون النفس وطمأنينتها في هذا البيت، حيث يعود إليه من زاره مرة بعد مرة يحمله الشوق والحب لهذا المكان.

٤٠٩٩- تفيد استحباب العود والرجوع إلى البيت الحرام كلما سنحت للعبد الفرصة إليه ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ .

٤١٠٠- تفيد أهمية المحافظة على المعالم الشرعية والاهتمام بها.

٤١٠١- تفيد معجزة لكتاب الله، وتأييدا لحبيب الله محمد ﷺ، وكرامة لخليل الله إبراهيم عليه السلام، حيث حفظ الله مقام خليله من الدرس والاندثار من قديم الزمان إلى وقتنا الحاضر.

٤١٠٢-تفيد أهمية المكان للأمن النفسي، وأهمية الأمن والاستقرار للنفوس عند أداء العبادات، وفعل الطاعات.

٤١٠٣- تفيد أن أداء العبادات وفعل الطاعات يؤدي لأمان النفوس والقلوب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٤١٠٤- تفيد فضل التعاون على البر والتقوى، وأن أولى الناس بإعانتهم والتعاون معهم هم الوالدين.

٤١٠٥- تفيد إشارة إلى حرص الوالد على صلاح ولده ومتابعته بأعمال الخير.

٤١٠٦- تفيد أن التربية العملية بمشاركة الابناء في مشاريع الآباء من أعظم الأساليب في تحميلهم المسؤولية وإعدادهم للمستقبل، وهذه الهداية تكون أكثر وضوحًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧].

٤١٠٧- تفيد بإشارة أنه ينبغي للإمام أن يعين من يخلفه ويهتم بشؤون البيت عند غيابه أو عدم قدرته على إدارة شؤونه فإبراهيم عليه السلام عندما كان يغيب عن البيت كان إسماعيل عليه السلام يقوم مقامه.

٤١٠٨- تفيد أن الأعمال المهمة لا بد أن يعهد بها إلى أناس محددين هم أهل لما عهد إليهم؛ وذلك من أسس النجاح في إدارة الأعمال ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾، فالنجاح في تحديد العمل، واختيار من يقوم به، وبيان الحافز لأداء المهمة ﴿بَيْتِيَ﴾.

٤١٠٩- تفيد مزيد تكريم وتعظيم لشأن هذا البيت، حيث نسبه سبحانه لنفسه ﴿بَيْتِيَ﴾.

٤١١٠- تفيد ضرورة الاهتمام ببيوت الله والحرص على نظافتها الحسية والمعنوية، وبيان شرف خدمتها، خاصة بيته العتيق، وشرف مباشرة نظافتها وتهيئتها للعابدين، وأن ذلك مما يحبه الله تعالى.

٤١١١- تفيد أن أطهر بقاع الأرض المسجد الحرام الذي تولى تطهيره أبو الأنبياء إمام التوحيد مع ولده الرسول الكريم إسماعيل عليهما السلام، بتكليف مباشر من رب البيت سبحانه.

٤١١٢- تفيد أهمية توثيق الخلق علاقتهم بهذا المكان الذي اصطفاه له ربهم، بحيث تكون العلاقة علاقة الإنسان ببيته ومكان سكنه وراحته، يلقي على عتباته كل أشكال التعب والنصب، ويلقى فيه أنسه وتسليته.

٤١١٣- تفيد أن تكون أولويات التخطيط والتنظيم للعبادة ومتطلباتها. ويؤكد ذلك بناء النبي ﷺ للمسجد فور وصوله للمدينة عند وصوله إليها.

٤١١٤- تفيد أنه لا يجوز أن يمنع بيت الله الحرام من دخول الطائفين والمصلين بأي حال من الأحوال، فإن الله عز وجل جعل هذا البيت لهم، ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

٤١١٥- تفيد بإشارة إلى أنه لا يجوز لمرتادي البيت الحرام حمل أو إدخال النجاسات الحسية والمعنوية، وان يجنبوا البيت الحرام كل ما يخل بطهارته.

٤١١٦- تفيد اشتراط طهارة مكان الطواف؛ لقوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾.

٤١١٧- تفيد اشتراط طهارة لباس الطائفين والمصلين من باب أولى، وأنه لا يجوز أن يطوف أو يصلي بثوب نجس؛ لأن ملابسة الإنسان للثياب ألصق من ملابسته للمكان.

٤١١٨- تفيد تعريضا للكفار بأنهم لم يطهروا البيت الحرام كما أمر الله تعالى من الأوثان والأصنام التي كانت تحيط به، ومن طواف النساء عريانا، وغير ذلك.

٤١١٩- تفيد فضيلة هذه العبادات الأربع: الطواف، والاعتكاف، والركوع، والسجود؛ وتخصيص الركوع والسجود بالذكر لكونهما أفضل هيئة في الصلاة.

٤١٢٠- تفيد التأكيد على أن ينشغل الناس في هذا البيت بالطواف والاعتكاف والصلاة، وإشارة إلى أن هذا البيت إنما أعد للانشغال بأعمال الآخرة، وكل ما يوثق العلاقة برب البيت، وترك كل ما من شأنه أن يشغل عن ذلك.

٤١٢١- تفيد أن على الإمام أن يتفقد احتياجات المرتادين لبيت الله ويوفر لهم كل ما يحتاجون إليه من سبل الراحة النفسية لأداء نسكهم وعبادتهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة:١٢٦].

٤١٢٢- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكرت الآيتان السابقتان تنصيب وجعل إبراهيم إماما للناس، ثم أناطت إليه مهمة رعاية شؤون البيت الحرام، أشارت هذه الآية إلى أن إبراهيم عليه السلام استشعر هذه المسؤولية وتلك المهمة المناطة على عاتقه، فطلب من ربه مساعدته في بسط الأمن والأمان في بلده الحرام، وإتاحة أسباب الرزق والرفاهية في ربوعه ليكون كما ذكرته الآية السابقة مثابة للناس.

٤١٢٣- تفيد مع ما قبلها أن الإمامة في الدين لا يعطيها الله إلا لمن يحب، والدنيا يعطيها لمن يحب ومن لا يحب.

٤١٢٤- تفيد مع ما قبلها أن من مهمة الإمام بسط الأمن والأمان في بلد الله الحرام، وإيجاد أسباب الرزق والرفاهية لأهل البلد الحرام.

٤١٢٥- تفيد مع ما قبلها أن توطيد الأمن وتهيئة أسباب العيش للناس مما ينبغي أن يعتني به المصلحون مع دعوتهم وإصلاحهم.

٤١٢٦- تفيد مع ما قبلها أنه مهما اتخذ الإمام كل الاستراتيجيات الأمنية وقام بجميع التدابير الوقائية، ونفذ جميع المخططات الاقتصادية المعيشية فإنه لن يستطيع فعل شيء من ذلك؛ لأن الذي يحفظ البلاد والعباد ويحقق أمنها، واستقرار شعوبها هو الرب سبحانه وتعالى، ولهذا دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يعينه في هذه المهمة الصعبة.

٤١٢٧- تفيد مع ما قبلها أن على الإمام أن يسعى في إتاحة أسباب الرزق لرعيته من مؤمن وكافر.

٤١٢٨- تفيد مع ما قبلها ومع قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ أن على الإمام أن يتفقد أحوال واقعه وواقع أمته، ففي هذه الآية طلب إمام المسلمين إبراهيم عليه السلام أن يجعل المكان الذي هو فيه بلدا آمنا، ولما رأى أنه قد أصبح بلدا، طلب من ربه في أن يجعل هذا البلد آمنا، في إشارة إلى أن الأمن مطلب مهم لا تستغني عنه البلدة الصغيرة أو الكبيرة.

٤١٢٩- تفيد مع ما قبلها استحباب دعاء الإمام والمصلحين لبلادهم بالأمن وسعة الرزق.

٤١٣٠- تفيد منزلة الدعاء بالربوبية، وهو مما يتوسل به في الدعاء.

٤١٣١- تفيد أنه ينبغي للسائل أن يتلطف في دعائه لربه، وينادي بالوصف الدال على قبول السائل وإجابة ضراعته.

٤١٣٢- تفيد بإشارة أنه ينبغي للعبد السائل أن يسأل ربه بجوامع الكلم، فإن دعوة إبراهيم عليه السلام هذه من جوامع كلم النبوة، فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول، وإذا اختل اختلت الثلاثة الأخيرة.

٤١٣٣- يفيد تقديم الأمن على الرزق إشارة إلى أنه ليس للطعام والشراب لذة مع فقد الشعور بالأمن، وفي هذا دلالة على منزلة الأمن وأهمية وجوده، والحرص على طلبه عملا ودعاء.

٤١٣٤- تفيد تنبه إبراهيم عليه السلام لفضل البلد الحرام ونعمة أمن الأوطان، وأن طلبه عليه السلام الأمن والرزق لهذا المكان؛ ليكون مناسبا للذين يثوبون إليه، فيجدون فيه الأمن وأسباب العيش.

٤١٣٥- تفيد تعظيما لشأن البلد الحرام، وبيان مكرمة الله تعالى لأهل الحرم؛ حيث خصهم بالذكر والنعمة، فيجب عليهم مزيدا من الشكر لربهم، والرعاية لهذا الجوار الكريم الذي به أكرمهم ربهم.

٤١٣٦- تفيد أن الذي يرزق الثمرات ويحقق رفاهية العباد هو الله تعالى، فمنه يطلب سعة الرزق، وأن الاعتماد على الأسباب البشرية فقط سبب خذلان.

٤١٣٧- تفيد منزلة إبراهيم عليه السلام حيث هداه ربه لهذا الدعاء العظيم واستجاب دعوته.

٤١٣٨- تفيد أن تحقيق الإيمان بالله واليوم الآخر تحقيق لأعظم أركان الإيمان؛ لذا خصهما بالذكر.

٤١٣٩- يفيد ذكر ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ دلالة على أن بلد الله الحرام قد يكون في بعض أهله كفرة ومشركين، وقد امتن الله على أهل بلده الكفرة والمشركين بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

٤١٤٠- تفيد حسن أدب إبراهيم عليه السلام، فعندما نهي عليه السلام في الآيات السابقة عن سؤال الإمامة لبعض ذريته ظن أن الرزق مثلها فاستثنى في طلبه الرزق لمن آمن فقط، ولم يعمم.

٤١٤١- تفيد أن متع الدنيا مهما عظمت وكثرت فهي قليلة.

٤١٤٢- تفيد أن الكافر قد يشعر بالمتعة في حياته نظير ما يجده من رزق وأمن؛ ولكنها متعة قليلة جدا نظير ما ينتظره من عذاب.

٤١٤٣- تفيد أن العبد مهما طال عمره فهو قليل محدود فليحرص على استغلاله في الطاعة.

٤١٤٤- تفيد أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولهذا فإنه يرزق الكافر مع عدم رضاه عنه.

٤١٤٥- يفيد ذكر العذاب في قوله: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ احتراسا من أن يغتر الكافر بأن تخويله النعم في الدنيا يؤذن برضى الله تعالى.

٤١٤٦- تفيد أن الخسران والبوار لأهل الشرك والكفر والنفاق في يوم يكون الحَكَم فيه هو الرب الذي أعطاهم وأغناهم في الدنيا فكفروا به ولم يشكروا له.

٤١٤٧- تفيد أن أسوأ مصير ينتهي إليه الإنسان نار جهنم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[البقرة:١٢٧].

٤١٤٨- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زال سياق الآيات في ذكر إبراهيم عليه السلام، والإخبار عن مكانته ومنزلته الرفيعة في كمال الإيمان، والطاعة لله ﷻ، ورغبته في الخير والأعمال الصالحة.

٤١٤٩- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق، فبعد أن ذكرت الآية الكريمة السابقة وجود الأمن ورغد العيش في بلد الله الحرام ذكرت هذه الآية الكريمة بداية انطلاق المشاريع الجبارة في بيت الله الحرام، في إشارة لطيفة لمن نور الله بصيرته بهدايات القرآن الكريم أن نعمة توفر الأمن والعيش الرغيد ينبغي أن يقابل بمشاريع جبارة ترضى الله ﷻ، وترفع من شأن قواعد الدين وأسسه ومبادئه، لا أن يقابل بالدعوة للانحلال والانسلاخ من الدين من خلال الترف والترفيه المذموم.

٤١٥٠- تفيد تذكيرا بفعل إبراهيم وولده عليهما السلام، وطاعتهما لأمر ربهما سبحانه، وتكريما لهما، حيث خصهما ربهما سبحانه ببناء البيت وتطهيره.

٤١٥١- تفيد استحضارا لصورة هذه الطاعة وتشييد هذا البناء العظيم الكريم، بورود الفعل بصيغة المضارع ﴿يَرْفَعُ﴾وذلك تقديرا لعمل الرسولين الكريمين، وإبقاء صورة هذه الطاعة ماثلة في نفوس المقبلين على هذا البلد.

٤١٥٢- تفيد فضل بناء المساجد عموما، وبناء الكعبة خصوصا؛ لأن الله تعالى أمر نبيه أن يذكر هذه الحادثة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ...﴾.

٤١٥٣- تفيد أن بناء بيوت الله تعالى من أعظم الأعمال التي يحبها الله تعالى، ولهذا اختار لها خير خلقه.

٤١٥٤- تفيد فضل إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، حيث قاما برفع هذه القواعد.

٤١٥٥- تفيد شرف تعلم المهن والصناعات لخدمة دين الله تعالى، فإن رفع القواعد، وبناء البيت يحتاج لتعلم سابق، أو تعليم رباني.

٤١٥٦- تفيد فضل البيت العتيق الذي كلف الخليل إبراهيم برفع قواعده، والقيام بتطهيره بمعاونة ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

٤١٥٧- تفيد أن من إحكام البناء أن يؤسس على قواعد ثابتة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾؛ وإذا بني على غير قاعدة فإنه ينهار.

٤١٥٨- تفيد إشارة إلى رفعة المساجد ماديا بالبناء المرتفع المميز عن البيوت والمنازل، ورفعتها معنويا بنظافتها وتطهيرها وصونها من كل دنس.

٤١٥٩- تفيد أن نجاح المشاريع الجبارة والنوعية لا يشترط لها توفر الأموال العظيمة والأيادي العاملة الكثيرة، بل يكفي للنجاح في تلك المشاريع همة أصحابها ولو كان واحدا أو اثنان، ما دام فيها إخلاص العمل لله تعالى، والتفاني في خدمة دينه.

٤١٦٠- تفيد بإشارة خفية أنه ينبغي لمن يصف الأحداث العظيمة والمشاريع الجبارة وأصحابها أن يلمح في وصفه إلى وجود التفاوت الحاصل في الأعمال بين صاحب المشاريع والمعاونين لهم، ففي هذه الآية لم يقل سبحانه وتعالى: [وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت]، في إشارة إلى ما ذكر، لأن عمل الأب وإنجازاته في هذا المشروع ليس مثل عمل الابن المعاون، ويؤيده قوله ﷺ: «أنزلوا الناس منازلهم».

٤١٦١- تفيد استحباب المعاونة في أفعال الخير والصلاح، والبر والتقوى.

٤١٦٢- تفيد فضل الذرية الصالحة وأثرها في تحقيق مقاصد الرجل الصالح.

٤١٦٣- تفيد أن العمل الصالح يحصل بالمشاركة ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾مع أن إبراهيم عليه السلام هو الأصل في العمل بدليل إسناد رفع القواعد إليه عليه السلام.

٤١٦٤- تفيد إظهارا لرقة قلبي النبيين الكريمين عليهما السلام ووجلهما، حيث يتشرفان بطاعة أمر باريهما ببناء بيته، وهما مشفقان ألا يُتقبل منهما.

٤١٦٥- تفيد فقه إبراهيم عليه السلام العالي من خلال دعاء الله تعالى القبول؛ وذلك لأن المدار في الحقيقة عليه؛ وليس على العمل؛ فكم من إنسان عمل أعمالًا كثيرة وليس له من عمله إلا التعب، فلم تنفعه؛ وكم من إنسان عمل أعمالًا قليلة قبلت فنفعه الله بها؛ ولهذا جاء في الحديث: «رب صائم حظه من صيامه الجوع، والظمأ؛ ورب قائم حظه من قيامه السهر».

٤١٦٦- تفيد فضل الدعاء أثناء العمل الصالح، وهو من مظان الإجابة.

٤١٦٧- تفيد بيان حالة المؤمن مع العمل من الخوف والرجاء، وأنه يخاف بعد فعله للخير ألا يقبل منه ذلك العمل لذلك يدعو الله عزوجل أن يتقبل منه عمله.

٤١٦٨- تفيد أنه ينبغي لأصحاب المشاريع العظيمة أن يتواضعوا لله عز وجل، ويعترفوا بتقصيرهم، ويتجنبوا الغرور وحظ النفس المصاحبين لتلك المشاريع، وأن يبتهلوا إلى الله تعالى في قبول أعمالهم.

٤١٦٩- تفيد أن المؤمن يدعو الله أن يتقبل عمله، مهما كان عمله عظيما في مكانه وزمانه وحاله.

٤١٧٠- تفيد أنه ينبغي للعبد أن يتقن أعماله الصالحة، ويستحضر عند أداء تلك الأعمال مراقبة الله تعالى، فهو سبحانه وتعالى السميع لأقواله، العليم بأفعاله.

٤١٧١- تفيد أن الدعاء بعد إتمام العمل العظيم وفي أثنائه من أوقات تحري الإجابة.

٤١٧٢- تفيد استحباب الدعاء باسم «الرب»؛ لأن إجابة الدعاء من شأن الربوبية؛ لأنها خَلْق، وإيجاد.

٤١٧٣- تفيد الثناء على الله، والتوسل إليه سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته المناسبة لما يدعو به؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

٤١٧٤- تفيد إثبات اسمين من أسماء الله؛ وهما ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾؛ وكل اسم من أسماء الله يدل على صفة من صفاته.

٤١٧٥- تفيد إثبات السمع لله ﷻ؛ وينقسم السمع إلى قسمين: سمع بمعنى سماع الأصوات؛ وسمع بمعنى الإجابة؛ فمثال الأول قوله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقوله تعالى:﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[المجادلة: ١]؛ ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[إبراهيم: ٣٩] أي: مستجيب الدعاء.

٤١٧٦- تفيد إثبات العلم لله ـ تبارك وتعالى ـ جملةً، وتفصيلًا؛ موجودًا، أو معدومًا؛ ممكنًا، أو واجبًا، أو مستحيلًا؛ مثال علمه بالجملة: قوله تعالى: ﴿لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[طه: ٩٨]، ومثال علمه بالتفصيل: قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ ومثال علمه بالموجود: ما أخبر الله به عن علمه بما كان، مثل قول الله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة: ١٨٧]؛ ومثال علمه بالمعدوم الذي قد وجد: ما علمه الله من أحوال الماضين؛ ومثال علمه بالمعدوم الذي لم يوجد بعد: ما علمه اللهﷻ من أحوال القيامة، ومآل الخلق؛ ومثال علمه بالممكن: ما علمه الله ﷻ من الحوادث الواقعة من الإنسان؛ ومثال علمه بالواجب: ما علمه الله ﷻ من كمال صفاته؛ ومثال علمه بالمستحيل: قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: ٢٢]. منقول

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨].

٤١٧٧- تفيد مناسبة لما قبلها حيث جاءت في سياق تأسيس بلد التوحيد والتعريف بحقيقة من ينتمون إلى إبراهيم عليه السلام، وحرص النبيَّيْن الكريمين على دوام طاعتهما لمولاهما، والشعور بالتقصير وعدم الركون إلى ما قدماه.

٤١٧٨- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكرت الآية السابقة إنجاز النبيين الكريمين إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- لمشروع بناء البيت ورفع قواعده وأسسه، أشارت هذه الآية إلى التفاتهما -عليهما السلام- لمشروع آخر أصعب من ذلك المشروع السابق، وهو بناء الدولة الإسلامية الوليدة في البلد الحرام، وتأسيس وتقعيد دستورها القائم على الاستسلام لله تعالى في كل شئون الحياة ﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، والتلقي من مصدر الوحي الإلهي ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾.

٤١٧٩- تفيد مع ما قبلها أن بناء المساجد ينبغي أن يترافق ويتواكب مع بناء الساجد، إذ إن بناء الساجد وتأسيسه من أصعب مراحل البناء والتأسيس، ولهذا استشعر النبيان الكريمان صعوبة ذلك فسألا الله تعالى العون والتوفيق.

٤١٨٠- تفيد مع ما قبلها أن قوة تدين الشعوب مستمد من قوة تدين الإمام ومعاونيه، فكلما كانت نسبة التدين في ثبات وازدياد عند الإمام ومعاونيه ومستشاريه كلما كانت الشعوب على نسبة عالية من التدين، ومن هنا قد تظهر لنا بعض الدلالات في سبب دعوة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام- بأن يجعلهم الله مسلمين له بالرغم من كونهما مسلمين.

٤١٨١- تفيد مع ما قبلها أن على إمام المسلمين ومعاونيه استشراف المستقبل، وبذل الجهد في استمرار الأجيال اللاحقة على دين الإسلام [دعاء وعملا].

٤١٨٢- تفيد استحباب ابتداء واستفتاح الدعاء بذكر اسم من أسماء الله أو صفاته أو أفعاله.

٤١٨٣- تفيد أن اسم [الرب] فيه مزيد تودد، كما أن فيه استجلاب للحنو والعطف من الخالق سبحانه.

٤١٨٤- تفيد حرص النبيين الكريمين على الثبات على طاعة الله سبحانه وتعالى.

٤١٨٥- تفيد أن العبد مهما بلغ من العبودية فهو مفتقر لهدايتي البيان والتوفيق.

٤١٨٦- تفيد أن أولى الناس بدعاء العبد هم: نفسه وأصوله وفروعه.

٤١٨٧- تفيد أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعا، ومنهم الخليل وابنه عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٤١٨٨- تفيد أن من أراد صلاح ذريته استعان على ذلك بكثرة الدعاء.

٤١٨٩- تفيد فقه النبيين الكريمين إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- حيث علما الحكمة الإلهية التي تقتضي عدم اتفاق الكل على الإقبال على الله والتسليم له، فخصا بالدعاء بعض ذريتهم، وفي هذا دلالة على ما تقدمت الإشارة إليه من أنه ينبغي عدم الاعتداء في الدعاء، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤].

٤١٩٠- تفيد أهمية دعاء الوالد لولده وذريته بأن يكون من أهل الحق الذين يفوزون برضوان الله تعالى.

٤١٩١- تفيد أهمية أن يكون المسلم مع الجماعة؛ ليكون أقوى بإخوانه ويتواصون جميعا على الثبات.

٤١٩٢- يفيد اقتصار النبيين الكريمين على الدعاء لذريتهما إشارة خفية إلى أن صلاح ذريتهما والتزامهم بدين الإسلام فيه صلاح للأرض، ولهذا فإن صلاح الشعوب العربية والتزامهم بدينهم فيه صلاح لجميع شعوب الأرض، ولا أدل على ذلك من رسالة خاتم المرسلين سولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، حيث أشرقت البلاد بنور رسالته، وصلح العباد بتعاليم دينه.

٤١٩٣- تفيد أن الأمة التي دعا لها النبيان الكريمان هي أمة محمد ﷺ؛ لأنه لا يصدق على أحد أنه من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلا أمة محمد ﷺ؛ لأن اليهود، والنصارى ليسوا من بني إسماعيل؛ بل من بني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

٤١٩٤- تفيد أهمية الإخلاص لله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾فقوله: ﴿لَكَ﴾ تدل على إخلاص الإسلام لله ﷻ كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[البقرة: ١١٢].

٤١٩٥- تفيد تحريم التعبد لله بما لم يشرعه؛ لأنهما -عليهما السلام- دعوا الله ﷻ أن يريهما مناسكهما؛ فلولا أن العبادة تتوقف على ذلك لتعبدا بدون هذا السؤال.

٤١٩٦- يفيد ذكر الرؤية في قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾دون قوله: [وعلمنا مناسكنا]، أن بعض مناسك الدين لا تدرك دقة صحتها إلا بالرؤية البصرية، ولهذا أمّ جبريل عليه السلام نبينا محمدا ﷺ عند البيت ليريه ويعلمه كيفية الصلاة ومواقيتها، ولهذا أيضا قال ﷺ لأصحابه: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ولم يقبض عليه الصلاة والسلام إلا بعد أن حج بأصحابي ورأوا منه جميع المناسك، وقال ﷺ: «خذوا عني مناسككم».

٤١٩٧- تفيد بإشارة أن أقوى طرق التعليم هي التعليم بالمشاهدة والرؤية البصرية.

٤١٩٨- تفيد أن لكل أناس منسكًا هم ناسكوه، وأن لكل عبد ما يناسبه من العبادات خبيئة بينه وبين ربه.

٤١٩٩- يفيد قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾براعة استهلال وروعة تمهيد للآيات الواردة في هذه السورة والمتعلقة بتعليم هذه الأمة - التي هي أولى الناس بابراهيم عليه السلام- لمناسك حجهم، ففي ذكر آيات الحج في هذه السورة ايماء وتلميح لاستجابة الله لدعوة هذين النبيين الكريمين.

٤٢٠٠- تفيد أنه ينبغي أن تكون الأسماء الحسنى المتوسل بها مناسبة لمادة السؤال ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٤٢٠١- تفيد أهمية الشعور بالتقصير، والعمل على دوام تجديد التوبة لله سبحانه وطلبها منه.

٤٢٠٢- يفيد ذكر التوبة بعد المناسك -المتبادر منه مناسك الحج- إشارة لطيفة إلى أن شعيرة الحج ومناسكه من أعظم مواطن التوبة، فدعوة النبيين الكريمين أن يتوب الله عليهم بعد رؤيتهم

لمناسكهم إشارة إلى ذلك، ويؤيده بعض ما جاء في آيات الحج التي درسنا هداياتها، وقوله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

٤٢٠٣- تفيد أن اقتران الدعاء بالعمل الصالح من أسباب الإجابة بإذن الله.

٤٢٠٤- تفيد أن على العبد ألا يغتر بعمله، بل يجب عليه الانكسار لله والرجوع إليه بالتوبة حتى يتقبل منه.

٤٢٠٥- تفيد أن الله تعالى لا يمل من كثرة توبة عباده ورحمتهم.

٤٢٠٦- تفيد أن الداعية لا ينحصر همه في نجاة نفسه وإنما أيضا من حوله من الناس.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩].

*** ذكرت أجزاء من هذه الآية الكريمة في عدد من المواضع، الموضع الثاني في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة:١٥١]. الموضع الثالث: في سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران: ١٦٤]. الموضع الرابع: في سورة الجمعة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة: ٢].

٤٢٠٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكرت الآية السابقة دعاء النبيين الكريمين لنفسيهما ولذريتهما بالتسليم والانقياد والإخلاص لله تعالى ذكرت هذه الآية دعاءهما لذريتهما بتشريفها ببعث رسول آخر الزمان من بينهم.

٤٢٠٨- تفيد مع ما قبلها أن على الإمام ومعاونيه أن تكون لهم رؤية بعيدة لاستشراف المستقبل، والاهتمام بالأجيال اللاحقة، وخاصة فيما يتعلق بشؤونهم الدينية، وأن يسعوا إلى ما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم قبل وجودهم في هذه الحياة.

٤٢٠٩- تفيد مع ما قبلها أهمية وجود مجددين لدين الإسلام، حيث استشعر هذان النبيان الكريمان خطورة اندثار تعاليم دينهما فدعوا الله ﷻ بأن يبعث لأمتهم ولذريتهم من يجدد لهم دين الإسلام، وقد استجاب الله لهما ذلك، كما أن نبينا محمدا ﷺ أخبر بأن الله ﷻ سيبعث لأمته كل مائة سنة من يجدد لها دينها.

٤٢١٠- تفيد مع ما قبلها شفقة الأنبياء على أمتهم، والآباء على ذرياتهم، ويظهر ذلك من خلال معرفة أن النبيين الكريمين استرسلا في الدعاء لأمتهما ولذريتهما أكثر من الدعاء لنفسيهما.

٤٢١١- تفيد مع ما قبلها أهمية أن يجمع العبد في دعائه لما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، حيث نلحظ في دعوات الخليل وإسماعيل -عليهما السلام- الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، ومتطلبات الجسد والروح، فكان أول دعائهما الدعاء بالأمن والرزق، ثم بقبول العمل والإنعام عليهما بدوام الإسلام لهما ولذريتهما، وختام ذلك ما تضمنته هذه الآية من تطهير الروح بأنوار الرسالة المحمدية الخاتمة.

٤٢١٢- يفيد التقرب إلى الله بدعائه باسم الرب، وهذا هو هدي الأنبياء عليهم السلام.

٤٢١٣- يفيد ذكر دعاء هذين النبيين الكريمين استنزالًا لطائر نفوس كفار العرب، وعنادهم، وأن بعثة محمد ﷺ ما هي إلا استجابة لدعوة جدين نبيين كريمين من أجدادهم.

٤٢١٤- تفيد تكريما للعرب بكون نبي الرحمة، النبي الخاتم منهم.

٤٢١٥- تفيد أن الحياة الحقيقية في الكون تتحقق بالوحي الذي ينزل من السماء.

٤٢١٦- يفيد التعبير بقوله: ﴿فِيهِمْ﴾ دون قوله: [لهم] دلالة على عموم بعثة الرسول الكريم ﷺ، وأنه لم يكون مرسولًا إليهم فقط، ولهذا حذف متعلق رسولا ليعم، كما أن في الظرفية أيضا معنى الملازمة، أي: رسولا كائنا فيهم لا يفارقهم، وليس مارا بهم، كما يمر المرسل بمقالة يبلغها إلى القوم ويغادرهم، وفي هذا إشارة لطيفة إلى استشعار هذين النبيين الكريمين إلى أهمية كينونة هذا النبي الكريم فيهم لكونه أمانًا لهم من العذاب؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

٤٢١٧- يفيد التعبير بقوله: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ دلالة على أن كون الرسول منهم أقرب إلى قبول دعوته، وأيضا أعرف بعاداتهم وتقاليدهم، وأكثر بيانًا بلسان قومه، وفي هذا مزيد حرص النبيين الكريمين على قبول أمتهم دعوة الرسول المبعوث إليهم.

٤٢١٨- تفيد تعظيمًا لشأن الآيات لأنها كلام الله فهي تتلى عليهم.

٤٢١٩- يفيد تسمية القرآن [كتابا] من جهة كونه مشتملا على الأحكام المكتوبة، و[حكمة] من جهة اشتماله على حكمة الشرائع من العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة.

٤٢٢٠- يفيد إعادة ذكر القرآن الكريم مقرونًا مع الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[البقرة: ١٢٩] مع تقدمه فيما سبق في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾[آل عمران: ١٦٤] للدلالة على أنه لا سبيل إلى معرفة الآيات التي هي القرآن إلا من قبل النبي ﷺ بتعليمه إياه للمؤمنين، وأن تعليمه على قسمين: أحدها: تعليم تلاوته كما أنزل، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾. والثاني: تعليم تفسيره ومعانيه التي يشملها علم القرآن، وأشير إليه بقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

٤٢٢١- تفيد تعظيما لشأن النبي محمد ﷺ وعلو منزلته ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾.

٤٢٢٢- تفيد تكريما وتعظيما لشأن الكتاب الذي سيكون مصدر علومهم وثقافتهم.

٤٢٢٣- تفيد علو منزلة السنة وبيان حجيتها، حيث تأتي بعد القرآن الكريم.

٤٢٢٤- تفيد مكانة التزكية في الإسلام، وهي ثمرة العلم النافع والعمل الصالح.

٤٢٢٥- تفيد أن الغاية من العلم هو تزكية النفس.

٤٢٢٦- يفيد تأخير التزكية ههنا وتقديمها في شبيهاتها الأخرى إشارة إلى أن الداعي قد يدعو ربه وفق المعطيات والتصورات التي لديه في حينه، ولكن استجابة الله تعالى لذلك الدعاء يكون وفق حكمته وعلمه بمصلحة عبده عند تحققها في حينها.

٤٢٢٧- يفيد تقدم التخلية بالتطهير بعد التلاوة، لتتحقق التحلية بالعلم النافع من الكتاب والسنة. والله أعلم.

٤٢٢٨- تفيد أن قضية التزكية شغلت حيزا كبيرا من اهتمامات الأنبياء والرسل، حتى ظهر ذلك من خلال أدعيتهم.

٤٢٢٩- تفيد مع ما في سورة الجمعة من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾[الجمعة:٢]. أن أدعية العباد قد تتأخر استجابة الله لها لفترة زمنية لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، إلا أنها تكون محفوظة عنده، فدعوة هذين النبيين الكريمين انطلقت من وراء الغيب، ومن وراء القرون، وكانت محفوظة عند الله فلم تضع، حتى جاء موعدها المقدر في علم الله، وفق حكمته وتدبيره؛ لتتحقق في وقتها المناسب، وتؤدي دورها في الكون، فتحققت دعوة هذين النبيين الكريمين بنصها وألفاظها كما ذكر في سورة الجمعة، حيث قال تعالى هناك: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[الجمعة: ٢]. وعلى هذا فإن على العبد المؤمن الداعي ألا يستعجل في تحقق واستجابة الله لدعوته، وليعلم يقينًا أنه يدعوا ربًا سميعًا قريبًا يجيب دعوة الداع إذا دعاه.

٤٢٣٠- تفيد إثبات اسمين من أسماء الله تعالى: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

٤٢٣١- تفيد أن لأبينا إبراهيم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم- علينا من المعروف والإحسان الشيء الكثير ومن أعظمها أن بعثة نبينا ﷺ كانت إجابة لدعوته عليه السلام، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأوفاه.

٤٢٣٢- تفيد هذه الآية مرجعا لتأصيل مجالس التدارس.

فائدة: خلاصة ما يمكن أن يقال في هذه الآية مع شبيهاتها أن تأخير [التزكية] ههنا روعي فيها تقديم الأهم عند هذين النبيين الكريمين، نظرًا إلى أنهما دعوَا الله فيما سبق أن تكون من ذريتهما أمة مسلمة له، وأما تقديم [التزكية] في غيرها فقد روعي فيها الترتيب الوجودي، نظرا إلى أن من بعث فيهم النبي ﷺ كانوا كفارًا، وقد كان النبي ﷺ يتلوا آيات الله تعالى على المشركين فيسلم منه من يسلم فيتزكى ويتطهر بالإسلام، ثم يقوم بتعليمه الكتاب والحكمة.

** فائدة لمن تختلط عليه هذه الآية مع شبيهاتها أن يتذكر أن هذه الآية تقدم قبلها إسلام الذرية ﴿مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾[البقرة:١٢٨] لهذا أخرت تزكيتهم، وأما في غيرها فقدمت تزكيتهم لاحتياج كفر الذرية إلى تزكية وتطهير.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[البقرة:١٣٠].

٤٢٣٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها حيث جاءت في سياق الرد على المشركين، والتأكيد على أن إبراهيم عليه السلام إمام التوحيد، فمن تبع ملته نجا، ومن خالفه سفه نفسه.

٤٢٣٤- تفيد مع ما قبلها تأكيدا على إمامة إبراهيم عليه السلام.

٤٢٣٥- تفيد ردًا على من ادعى من المشركين الانتساب لإبراهيم عليه السلام وأنه من أتباعه.

٤٢٣٦- تفيد ضلال اليهود والنصارى، وبراءة نبي الله إبراهيم عليه السلام والنبيين من ذريته من كفرهم وشركهم، وبطلان انتسابهم إليهم.

٤٢٣٧- تفيد أن ملة التوحيد والإسلام ملة واحدة، كما أن ملة الكفر ملة واحدة.

٤٢٣٨- تفيد بيان مكانة وقدر النبي الكريم إبراهيم عليه السلام واصطفائه ومكانة ملته بين الملل.

٤٢٣٩- تفيد تكريما لإبراهيم عليه السلام بجعله إمامًا لجميع الموحدين، أهل العقل والفهم الصحيح.

٤٢٤٠- تفيد مزية لإبراهيم عليه السلام حيث عمل بموجب هذه النعمة نعمة الاصطفاء، وقام بشكرها، فآلت به إلى الصلاح في الآخرة.

٤٢٤١- تفيد وجوب التدين بدين إبراهيم عليه السلام إلا ما استثني في استغفاره لأبيه.

٤٢٤٢- تفيد أن الفعل ﴿يَرۡغَبُ﴾من الأفعال التي تتغير معانيها بتغير حرف الجر الآتي بعدها ف ﴿يَرۡغَبُ عَن﴾، عكسها تماما [يرغب في].

٤٢٤٣- تفيد بيان حقيقة السفه، وأن كل من رغب عن الحنيفية السمحة فهو سفيه.

٤٢٤٤- تفيد أن السفهاء أزهد الناس في العبادة والطاعات.

٤٢٤٥- تفيد بيان أن من خالف الحق ولم يعرف مصلحة نفسه فقد فارق عقله وعد من السفهاء.

٤٢٤٦- تفيد أن من لم يلتزم بالكتاب والسنة فهو سفيه.

٤٢٤٧- تفيد أن ضلال العبد إنما يرجع ضرره على نفسه.

٤٢٤٨- تفيد أن النبوة اصطفاء ومنحة ربانية وليست مكتسبة كما يدعيه الفلاسفة وأتباعهم.

٤٢٤٩- تفيد أن أثر الداعية يكون على قدر الإخلاص والثبات.

٤٢٥٠- تفيد أن في الآية استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام التي حكاها الله تعالى عنه في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣].

٤٢٥١- تفيد تكريمًا لأهل الصلاح في الآخرة.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:١٣١].

٤٢٥٢- تفيد مناسبة لما قبلها حيث جاءت في سياق الرد على المشركين، والتأكيد على أن إبراهيم عليه السلام إمام التوحيد وملة الإسلام، وقد استجاب لأمر ربه وعمل بالتكاليف وأسلم لرب العالمين.

٤٢٥٣- تفيد مع ما قبلها أن سرعة الاستجابة لأوامر الله هي سمة الإمام، ومن جعله الله أمة.

٤٢٥٤- تفيد المدح والثناء لمن أسلم لله واتبع ملة التوحيد.

٤٢٥٥- تفيد بيان سر تمييز شخصية الخليل عليه السلام.

٤٢٥٦- تفيد تأكيدا على تكريم نبي الله إبراهيم عليه السلام.

٤٢٥٧- تفيد أن التكريم مرده إلى الطاعة المطلقة منه عليه السلام لأمر ربه.

٤٢٥٨- تفيد مزيد لطف وتودد منه سبحانه بذكر لفظ ﴿رَبُّهُ﴾ففيها كل معاني العناية والرعاية.

٤٢٥٩- تفيد التودد إليه سبحانه بدلالة ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٤٢٦٠- تفيد أن الدين عند الله الإسلام.

٤٢٦١- تفيد سرعة استجابة الأنبياء لأمر ربهم، وإبراهيم عليه السلام أوضح مثال على ذلك.

٤٢٦٢- تفيد أن العالمين مربوبون له سبحانه، وجميعهم مطالبون بالاستسلام له وطاعته.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢].

٤٢٦٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكرت الآية السابقة دين إبراهيم عليه السلام وأنه كان دين الإسلام ذكرت هذه الآية أن جميع أبنائه وأحفاده مقرون بدين الإسلام، وأن جميعهم مسلمون، وفي هذا دلالة على بطلان ما عليه المتعنتون من اليهودية والنصرانية، وتبرأة لخليله إبراهيم عليه السلام والأنبياء من بعده على وجه أوجب القطع بأن هؤلاء اليهود والنصارى عالمون ببطلان ما هم عليه.

٤٢٦٤- تفيد مع ما قبلها أن العبد ينبغي أن يكمل ويوصي نفسه قبل أن يكمل ويوصي غيره، فإبراهيم عليه السلام أكمل نفسه في الآية السابقة ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] وأكمل غيره من أبنائه بتوصيتهم بالإسلام في هذه الآية.

٤٢٦٥- تفيد مع ما قبلها أن العبد ينبغي أن يبدأ بنفسه بالإصلاح ثم بالأقرب فالأقرب.

٤٢٦٦- تفيد مع ما قبلها أن إمام المسلمين ينبغي أن يوصي لمن يخلفه على إمامة المسلمين، فإبراهيم عليه السلام كان إماما، وأوصى بنيه الذين يخلفونه على الإمامة.

٤٢٦٧- يفيد التعبير بالوصية ههنا دون الأمر أو العهد إشعارا بأن هذه المقولة قالها خليل الله إبراهيم عليه السلام عند توقع الموت، كما تشعر به الآية الآتية: ﴿إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ﴾[البقرة: ١٣٣].

٤٢٦٨- تفيد أن وصايا الأنبياء من أعظم ما يتحقق به الفلاح في الدنيا والآخرة.

٤٢٦٩- تفيد أن الموت حق، وأنه لم يسلم منه الأنبياء والصالحون ومن دونهم، وأن على العبد أن يستحضر هذا اليوم الذي سيحل فيه الموت، وأن يكون على استعداد له، لأن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

٤٢٧٠- تفيد أن الأنبياء والدعاة يمضون في دعوتهم حتى آخر لحظات حياتهم، ويبثون رسائلهم ووصاياهم الدينية حتى تلفظ أنفاسهم.

٤٢٧١- تفيد أهمية تعاهد الأب أولاده بالتربية إلى أن يموت.

٤٢٧٢- تفيد بيان فضيلة الوصية للأبناء باتباع الحق والثبات عليه.

٤٢٧٣- تفيد بإشارة إلى أهمية المساواة بين الأبناء في الوصية.

٤٢٧٤- تفيد أهمية الحرص على الأبناء والاهتمام بمستقبلهم الحقيقي.

٤٢٧٥- تفيد أن إبراهيم عليه السلام كان له أبناء غير إسماعيل وإسحاق على ما تفيده كلمة ﴿لِبَنِيهِ﴾ وكلمة ﴿يَٰبَنِيَّ﴾من الجمع.

٤٢٧٦- تفيد أن جميع أبناء إبراهيم عليه السلام عاشوا على الإسلام وماتوا عليه.

٤٢٧٧-تفيد أهمية التودد إلى الأبناء بندائهم بما يرقق قلوبهم ويدعوهم الى الاستجابة والاذعان لطلب آبائهم.

٤٢٧٨- تفيد أهمية الثبات على الدين في جميع الأوقات والأزمان، والوصية جاءت من نبي كريم تعرض لألوان من البلاءات فصبر عليها، وثبت على دينه حتى لقي الله تعالى.

٤٢٧٩- تفيد أن توحيد الله والانقياد له، هو أصل الدين الذي به سبق المرسلون، فهذا أبو الأنبياء يوصي الأنبياء من أبنائه به.

٤٢٨٠- تفيد أن وصايا الأنبياء أبناءهم وأتباعهم واحدة وأنهم لم يخصوا أبناءهم دون الناس بشيء من أمر الدين.

٤٢٨١- تفيد الرد على أهل الكتاب الذين قالوا إن إبراهيم عليه السلام ومن بعده من أبنائه كانوا هودا أو نصارى.

٤٢٨٢- تفيد أن الوصية لا تكون في المال والعرض فقط وإنما في الدين والعقيدة، بل هذا هو الأهم.

٤٢٨٣- تفيد أن هذه الوصية أيضا أوصى الله بها أمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

٤٢٨٤- تفيد أن الله سبحانه وتعالى اختار لعباده من الدين ما هو أقوم بمصالحهم؛ لقوله تعالى: ﴿ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾[البقرة: ١٣٢] فلولا أنه أقوم ما يقوم بمصالح العباد ما اختاره الله سبحانه وتعالى لعباده.

٤٢٨٥- تفيد أنه ينبغي للعبد أن يتعاهد نفسه دائما حتى لا يأتيه الموت وهو غافل؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

٤٢٨٦- يفيد نسبة النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام إشارة لطيفة إلى أن موتهم على خلاف الإسلام موت لا خير فيه؛ وأن حقه ألا يحل بهم؛ وأنه يجب أن يحذروه غاية الحذر.

٤٢٨٧- تفيد أن العبد مهما أوتي من علم وتقوى وصلاح عليه أن لا يأمن مكر الله، وأن يكون على خوف ووجل من تقلب حاله، وأن يدعو الله ﷻ أن يثبت قلبه على دينه، فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك حتى نلقاك وأنت راض عنا غير غضبان.

٤٢٨٨- تفيد أن الأعمال بالخواتيم؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٣].

٤٢٨٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكرت الآية السابقة وصية إبراهيم عليه السلام لبنيه أشارت هذه الآية إلى وصية يعقوب عليه السلام لبنيه في إشارة واضحة إلى ما يصاحب الآباء الصالحين ويشعرون به من القلق والهم تجاه مستقبل أبنائهم بعد موتهم، وحرصهم على صلاح أبنائهم واستمرارهم في عبودية الله تعالى.

٤٢٩٠- تفيد هذه الآية وما قبلها ردا على اليهود والنصارى الذين ادعوا أن إبراهيم عليه السلام ومن بعده من أبنائه أنهم كانوا هودا أو نصارى.

٤٢٩١- تفيد هذه الآية والتي قبلها أن اقتصار هذين الأبوين الكريمين في وصيتهما لأبنائهما على عبودية الله تعالى إشارة لطيفة لمن نور الله بصيرته بهدايات القرآن الكريم أن كل الوصايا دون عبودية الله تعالى تضمحل وتختفي، وأن لزوم هؤلاء الأبناء عبودية الله تعالى يطمئن الآباء الصالحين أن أبناءهم ما داموا لن يضيعوا عبودية الله تعالى، فإن الله ﷻ لن يضيعهم في جميع شؤون حياتهم.

٤٢٩٢- تفيد هذه الآية والتي قبلها براعة استهلال وروعة تمهيد لإبطال دعوى ومقولة اليهود والنصارى في الآيات التالية حيث قالوا: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[البقرة: ١٤٠].

٤٢٩٣- تفيد أهمية استخدام أقوى الأساليب وأبلغها في الرد على المفترين وأهل الباطل، ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾[البقرة: ١٣٣].

٤٢٩٤- تفيد بيان أسلوب من أساليب الجدال في إبطال دعوى الخصم من خلال الاستدراج في إبطال الدعوى بإدخال الشك على مدعيها.

٤٢٩٥- يفيد التعبير بقوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾[البقرة: ١٣٣] دون قوله: [أم كنتم شهداء إذ قال يعقوب لبنيه عند الموت]، دلالة على قصد استقلال خبر الموت وأهمية هذه القصة؛ لأن حالة حضور الموت لا تخلو من حدث هام سيحكى بعدها فيترقبه السامع، وفيه إشارة إلى أن على العبد أن يستحضر هذه الحالة.

٤٢٩٦- تفيد أن الموت يحضر للإنسان، وأن له علامات في الغالب يعرف بها الإنسان الفطن دنو أجله، فينبغي عليه أن يستغله في توصية أبنائه وأقربائه ومن حوله من الناس.

٤٢٩٧- تفيد أهمية الوصية عند الموت لكونه وقت التعجيل بالحرص على إبلاغ النصيحة في آخر ما يبقى من كلام الموصي فيكون له رسوخ في نفوس الموصين.

٤٢٩٨- تفيد أهمية العهد الأبوي الأخير للأبناء كأنه الطابع لسجل تربية الأبناء عبر عشرات السنين، وأهم ذلك اطمئنان الأب على صلة أبنائه بربهم الحي القيوم سبحانه القائمة على التوحيد والإخلاص.

٤٢٩٩- تفيد أنه ينبغي على من شهد احتضار العبد أن يُحسن إليه بالكلمة الطيبة بما تطيب به نفسه في تلك اللحظة.

٤٣٠٠- تفيد أهمية رفق الأبناء بالأب وبرهم به، وهو آكد في حال مرضه، وأشد تأكيدا في حال النزع، فيبشرونه بما يسره وتقر عينه به.

٤٣٠١- تفيد أن الثبات عند الموت، والعمل على ترتيب أمور الذرية خاصة في الأمور الدينية من النعم العظيمة التي يكرم الله بها أهل الصلاح.

٤٣٠٢- تفيد إظهارا لحنو الأب تجاه أبنائه وتلطفه معهم، وحرصه على مصلحتهم حتى بعد وفاته، فهم المشروع الأهم في حياته، وهم امتداد لكسبه واستمرار حسناته.

٤٣٠٣- تفيد أن المربي يجب أن يتعاهد أبناءه وتلاميذه ولا يعتمد على فطنتهم وعلمهم.

٤٣٠٤- تفيد أن العبد مهما كان تقيا فإنه يحتاج إلى تذكير.

٤٣٠٥- تفيد أن هذا من الغيب الذي أظهره الله تعالى لنبيه ﷺ.

٤٣٠٦- تفيد أن يعقوب عليه السلام كان قبل موته مهتما بتدريس أبنائه العقيدة الصحيحة خاصة الألوهية وإنما قررهم عليها عند موته.

٤٣٠٧- تفيد منزلة العقيدة وأهميتها في تربية وصلاح الأبناء، فمن أراد أن يطمئن لصلاح بنيه فليهتم بزرع العقيدة الصحيحة في نفوسهم، واهمال هذا الجانب سبب من أعظم أسباب انحراف الأبناء.

٤٣٠٨- تفيد أهمية الأخذ بأسلوب الاستفهام في حوار الأب مع أبنائه، لكونه طريقا إلى معرفة واطلاع ما تنطوي عليه نواياهم، وحتى تكون وصايا الأب لهم وردوده عليهم بقدر إجابتهم لذلك الاستفهام.

٤٣٠٩- يفيد تعريف الذي يعبدونه بطريق الإضافة إلى ضمير أبيهم وآبائه في قوله: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾[البقرة: ١٣٣] دون قولهم: [نعبد الله] إشارة لطيفة إلى أنهم مقتدون بسلفهم، وماضون

في طريق آبائهم وأجدادهم في عبودية الله تعالى، وأنهم لن يبتدعوا شيئا جديدا في عبودية الله تعالى.

٤٣١٠- تفيد أن الجد والعم يدعى أب، وينزل منزلته من حيث التقدير والاحترام، وكذلك الخالة بمنزلة الأم.

٤٣١١- يفيد تقديم ذكر إسماعيل على إسحاق إشارة إلى أن إسماعيل أسن من إسحاق عليهما السلام، وفي ذلك أيضا إشارة إلى أن إسماعيل هو الذبيح دون إسحاق عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٤٣١٢- تفيد إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿إِلَٰهَا وَٰحِدًا﴾.

٤٣١٣- يفيد مجيء الاسمية في قوله ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ إفادة ثبات الوصف لهم ودوامه بعد أن أفادت الجملة الفعلية في قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ معنى التجدد والاستمرار.

٤٣١٤- تفيد أهمية إخلاص الإسلام لله تعالى، حيث قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

٤٣١٥- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع ما قبلها من الآيات فبعد أن تضمنت الآيات السابقة الثناء على إبراهيم وبنيه عليهم السلام والتنويه بشأنهم، والتعريض بمن لم يقتف آثارهم من ذريتهم، وكان في ذلك ما قد ينتحل منه المغرورون -من اليهود والنصارى- عذرا لأنفسهم، فيقولون نحن وإن قصرنا، فإن لنا من فضل آبائنا مسلكا لنجاتنا، ذكرت هذه الآية الكريمة أن الجزاء بالأعمال لا بالاتكال، وبالاكتساب لا بالانتساب.

٤٣١٦- تفيد الإشارة بـ ﴿تِلْكَ﴾ المشعرة بالبعد مع قرب الذكر، دلالة على علو شأن الأمة المذكورة من أنبياء الله تعالى في الإمامة والصلاح -إبراهيم عليه السلام وذريته المذكورين- كما تدل أيضا على الفارق الزمني بينها وبين زمن المخاطبين وهم أمة محمد ﷺ.

٤٣١٧- تفيد أن كل جماعة من الناس تربطهم رابطة معينة كالدين، والمنهج أو الثقافة أو التاريخ، يطلق عليهم أمة.

٤٣١٨- تفيد أن جنس البشر في تجدد إلى يوم القيامة أفرادا وجماعات، فيذهب السابق ويأتي اللاحق.

٤٣١٩- تفيد أن الله تعالى يحصي أعمال الخلق جميعا، أولهم وآخرهم.

٤٣٢٠- تفيد أن الاعتماد على أعمال الآباء لا يجدي شيئا؛ وأن الأبناء لا يثابون على طاعة الآباء بخلاف قول اليهود من أن صلاح آبائهم ينفعهم، لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ...﴾.

٤٣٢١- تفيد أن الإنسان مرهون بعمله؛ وأنه لا أحد يعطى من عمل أحد، ولا يؤخذ منه؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر: ٣٨].

٤٣٢٢- تفيد بطلان قول من يقول: إن الأبناء يعذبون بكفر آبائهم، وكان اليهود يقولون: إنهم يعذبون في النار لكفر آبائهم باتخاذ العجل، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[البقرة: ٨٠] وهي أيام عبادة العجل فبين الله تعالى بطلان ذلك.

٤٣٢٣- تفيد أصلا أصيلا في قضية تحديد المسؤلية نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤] وإن كانت هذه الآية أعم لشمولها لكل مكتسب من الخير والشر، مع أن الخير مقصود أصالة، ولذلك قال: ﴿لَهَا﴾و﴿وَلَكُمْ﴾مع أن آخرها يعم ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾من خير أو شر.

٤٣٢٤- تفيد إثبات السؤال في الآخرة، وأن العبد سوف يسأل في الآخرة عن عمله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ فمنطوق الآية: نفي السؤال عن عمل الغير؛ ومفهومها: ثبوت السؤال عن عمل العامل، وأنه مسؤول عن العمل.

٤٣٢٥- تفيد أن الآخر لا يسأل عن عمل الأول؛ ولكن الأول قد يسأل عن عمل الآخر، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[القصص: ٤١]؛ فقد يكون الأول صاحب بدعة، ويتبع على بدعته؛ فيكون دالا على ضلالة؛ فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

٤٣٢٦- يفيد نفي السؤال عن العمل لكونه أقل أنواع المؤاخذة بالجريمة، فإن المرء يؤخذ بجريمته فيسأل عنها ويعاقب، وقد يسأل المرء عن جريمة غيره ولا يعاقب.

٤٣٢٧- تفيد إثبات عدل الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يؤاخذ أحدا بما لم يعمله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

٤٣٢٨- تفيد بإشارة إلى أنه ينبغي لنا أن نسكت عما جرى بين الصحابة الكرام من الفتن؛ وأن نقول كما قال الله لهؤلاء اليهود: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾وأن نعلم أننا معنيون الآن بأنفسنا؛ وما أجدر أن نتذكر مقولة الخليفة عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- عندما سئل عما جرى بين الصحابة، فقال: « هذه دماء طهر الله سيوفنا منها؛ فنحن نطهر ألسنتنا منها».

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة: ١٣٥].

٤٣٢٩- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآيات السابقة، فبعد أن ذمت الآيات السابقة اليهود والنصارى بالعدول عن تلقي الإسلام الذي شمل خصال الحنيفية بيَّن في هذه الآية كيفية إعراضهم، ومقدار غرورهم بأن حصروا الهدى في اليهودية والنصرانية، وأن كل فريق منهم حصر الهدى في دينه. ووجه الحصر حاصل من جزم ﴿تَهْتَدُوا۟﴾في جواب الأمر، فإنه على تقدير شرط، فيفيد مفهوم الشرط أنَّ من لم يكن يهوديا لا يراه اليهود مهتديا، ومن لم يكن نصرانيا لا يراه النصارى مهتديا أي نفوا الهدى عن متبع ملة إبراهيم وهذا غاية غرورهم.

٤٣٣٠- تفيد مع ما قبلها أن من لم يتمسك بهدي السلف من الأنبياء والصالحين تمسك بالضلالة وأصبح من دعاتها، وأن من أمات سنة وهدى أحيا على يديه بدعة وضلالة.

٤٣٣١- تفيد أن أهل الباطل يماري بعضهم بعضا، وأنهم لا يعرفون الحق إلا بمنظورهم.

٤٣٣٢- تفيد أن اليهود والنصارى وإن كانوا مختلفين فيما بينهم لكن يجمعهم بغض الحنيفية السمحة.

٤٣٣٣- تفيد تأكيدا على خطورة القول الباطل والآثار المترتبة عليه.

٤٣٣٤- تفيد أن أهل الباطل يدعون إلى ضلالهم، ويزعمون أن فيه الخير والفلاح والهدى؛ فقوله: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾فهذه دعوة إلى ضلال؛ وقوله: ﴿تَهۡتَدُواْ﴾ادعاء أن ذلك خير وهداية؛ وقد ورث هذه السنة التي سنَّها اليهود والنصارى، من ضلَّ من هذه الأمة، كأهل البدع الذين ادعوا أنَّهم على حق، وأن من سلك طريقهم فقد اهتدى.

٤٣٣٥- تفيد أن كل داع إلى ضلالة ففيه شبه من اليهود، والنصارى؛ فدعاة السفور والانحلال في عصرنا يقولون: اتركوا المرأة تتحرر؛ أعطوا الحرية للمجتمع؛ دعوهم يفعلوا ما شاءوا ولا تقيدوا حريتهم، وهكذا كل داع إلى ضلالة سوف يطلي ضلالاته بما يغر البليد والسفيه، لهذا فهو شبيه باليهود والنصارى.

٤٣٣٦- تفيد ضرورة الرد على القول الباطل وبيان الحق.

٤٣٣٧- تفيد تأييدا من الله تعالى لنبيه ﷺ بتلقينه الحجة للرد على كفار أهل الكتاب.

٤٣٣٨- تفيد مقابلة الباطل بالحق؛ لقوله تعالى: ﴿بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗا﴾؛ إذ لابد للإنسان من أن يسير على طريق؛ لكن هل هو حق، أو باطل؟! بين الله أن كل ما خالف الحق فهو باطل في قوله تعالى: ﴿بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗا﴾.

٤٣٣٩- تفيد ثناء عظيما على خليل الله إبراهيم عليه السلام من وجوه ثلاثة: أولًا: إمامته؛ ووجهها: أننا أمرنا باتباعه؛ والمتبوع هو الإمام. ثانيا: أنه حنيف؛ والحنيف هو المائل عن كل دين سوى الإسلام. ثالثا: أنه ليس فيه شرك في عمله عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

٤٣٤٠- تفيد ذم الشرك والمشركين.

٤٣٤١- تفيد أن ملة إبراهيم عليه السلام أفضل الملل؛ وهي التوحيد، والحنيفية السمحة.

٤٣٤٢- تفيد أن اليهودية والنصرانية نوع من الشرك؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في مقابل دعوتهم إلى اليهودية والنصرانية يدل على أنهما نوع من الشرك؛ فكل من كفر بالله ففيه نوع من الشرك؛ لكن إن اتخذ إلها فهو شرك حقيقة، وواقعا؛ وإلا فإنه شرك باعتبار اتباع الهوى. قاله ابن عثيمين -رحمه الله-.

قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

٤٣٤٣- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكرت الآية السابقة ردا قوليا على أهل الكتاب أتبعته هذه الآية ردا قوليا وفعليا، في إشارة إلى أنه ينبغي قطع الطريق على الخصم وإبطال حججه بالقول والفعل.

٤٣٤٤- تفيد مع ما قبلها أن الرد على الخصوم من أهل الكتاب وأصحاب البدع والأهواء يكفي أن يصدر من عالم واحد، بخلاف الاتباع فإنه لا بد فيه من قول كل واحد، فعندما قال تعالى في الآية السابقة: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ قال في هذه الآية: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا...﴾.

٤٣٤٥- تفيد مع ما قبلها أن ملة إبراهيم عليه السلام قائمة على الإيمان بجميع ما ذكر في هذه الآية، بخلاف ملة اليهودية والنصرانية.

٤٣٤٦- تفيد مع ما قبلها أن الملة الابراهيمية تجمع بين القول والعمل في الإيمان والإسلام، ويدل على ذلك خاتمة الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾حيث يستسلم قلب المرء لله تبارك وتعالى محبة، وتعظيما، وإجلالا؛ ويستسلم لسانه لما أمره الله سبحانه وتعالى أن يقول؛ وتستسلم جوارحه لما أمره الله تعالى أن يفعل.

٤٣٤٧- تفيد محاججة أصحاب القول الباطل من اليهود والنصارى، وبيان أن المسلمين يؤمنون بالأنبياء عموما وموسى وعيسى عليهما السلام خصوصا وبما جاءهم من الحق.

٤٣٤٨- تفيد مشروعية إعلان المسلم إيمانه بأن يقول ما يعتقد حتى يذكر نفسه ومن حوله بعقيدته.

٤٣٤٩- تفيد أهمية تذكير النفس والتصريح القولي بالاعتقاد لما له من الأثر الكبير في تثبيت الإيمان وتجذيره في القلب.

٤٣٥٠- تفيد تلقين أمة الإسلام الإجابة، وإقامة الحجة على أهل الكتاب وإثبات بطلان ادّعائهم.

٤٣٥١- تفيد ذكرا وبيانا لبعض أركان الإيمان: الإيمان بالله، الإيمان بكتبه، الإيمان برسله.

٤٣٥٢- تفيد وجوب الإيمان بالله تعالى، وما أنزل إلينا... إلى آخر ما ذكر في هذه الآية.

٤٣٥٣- تفيد أن الذين يؤمنون بوجود الله ولكن يشركون معه غيره في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته ليسوا بمؤمنين.

٤٣٥٤- يفيد تقديم الإيمان بالله سبحانه دلالة على أنه أول الواجبات، وأن به يصح الإيمان بما بعد ذلك من قضايا النبوات والشرعيات.

٤٣٥٥- تفيد دليلا لقول أهل السنة والجماعة: «الإيمان قول وعمل» فدل على القول﴿قُولُوٓاْ﴾ ، ودل على العمل ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾من العقائد والشرائع والعبادات. ولكل أمة شريعة.

٤٣٥٦- تفيد دليلا على أنه ينبغي على المسلم أن يقول: أنا مؤمن بالله بدون استثناء.

٤٣٥٧- تفيد وجوب الإيمان بما أوتي النبيون من الآيات الكونية، والآيات الشرعية.

٤٣٥٨- تفيد أن الكتب التي أوتيها الرسل قد نزلت من عند الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ ، ولقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[الحديد:٢٥].

٤٣٥٩- يفيد تقديم الإيمان على ما أنزل إلينا - وإن كان نزوله متأخرا - على الإيمان على ما أنزل إلى الأنبياء من قبل، دلالة على أن ما أنزل إلينا ناسخ ومصدق ومهيمن لما أنزل ما قبل.

٤٣٦٠- يفيد قرن الأسباط مع أنبياء الله تعالى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب دلالة على نبوتهم، وعندي أنه لما كانت دلالة الاقتران من الدلالات الضعيفة في كثير من الأحيان اختلف العلماء كثيرا في هذه المسألة، وهل جميع أولاد يعقوب عليه السلام [الأسباط] كانوا أنبياء، أم أن واحدا منهم هو النبي وهو [يوسف] عليه السلام؟ ومن أراد الاستزادة من هذه المسألة فعليه بالرجوع إلى كتب التفاسير المطولة.

٤٣٦١- تفيد تكريما لسلسلة شريفة، ونسب شريف، امتازوا بالتوحيد ونبذ الشرك.

٤٣٦٢- تفيد أن الرسل ليسوا مستقلين بهذه الآيات؛ فلا يملكون أن يأتوا بهذه الآيات، أو بهذا الوحي؛ فهم يتلقون من الله؛ ولا يستطيع أي رسول منهم أن يأت بآية من عند نفسه. ولهذا لما اقترح المكذبون عدة آيات قال تعالى: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾[الإسراء: ٩٣].

٤٣٦٣- يفيد إفراد ما أوتي موسى وعيسى بالذكر دون إدراجهما في الموصول السابق في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ...﴾، دلالة على الاهتمام بشأنهما، وإشارة إلى أن ما أوتيا منزلان عليهما حقيقة لا باعتبار التعبد فقط، كما في المنزل على إسحاق ويعقوب والأسباط. كما أن عدم إعادة الموصول في عيسى في قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾إشارة إلى عدم مخالفة شريعته لشريعة موسى عليهما السلام، إلا في النزر اليسير.

٤٣٦٤- تفيد أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل على حد سواء في أصل الإيمان؛ وأما الشرائع فلكل منهم جعل الله شرعة ومنهاجا، كما قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾

[المائدة: ٤٨]؛ فنحن مأمورون باتباع شريعة محمد ﷺ التي نسخت جميع الأديان؛ أما في الإيمان بأنهم رسل من عند الله، وأنهم صادقون بما جاءوا به فإنا لا نفرق بين أحد منهم؛ لقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾.

٤٣٦٥- تفيد أن الكفر بنبي واحد هو كفر بجميعهم لقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾.

٤٣٦٦- تفيد منة الله العظمى على أمة الإسلام... فإيمانهم استوعب الإيمان الذي عند باقي الأمم، وهذا من أسباب خيرية هذه الأمة.

٤٣٦٧- تفيد أن الإسلام يؤصل في نفس العبد المؤمن كل معاني التوحيد، فأهل الإسلام ينظرون إلى أن مصدر الرسالات هو الله وحده، كما ينظرون إلى الأنبياء جميعا على أنهم رسل الله وحده، كما ينظرون إلى أن الدين دين الله وحده، وأن الدين عند الله الإسلام.

٤٣٦٨- تفيد وجوب الإخلاص لله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

٤٣٦٩- تفيد أن دين جميع الأنبياء واحد وهو الإسلام. ولا يقبل الله دينا سواه وان اختلفت شرائعهم.

فائدة: لعل بعض أحبتي الحفاظ قد تختلط عليه هذه الآية مع الآية التي في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٨٤]. وذلك من خلال مجيء ﴿أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ في آية البقرة، و﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ في آية آل عمران، وتكرر ﴿أُوتِيَ﴾ في البقرة، وحذفها في آل عمران. ولي في إزالة الخلط بين هاتين الآيتين وقفتان، - وأنا على يقين بأن أحدا منكم ممن كانت تختلط عليه الآيتان- لن تختلطا عليه مرة أخرى بإذن الله تعالى.

الوقفة الأولى: هي وقفة عملية وليست علمية بل ولا قاعدة مطردة، بل هي مهارة من مهارات التفكير للربط بين الأشياء وتذكرها بسرعة، وهي تصلح كثيرا للأطفال الصغار، وهو أن يقال لهم: أن حروف اسم [البقرة] لا يوجد فيها حرف العين، بخلاف حروف [آل عمران] حيث يوجد حرف العين، ولهذا إن كنت تقرأ سورة آل عمران، فاقرأ ﴿عَلَيْنَا﴾.

الوقفة الثانية: هي وقفة علمية وعملية، وهو أن يقال: أنه لما كان الخطاب في هذه الآية موجهًا إلى الأمة جميعا في قوله: ﴿قُولُوٓاْ﴾لم يكن يصلح مجيء [على] في هذه الآية لأنه لم ينزل القرآن الكريم على الأمة حقيقة وإنما أنزل على النبي ﷺ، ولما كان الخطاب في سورة آل عمران موجها إلى النبي ﷺ في قوله: ﴿قُلۡ﴾ناسب مجيء [على] في هذه الآية لكونه أنزل عليه القرآن الكريم حقيقة، فهو منزل إليه منة وكرامة ومنزل عليه حقيقة، والأمة تبع له.

وأما تكرار ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾في سورة البقرة، وحذفها في سورة آل عمران ﴿أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ فينبغي أن نعلم أن السياق كان هو الداعي لذلك، ففي سورة البقرة لم يتقدم ذكر النبيين وذكر ما أوتوا، بخلاف سورة آل عمران حيث تقدم ذكرهم وذكر ما أوتوا في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ...﴾ [آل عمران: ٨١] فناسب حذف ﴿أُوتِيَ﴾من الآية التي بعدها، هذا والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[البقرة: ١٣٧].

٤٣٧٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فإنه لما بينت الآية السابقة طريق الإيمان وكيفيته، وأوضحت أن على العبد المؤمن أن يعترف بنبوة من قامت الدلالة على نبوته، وأن يحترز في ذلك عن المناقضة، رغبت هذه الآية اليهود والنصارى في مثل هذا الإيمان، فقال تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾.

٤٣٧١- تفيد مع ما قبلها أنه ينبغي على العبد المؤمن الاعتزاز بدينه مهما كان المغريات التي يضعها أعداؤه من اليهود والنصارى لإدخال الناس في دينهم، فإنهم بعد أن قالوا: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ﴾[البقرة: ١٣٥] قال تعالى في هذه الآية: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾.

٤٣٧٢- تفيد مع ما قبلها أن المؤمنين على هدى، وأن اليهود والنصارى ليسوا على هدى، وأنهم بخلاف زعمهم في قولهم: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ﴾وأن الهدى الحق هو ما كان عليه أصحاب التوحيد من الإيمان بالله وكتبه وجميع رسله.

٤٣٧٣- يفيد التعبير بإن المفيدة للشك في قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾إشارة إلى أن إيمان هؤلاء اليهود والنصارى لما لهم من الكثافة والغلظة والجلافة غير مرجو وفي غاية البعد.

٤٣٧٤- تفيد تكريما لأمة الإسلام أتباع محمد ﷺ، فهم المثل الأعلى في الهداية والإيمان، والناس لهم تبع، بدلالة: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾.

٤٣٧٥- تفيد وجوب إيمان اليهود والنصارى مثل إيمان النبي ﷺ، وأمته حقيقة، ووصفا.

٤٣٧٦- تفيد أن من خالف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو ضال؛ لأن الله سبحانه وتعالى علق الاهتداء بأن يؤمنوا بمثل ما آمن به الرسول ﷺ وأصحابه.

٤٣٧٧- تفيد الآية وجوب اتباع الصحابة في الفهم والاستدلال لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ فربط الاهتداء بالإيمان بمثل ما آمن به المؤمنون.

٤٣٧٨- تفيد أن الإعراض عن هذا الإيمان هو معاداة للحق ومعاداة لنبي الحق ﷺ، وأنه لا حجة لمن تولى عن شريعة النبي ﷺ إلا الشقاق، والمجادلة بالباطل؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾.

٤٣٧٩- تفيد بطلانا لدعوة أهل الضلال والانحراف الذين يدعون إلى توحيد الأديان؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾فاليهود والنصارى لما لم يؤمنوا صاروا مع المسلمين في شقاق؛ وهذا الشقاق لا بد أن يؤدي إلى عداوة وبغضاء؛ وبالتالي إلى قتال؛ وقد وقع ذلك فيما مضى، حيث قاتل المسلمون اليهود، ثم بعد ذلك قاتلوا النصارى؛ ولا بد من هذا أيضا في المستقبل؛ حين يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبئ اليهودي بالحجر، والشجر فينادي: «يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود».

٤٣٨٠- تفيد أن أكبر أسباب التفرق والاختلاف والشقاق هو التولي عما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾وعليه فلا يمكن تحقيق الجماعة وتوحيد الصف إلا

بالالتزام بالوحي واتباعه، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[القصص: ٥٠].

٤٣٨١- تفيد الوعيد الشديد للمتولين عن شريعة النبي ﷺ؛ لقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

٤٣٨٢- تفيد تسلية للنبي ﷺ وتثبيتا له؛ لأن إعلامه بأن هؤلاء في شقاق مع ما هو معروف من كثرتهم وقوة أنصارهم مما قد يتحرج له السامع فوعده الله بأنه يكفيه شرهم الحاصل من توليهم.

٤٣٨٣- تفيد أن الله ﷻ تكفل لنبيه محمد ﷺ أنهم إذا لم يؤمنوا بمثل ما آمن المؤمنون، وتولوا، فإنه سبحانه وتعالى سيكفيه إياهم عن قرب؛ لقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

٤٣٨٤- يفيد تلوين الخطاب بتجريده للنبي ﷺ مع أنه سبحانه أنجز وعده الكريم بما هو كفاية للكل من قتل بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير لما أنه ﷺ هو الأصل والعمدة في ذلك، وهو مطمح نظر كيد الكافرين، وللإيذان بأن القيام بأمور الحروب وتحمل المشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الأعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصرة في حقه أتم وأكمل. منقول بتصرف.

٤٣٨٥- تفيد معجزة من معجزات القرآن الكريم، حيث أخبرت هذه الآية عن غيب سيحدث، فكان كما أخبرته الآية، حيث لم يتوف الرسول ﷺ حتى أجلى اليهود عن المدينة، وفتح حصونهم في خيبر، وأبقاهم فيها عمالا؛ وفي خلافة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أجلاهم من خيبر؛ فكفى الله المؤمنين شرهم في الماضي، وهو قادر أن يكفيهم شرهم في الحاضر والمستقبل.

٤٣٨٦- تفيد وجوب التوكل على الله تعالى في الدعوة إليه، وفي سائر الأمور؛ لأنه إذا كان وحده سبحانه وتعالى هو الكافي فيجب أن يكون التوكل والاعتماد عليه وحده؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [الطلاق: ٣].

٤٣٨٧- تفيد أن وظيفة الأنبياء والرسل عليهم السلام الدعوة إلى الإيمان والهدى، والله ناصرهم على من خالفهم وأعرض عنهم.

٤٣٨٨- تفيد أن الله يدافع عن الدعاة الثابتين على الحق ويكفيهم كيد أعدائهم.

٤٣٨٩- تفيد إثبات اسمين كريمين من أسماء الله تعالى، وهما ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾، و﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾، وما يتضمنان من الصفات والمعاني العظيمة.

٤٣٩٠- تفيد بإشارة إلى أنه يجب على المرء مراقبة الله سبحانه وتعالى في جميع أقواله؛ لأن الله سبحانه وتعالى سامع لها لا يخفى عليه الصوت مهما خفي؛ بل هو يعلم ﷻ ما توسوس به نفس الإنسان، وإن لم يتكلم به.

٤٣٩١- تفيد مراقبة الله سبحانه وتعالى في السر، والعلن؛ وذلك لأن مقتضى اسمه الكريم: ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾أنه يعلم كل شيء.

فائدة: ذكر في التاريخ أنه لما حاصر الخوارج عثمان بن عفان ﷺ، وقتلوه، سال الدم على هذه الآية، عند قوله تعالى: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

قال تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[البقرة: ١٣٨].

٤٣٩٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها حيث جاءت في سياق محاججة الذين كفروا من أهل الكتاب وبيان كذبهم، والتدليل على بطلان ادعائهم، وإيضاح أن الإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله وأراده للناس، وأراد لهم أن يكون ظاهرا في حياتهم، ويوسموا به.

٤٣٩٣- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع ما قبلها من الآيات، فبعد أن ذكرت الآيات السابقة ردودا على اليهود والنصارى في قولهم:﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾[البقرة:١٣٥] جاءت هذه الآية في سياق هذه الردود حيث أشارت إلى بطلان طريقة يسلكها النصارى إلى يومنا هذا من خلال صبغ الذي يريد الدخول في ديانتهم بماء المعمودية الذي يزعمون أنه يطهر هذا الشخص الذي أصبح نصرانيا من جميع الذنوب والمعاصي، في إشارة واضحة من السياق إلى بطلان ذلك، وبيان أن الدخول في دين الله الإسلام هو الذي يطهر العبد، ويجب ما قبله من الذنوب والمعاصي.

٤٣٩٤- تفيد مع ما قبلها حثا لليهود والنصارى وغيرهم من المشركين في الدخول في الإسلام، وأنه لا يشترط لمن أراد أن يصبح مسلما ويدخل في دين الله تعالى أن يصبغ نفسه بشيء، كما يفعل النصارى مثلا، بل دين الله تعالى يتكفل بصبغهم وتطهيرهم، وعلى هذا فإنه لا أحسن صبغة من أن نصبغ بصبغة دين الله تعالى، ولا أقبح صبغة من انصبغ بغير دينه.

٤٣٩٥- تفيد مع ما قبلها من قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ١٣٧] أن كفاية الله تعالى ونصرته لعباده المؤمنين على أعدائهم من اليهود والنصارى لا تأتي إلا بعد التزام المسلمين بدين الله تعالى والقيام به حق القيام، بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، حتى يكون لهم صبغة في ظاهرهم وباطنهم، وبعد أن يدعوا صبغ أنفسهم وحياتهم بصبغة هؤلاء الأعداء، وما أكثر هذه الصبغات في عصرنا الحاضر التي يصدرونها للمسلمين. ومن هنا قد تظهر للمتأمل والمتدبر لهذه الآية الكريمة بعض الوجوه الدقيقة والإشارات الخفية في لفظة ﴿صِبْغَةَ﴾ومناسبة مجيئها في هذا السياق.

٤٣٩٦- تفيد مع قبلها من قوله: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧] أنه كلما التزم المسلمون واصطبغوا بصبغة هذا الدين كلما ظهر لهم بوضوح شقاق اليهود والنصارى ومجانبتهم لهم، ولهذا فإن كل من يدعو لتقارب أو وحدة الأديان هم أكثر الناس بعدا وانحلالا ومجانبة لصبغة الدين.

٤٣٩٧- تفيد وجوب الالتزام بدين الله تعالى؛ لأن المعنى: الزموا صبغة الله ﷻ.

٤٣٩٨- تفيد أن هذا الدين مصدره الله وحده، وهو سبحانه الذي يحدد للخلق ما يدينون به له، وفي هذا دلالة على أنه حق؛ لأن الله سبحانه وتعالى أضافه إلى نفسه؛ وكل ما يضاف إلى الله ﷻ فإنه حق.

٤٣٩٩- تفيد أن دين الله سبحانه وتعالى أحسن الأديان، وأكملها، وأشملها، وأقومها بمصالح العباد؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾.

٤٤٠٠- تفيد أن العقل السليم والفطرة السوية دائما ما يحثان صاحبهما على التزام الأحسن وأخذ الأفضل؛ ولهذا فإن كل إنسان له عقل سليم وفطرة سوية فإنه بالتأكيد سيأخذ بصبغة الله تعالى لكونها الأحسن والأفضل، لهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾.

٤٤٠١- تفيد بإشارة أنه ينبغي للعبد المسلم أن يبتهج ويفرح بأن صبغه الله بصبغة هذا الدين، وأن يعلم أنه لا صبغة أحسن من صبغته.

٤٤٠٢- تفيد تزكية لأتباع هذا الدين، وذما لمن أعرضوا عنه ولم يحكموه في حياتهم.

٤٤٠٣- تفيد أن الدين يجب أن يظهر على صاحبه، وفي ذلك إشارة إلى أن الدين إيمان باطن وعمل ظاهر.

٤٤٠٤- تفيد أن من أراد من ان ينصبغ بصبغة الدين، فعليه الالتزام بأمرين ذكرتهما الآية في قوله: ﴿لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾وهما: الإخلاص والمتابعة؛ لأن " العبادة " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، ولا تكون كذلك، حتى يشرعها الله على لسان رسوله، والإخلاص: أن يقصد العبد وجه الله وحده في تلك الأعمال، فتقديم المعمول يؤذن بالحصر.

٤٤٠٥- يفيد تقديم الجار والمجرور على عامله في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾تعريضا لليهود والنصارى والمشركين الذين اصطبغوا بصبغة غير صبغة الله، وأن كلهم مشركون في عبادة الله تعالى، فها هم النصارى اصطبغوا بالمعمودية فعبدوا المسيح عليه السلام.

٤٤٠٦- يفيد وصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار في قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾دلالة على اتصافهم بالعبادة، وأن هذه العبادة صارت صبغة ملازمة لهم، ومن هنا تظهر مناسبة فاتحة الآية لخاتمتها.

٤٤٠٧- تفيد بيان خضوع أهل ملة الإسلام لله تعالى والانقياد إليه، وتنفيذ أوامره طواعية، على خلاف الذين ادّعوا الهدى، وهم بالحقيقة عن الحق معرضون، وبالرسالة كافرون، وللرسل مكذبون، فكيف يدعون إلى أمر هم بفتقدون له؟! وفاقد الشيء كيف يعطيه؟!.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾[البقرة: ١٣٩].

٤٤٠٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها، حيث جاءت الآية في سياق محاججة الذين كفروا من أهل الكتاب وبيان كذبهم وبطلان ادّعائهم، فبعد أن أمر الله نبيه محمدا ﷺ بمجادلة ومحاجة خصومه من اليهود والنصارى بقوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾[البقرة: ١٣٥] ثم ما بعد ذلك من إعلام الخصم بالمخالفة الفردية والجماعية، وأن لا موافقة بيننا وبينهم إلا بترك الهوى واتباع الهدى، أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية بمجادلتهم بما يوهي أقوالهم ويزيح شبههم.

٤٤٠٩- تفيد مع ما قبلها أن أهل الشقاق والخلاف لا يهنأ لهم عيش، ولا يهدأ لهم بال، ما دام المؤمنون ملتزمون بصبغة الله تعالى، ومخلصين في عبادته، ولهذا فهم دائما ما يحاولون التشويش عليهم من خلال إثارة الجدال والخلاف والعمل على إقامة الحجج على باطلهم، بدعاوى تفتقر إلى دليل وبرهان.

٤٤١٠- تفيد رفعة وكرامة لشأن النبي الخاتم ﷺ لكونه مبلغا عن ربه، ومجادلا لأهل الشقاق والباطل.

٤٤١١- يفيد صرف الخطاب عن الجماعة وتوجيهه إلى النبي ﷺ دلالة على أن مهمة الرسولﷺ هي الدعوة إلى الله ومجادلة أهل الشقاق والباطل ودحض حججهم وشبههم. وفي ذلك أيضا إشارة إلى أنه ينبغي أن ينهض ويتصدى لجدال أهل الشقاق والباطل أهل العلم الذين هم ورثة النبي ﷺ.

٤٤١٢- تفيد أن التفريق من غير فرق مؤثر تفريق بين متماثلين، وفصل بين متشابهين، وهي دعوى باطلة، ومكابرة ظاهرة.

٤٤١٣- تفيد إرشادا لطيفا لطريق المحاجة، وأن الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين.

٤٤١٤- تفيد نذارة للذين كفروا من أهل الكتاب، وبيانا بأن جدالهم بالباطل، ومحاولة إقامة الحجة على هذا الباطل بالافتراء، إنما هو افتراء على الله سبحانه.

٤٤١٥- تفيد إثبات عدالة الله تعالى، وأن الأعمال لا تعود بالضرر إلا على أصحابها، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها.

٤٤١٦- تفيد أن تفاضل العباد إنما هو بالعمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى.

٤٤١٧- تفيد أن أَوْلى الناس بالله، وأحراهم بكرامته وهدايته، وإنعامه وإفضاله هم المخلصون له، الذين لا يشركون به أحدا، ولا يراؤون بأعمالهم.

٤٤١٨- تفيد أن لكل أحد عمله الخاص به، فإما أن يكون حقا أو يكون باطلا، وذلك بحسب تأدية الأعمال من حيث مشروعيتها والإخلاص فيها.

٤٤١٩- تفيد بإشارة أنه ينبغي للعبد المؤمن أن يفتخر بما هو عليه من الحق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا﴾أي فنحن مفتخرون بها بريئون من أعمالكم.

٤٤٢٠- تفيد أنه لا يجوز التشبه بأعداء الله؛ لأن المشابهة موافقة في العمل؛ لهذا قال النبي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم». وهنا قال تعالى: ﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾أي: فنحن متميزون عنكم، وأنتم متميزون عنا.

٤٤٢١- تفيد وجوب الإخلاص لله لتقديم المعمول في قوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾.

٤٤٢٢- تفيد بإشارة خفية إرشادا لطيفا لمن يتصدى للرد على خصومه، وأن عليه أن يعرف القواسم المشتركة بينه وبين خصومه، وأوجه الترجيح والمفاضلة بينه وبينهم، فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾هو بيان للقواسم المشتركة، وقوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾هو بيان لوجه الترجيح والمفاضلة.

٤٤٢٣- تفيد تعريضا بالذين كفروا من أهل الكتاب، وأنهم أساءوا العمل، وجانبوا الإخلاص، ولهذا تضاعف جرمهم، حيث تعلق بالناحية العملية الظاهرة، كما تعلق بالناحية الإيمانية الباطنة.

٤٤٢٤- تفيد تزكية لأمة الإسلام التي دانت لله بما يريد سبحانه، وأخلصت له وحده بالعبادة، وجانبت كل أشكال الشرك.

٤٤٢٥- تفيد أن غلبة المؤمنين ورجاحتهم على أهل الشقاق والباطل تكون من خلال اجتماعهم على الإخلاص لله ولدينه لقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾فهل يا ترى في عصرنا الحاضر أخلصت الأمة الإسلامية -جميعا وليس أفرادا، على ما تفيده ﴿وَنَحۡنُ﴾- لدين الله؛ لتترجح كفتهم ويتغلبوا على أهل الشقاق والباطل.

فائدة: يلاحظ على هذه الآية وآيتين قبلها تكرر قوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ﴾، وقد تختلط على من يريد حفظها، وقد يخطئ فيها بعض الحفاظ أيضا، ولعل أسهل الطرق لتجنب الوقوع في هذا الخطأ وذاك الخلط بين خواتيم هذه الآيات هو من خلال معرفة السياق القرآني، وروعة ختمه بما يناسبه من خلال سياق موضوعات الآيات. ففي الآية الأولى ههنا كان الحديث عن الإيمان ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾[البقرة: ١٣٦] فناسب أن تكون خاتمة الآية الإسلام؛ لما بين الإيمان والإسلام من الروابط القوية في اللفظ والمعنى، فقال تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٦].

وفي الآية الثانية كان الحديث عن صبغة الله التي هي دينه، فناسب أن تختم الآية بالعبادة، لأن الدين كله عبادة، والعبادة كلها دين، بمفهومها العام، ولهذا قال تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[البقرة: ١٣٨] وفي الآية الثالثة كان الحديث عن الأعمال ﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾فناسب أن تختم الآية بالإخلاص، لما بين العمل والإخلاص من التلاصق والترابط، فقال تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾. وفي هذه التوجيهات الواضحة الظاهرة بخلاف التوجيهات الدقيقة والعميقة يظهر للمتأمل والمتدبر دقة التناسب وروعة التناسق بين مقدمات هذه الآيات وخواتمها، فارجع البصر وأعد النظر أيها المتأمل والمتدبر هل ترى من تنافر بين كلمات القرآن الكريم وجمله وموضوعاته، ومقدمات آياته وخواتمها.

قال تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[البقرة: ١٤٠].

٤٤٢٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها حيث جاءت في سياق محاججة الذين كفروا من أهل الكتاب وبيان كذبهم وبطلان ادّعائهم، وتفنيد مزاعمهم.

٤٤٢٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكرت الآية السابقة احتجاج اليهود والنصارى في الله، ذكرت هذه الآية احتجاجهم في أنبياء الله تعالى، كما قال تعالى في آية سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾[آل عمران: ٦٥] وفي هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات تظهر للمتأمل والمتدبر دقة التناسب اللفظي وروعة التناسب الموضوعي بين سورتي البقرة وآل عمران، ولهذا جمعت لهما في بعض الأحاديث وصفا واحدا، كالزهراوين، وكالغمامتين والغيايتين.

٤٤٢٨- تفيد مع ما قبلها أن من يتصدى للرد على أهل الشقاق والباطل عليه أن يتدرج في مجادلة هؤلاء بالبدء أولا بما يتعلق بالله وبذاته وبصفاته، ثم ينتقل بعد ذلك بما يتعلق بأنبياء الله ورسله، ومن هنا تظهر للمتأمل والمتدبر دقة تناسب وتناسق مجيء هذه الآية بعد الآية السابقة.

٤٤٢٩- تفيد مع ما قبلها أن من حاجك في الله، وافترى عليه كذبا وبهتانا، لا يتورع عن محاجتك في أنبياء الله ورسله، وتلفيق التهم والافتراء حولهم، وعلى من يتعامل مع هؤلاء أن يكون شديد الحذر والحيطة منهم.

٤٤٣٠- تفيد مع ما قبلها أن أهل الشقاق والباطل لا يتورعون عن تسويق باطلهم وتنميق حجتهم بتأكيدات غير صحيحة فقولهم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ...﴾هو تأكيد منهم للقول الباطل بصورة المؤكد الذي لا يقبل النقاش والرد.

٤٤٣١- تفيد مع ما قبلها أن أهل الشقاق والباطل لن يدخروا وسعا ولن يألوا جهدا في مواصلة الاحتجاج على باطلهم بدعاوى تفتقر إلى دليل وبرهان.

٤٤٣٢- تفيد تحذيرا متجددا من خطورة القول إذا كان قائله من أهل الافتراء والكذب.

٤٤٣٣- تفيد تأكيدا على ضرورة الرد على أهل الباطل وتفنيد مزاعمهم، حتى لا يلتبس الحق بالباطل.

٤٤٣٤- تفيد تكليفا لنبي الهدى ﷺ بالرد على أهل الكتاب، وعلى مزاعمهم بالحجة الدامغة، والتأكيد على أن الذي يقول بهذا القول لا يفتري على أنبياء الله فحسب، إنما هو يتألى على الله، ويدعي علما لا يعلمه الله، فالله قد شهد لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأحفادهم أنهم على التوحيد وعلى دين الإسلام.

٤٤٣٥- تفيد أنه لا أحد أظلم من اليهود والنصارى لأنهم كتموا شهادة عندهم من الله، وفي هذا دعوة لعدم كتم الحق، وأن من دعي للشهادة يؤديها على وجهها دون أن يزيد عليها أو ينقص منها.

٤٤٣٦- تفيد إرشادا لمن يتصدى للرد على أهل الشقاق والباطل أن يتعلم إفحام الخصم وإلزامه برد ظاهر لا إشكال فيه، ولا يستطيع إنكاره، ولا يجد مفرا من الإذعان له، فقوله: ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾بالتأكيد لن يجرؤ الخصم أن يقول: أنا أعلم، وبهذا يتبين بطلان حجته.

٤٤٣٧- تفيد أنه ينبغي لمن لا يعلم شيئا أن يرد علم ذلك إلى الله بأن يقول: [الله أعلم]؛ لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾.

٤٤٣٨- تفيد إبطال دعوى هؤلاء اليهود والنصارى أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى؛ فهذه الدعوى باطلة؛ فهؤلاء الأنبياء والصالحون لم يكونوا هودا، ولا نصارى؛ بل هم مسلمون لله سبحانه وتعالى.

٤٤٣٩- تفيد خطورة وعظم إثم من يكتم علما علمه الله، وأن من فعل ذلك فقد كتم شهادة عنده من الله؛ وهذا من أعظم الإثم وأشد الظلم.

٤٤٤٠- تفيد أنه إذا أراد الله إظهار أمر ونشر فضيلة فلن يستطيع أحد كائنا من كان أن يقف في طريقها، ولو اجتمع أهل الأرض على كتمانها.

٤٤٤١- تفيد أنه ينبغي على من يتصدى للرد على أهل الشقاق والباطل أن يستخدم معهم أسلوب التهديد والوعيد بعقوبة الله تعالى، وأن الله ﷻ ليس بغافل عنهم وعما يعملون من الذنوب والمعاصي، وأنه إنما يستدرجهم في غيهم ليزدادوا إثما، وقد يكون لهذا التهديد وهذا الوعيد أثره في نفوسهم.

٤٤٤٢- تفيد أهمية تخويف العبد، وإنذاره من المخالفة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

٤٤٤٣- تفيد كمال علم الله، ومراقبته لعباده؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

٤٤٤٤- تفيد إثبات حلم الله وأنه لو أراد أن يأخذهم بعقاب لفعل.

٤٤٤٥- تفيد خطورة الاستدراج لأهل المعاصي.

٤٤٤٦- تفيد ثبوت الصفات المنفية؛ وهي ما نفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾؛ والصفات المنفية متضمنة لإثبات كمال ضدها؛ فلكمال مراقبته وعلمه سبحانه وتعالى ليس بغافل عما نعمل، بل هو مطلع على أعمالنا جميعا، ولا يخفى عليه شيء منها.

٤٤٤٧- يفيد إضافة العمل إلى العامل؛ في قوله تعالى: ﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ردا على الجبرية الذين يقولون: «إن الإنسان مجبر على عمله».

قال تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[البقرة: ١٤١].

*** تكررت هذه الآية بكاملها في الآية التي تحمل رقم: [١٣٤]، من هذه السورة، وقد ذكرنا هناك ما يتعلق بالهدايات الخاصة بها، وسوف يكون الحديث ههنا عن هدايات جديدة لم يسبق ذكرها هناك.

٤٤٤٨- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكرت الآية السابقة نسبة اليهود والنصارى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط إلى اليهودية أو النصرانية، جاءت هذه لتشير إلى أنه ينبغي على المرء في جدالاته ومحاوراته مع خصمه ألا يفتخر بنسبه وحسبه ويتحدث عن تاريخ مضى وانقضى، بل عليه أن يثبت صحة مدعاه وما هو عليه من نفسه، وعلى أرض الواقع، وقد صدق القائل:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً ... يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ

فليس يغني الحسيب نسبته ... بلا لسانٍ له ولا أدب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليسَ الفَتَى مَنْ يقولُ كان أبي

وفي هذا يظهر الفرق بين هذه الآية وسابقتها المكررة، وكأن الله ﷻ يقول لهم: على فرض صحة مدعاكم فتلك أمة قد خلت، ولا ينفعكم الافتخار بهم، والانتساب إليهم، لأن من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

٤٤٤٩- يفيد تكرار هاتين الآيتين بكلماتهما وحروفهما إشارة لطيفة ودقيقة إلى أنه ينبغي على من يتصدى للرد على أهل الشقاق والباطل ألا يمل ولا يضجر من الدفاع عن أهل الفضل والصلاح ولو استدعى ذلك تكرار نفس الكلمات والعبارات على أسماع أهل الشقاق والباطل، وخاصة إذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة؛ تذكيرا بها وتأكيدا لها، وترسيخا لمدلولها في نفوسهم، وذلك لأن كثيرا من أهل الشقاق والباطل قد لا يقتنع بمرة واحدة فيستدعي التكرار عليهم، فلعلها أن تجد آذانا صاغية، وقلوبا واعية. وهذا من لطائف الأسلوب القرآني في طريقة احتجاجه على أهل الشقاق والباطل.

٤٤٥٠- تفيد بإشارة دقيقة إلى أنه ينبغي لمن يتصدى لأهل الشقاق والباطل أن تكون له عبارته المبتكرة التي يختتم بها في ردوده عليهم، بحيث يعلم الخصم أنك قد أتيت على حججه كلها وأنك تقصد قطع الخصام والجدال معه، وهذا من لطائف الهدايات القرآنية التي يحتاج أن يتسلح بها من يريد الإبحار في هذا الشأن.

٤٤٥١- تفيد بإشارة أنه ينبغي للأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر أن تسعي لإثبات ذاتها وفرض وجودها، من خلال إعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دينه في العالم، وألا تتغنى بأمجاد أسلافها وبطولاتهم السابقة، ودولتهم الممتدة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، فتلك أمة

قد خلت، لها ما كسبت من سجل مشرق مضيء في نصرة دين الله وإعلاء كلمته، ولكم ما كسبتم....

٤٤٥٢- يفيد عموم نفي سؤالهم عن أعمال تلك الأمة الشامل في الدنيا والآخرة دلالة على أنه ينبغي للأمة عدم سؤال أهل الكتاب عن أخبار هؤلاء الأنبياء، فقد ظهر كذبهم وافتراؤهم عليهم من خلال ما تقدم في الآية التي قبلها، وكذلك أيضا عدم الالتفات إلى ما يسمى بالإسرائيليات التي رويت من قبل هؤلاء اليهود والنصارى والتي فيها طعن وانتقاص من أنبياء الله ورسله، ويشهد لهذا سياق الآية الكريمة، فيكون النفي ههنا بمعنى النهي، والله أعلم.

٤٤٥٣- تفيد ردا على كل من علق عمله وما يترتب عليه من الإثم والأجر بأمم قد خلت... ومن هؤلاء الرافضة الذين يولولون ويلطمون على أحداث مفتراة في أمة قد خلت.

٤٤٥٤- تفيد إظهار رحمة الله تعالى، وتمام فضله بذكر الكسب من الخير والعمل الصالح الذي يعمله بنو آدم دون الشر، فيحصيه الله جميعه، بدلالة [لها ما كسبت ولكم ما كسبتم].

٤٤٥٥-تفيد رقي الأسلوب القرآني بالترغيب والتحفيز للعمل الصالح وكسب الحسنات والبعد عن اكتساب السيئات

فائدة: من الملح واللطائف في هذه الآية، أن القارئ لهذه الآية من مصحف المجمع يجد أن كل واحدة من هذه الآية ومثيلتها مكتوبة خلف الأخرى، في نهاية كل صفحة، حيث أخذتا صفتحين من ورقة واحدة، كما أخذت كل واحدة سطرا ونصف السطر تقريبا، كما يلاحظ انتهاء السطر الأول منهما بقوله: ﴿مَا كَسَبَتْ﴾، وانتهاء السطر الثاني: بقوله: ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وبهذا تم الحزب الثاني من القرآن الكريم بتاريخ ٨/٥/١٤٣٨هـ

وللّٰه الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة.

تلخيص دكتور أحمد رشاد